الشيخ

محمد الخضر حسين

سيرته ومؤلفاته

تأليف

د. محمد بن إبراهيم الحمد

دار ابن خزيمة

ح محمد بن إبراهيم الحمد ، ١٤٣٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر

الحمد، محمد بن إبراهيم

الشيخ محمد الخضر حسين: سيرته ومؤلفاته . / محمد بن إبراهيم الحمد ــ الرياض، ١٤٣٥هـ

١٩٤ ص ، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك ٥-٤١٨٤-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- التونسي، محمد الخضر حسين ٢- الإسلام - تراجم

أ- العنوان

ديوي ٩٢٢،١ ١٤٣٥/١٥٥١

رقم الإيداع: ١٤٣٥/١٥٥١

ردمك: ٥-٤٧٨٤-٠١-٦٠٣-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

دار ابن خزيمة

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

الملز - شارع الاحساء - غرب حديقة الحيوان

هاتف: ٤٧٣٠٧٨٨ - ٤٧٦٩٩٣٣ - فاكس: ٤٧٦٠٧٩٥

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد

فهذه صفحات في حياة الشيخ محمد الخضر حسين التونسي إمام الجامع الأزهر، وعلامة المنقول والمعقول.

وهي مستلَّة من رسالتي للماجستير (منهج الشيخ محمد الخضر حسين في مواجهة الانحرافات العقدية والفكرية).

وهذه الصفحات تمثل الباب الأول من ذلك البحث، وتدور حول سيرة الشيخ الخضر، ومؤلفاته.

وقد رغبتُ في إفرادها؛ لتكون مدخلاً لسيرته، وتعريفاً بمؤلفاته خصوصاً بعد أن خرجتْ (موسوعة الأعمال الكاملة) التي جُمع فيها آثارُ الشيخ، وكثيرٌ من الدراسات حوله.

وهذا الكتاب الذي بين يديك سيدور حول الآتي:

تمهيد: عصر الشيخ محمد الخضر:

وفيه: مدخل وثلاثة مطالب:

مدخل: مراحل حياة الشيخ محمد الخضر

المطلب الأول: حال العالم الإسلامي

المطلب الثاني: حال البلاد التونسية

المطلب الثالث: حال البلاد المصرية

الفصل الأول: حياة الشيخ الخضر

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نشأته

المبحث الثاني: أعماله

المبحث الثالث: أخلاقه وصفاته

الفصل الثاني: مؤلفات الشيخ محمد الخضر

وفيه: **تمهيد**: ملحوظات حول علمية الشيخ محمد الخضر ومؤلفاته

ـ عرض وتعريف ودراسة لمؤلفات الشيخ محمد الخضر

فهذا هو ما ستدور عليه هذه الصفحات.

ومن أراد مزيد تفصيل ودراسة لسيرة الشيخ وحياته، وعلميته، ومؤلفاته فليرجع إلى الرسالة الأصل التي جاءت في (١٠١٦) صفحة، واحتوت ـ زيادة على ما في هذا البحث ـ على ما يلي:

أولاً: منهج الشيخ في إثبات العقيدة من حيث تلقيها، ومصادرُه فيها، وبيانُ أهميتها، وإثباتُه أصولَها والمسائلَ المتعلقةَ بها.

ثانياً: مواجهاتُه للفرق، والدعاوى الضالة: البابية، والبهائية، والقاديانية، والتنصير، ودعوى تحضير الأرواح ـالروحية الحديثةـ.

ثالثاً: مواجهاته للانحرافات العقدية: وذلك من خلال بيان موقفه من الفلسفة، والتصوف، والتشيع، ومن خلال مواجهته للشرك، والبدع، والإلحاد.

رابعاً: موقفه من القضايا الفكرية المعاصرة: العلمانية، وقضية الحرية، وقضية التغريب، وقضية تحرير المرأة.

خامساً: تخلل تلك الرسالة تفصيل لبعض دقائق سيرته، وطرائقه في الرد، والنقض، ومصادره، وعبقريته الفذة فيه.

سادساً: احتوت ـأيضاًـ على إبراز كثير من جهوده في علوم القرآن الكريم،

والسنة النبوية، وجهاده في الذب عن هذين المصدرين، والوقوف أمام المبطلين، والمؤولين الذين يريدون صرف نصوص الوحيين إلى معاني باطلة، أو صرف أنظار الناس عن هدايتهما.

سابعاً: تضمنت ـكذلكـ إيضاحاً لجهوده في السيرة النبوية، وإيضاح حقائق الإسلام، والدفاع عنه، والدعوة إليه.

ثامناً: وضحت جهوده في علوم العربية، وبلاءه في الذب عنها.

تاسعاً: احتوت على بيان جهاده في إبراز الوجه المشرق للأمة، ودفاعه عن عظمائها، وتاريخها المجيد.

فهذا أبرز ما جاء في الرسالة الآنفة الذكر.

أما هذه الصفحات التي بين يديك فهي تدور ـكما مرـ حول سيرة الشيخ الخضر، ومؤلفاته؛ فإلى تلك الصفحات، والله المستعان، وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

محمد بن إبراهيم الحمد
الزلفي: ص.ب: ٤٦٠
١٤٣٤/١٠/٤هـ
جامعة القصيم ـكلية الشريعة والدراسات الإسلاميةـ
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
WWW.TOISLAM.NET
ALHAMAD@TOISLAM.NET
@M_ALHAMAD

تمهيد: عصر الشيخ محمد الخضر

مدخل: مراحل حياة الشيخ الخضر

لعل من المفيد جداً لدراسة أحد من الناس أن يُنظر إلى الظروف والأحوال التي نشأ فيها؛ فذلك مما يعين على القراءة الصحيحة، والفهم السليم لآرائه، ومواقفه؛ فالبيئة، والظروف التي ينشأ فيها الإنسان لا يمكن أن تكون بمعزلٍ عن تأثره بها، وتأثيره فيها خصوصاً إذا كان ذا مكانة علمية، أو سياسية، أو اجتماعية.

والشيخ محمد الخضر حسين جزائري الأصل، تونسي المولد والنشأة؛ فتونس مسقط رأسه، ومنشأ تعلمه وتعليمه وتربيته، والشام مهاجره، ومصر مستقر نواه.

وقد ارتأى الدارسون لسيرة الشيخ الخضر تقسيم حياته إلى ثلاث مراحل[1]:

المرحلة الأولى: وهي المرحلة التونسية: وتخص سنوات حياته التي قضاها في تونس منذ ولادته، وطفولته إلى تعلمه، وتعليمه.

وهي مرحلة يمكن تسميتها: **بفترة التعلم والتكوين**، وتمتد من سنة ١٢٩٣هـ ١٨٧٣م إلى ١٣٣١هـ ١٩١٢م وهي السنة التي غادر فيها تونس إلى بلاد المشرق العربي بعد أن طوى في تونس قسماً مهماً وثرياً من حياته.

وكانت سِنُّه آنذاك تقرب من الأربعين؛ حيث تكونت شخصيته العلمية، وغَزُرَتْ معارفه؛ مما جعله يبحث عن مجالات أوسع، وآفاق أرحب.

المرحلة الثانية: حياته في البلاد السورية: وتمتاز هذه المرحلة بكثرة تنقلاته بين بلدان عربية وأوربية أثناء الحرب العالمية الأولى، حيث تنقَّل أثناءها ما بين **سوريا، والآستانة، وبرلين**؛ ولذلك يمكن أن يطلق عليها **مرحلة التنقل والترحال**، وتمتد من سنة ١٣٣١هـ ١٩١٢م إلى ١٣٣٩هـ ١٩٢٠م وهي السنة التي غادر فيها سوريا إلى مصر.

١ـ انظر: محمد الخضر حسين حياته وآثاره لمحمد مواعده، الدار الحسينية للكتاب ط ٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م ص٥٨.

المرحلة الثالثة: وهي حياته في البلاد المصرية، وتشمل حياته التي قضاها في مصر، واستقر بها نهائياً، وتمتد من سنة ١٣٣٩هـ ١٩٢٠م إلى حين وفاته سنة ١٣٧٧هـ ١٩٢٠م.

ويمكن أن تسمى هذه المرحلة مرحلة المجد الثقافي والعلمي؛ لأنها الفترة التي برزت فيها مكانته، وتقلد أثناءها مناصب عالية، أكدت غزارة علمه، وعمق ثقافته[١].

لذا فإن دراسة عصر الشيخ ههنا ستتناول حال العالم الإسلامي عموماً، وحال البلاد التونسية التي عاش فيها الشيخ زهاء أربعين عاماً، وحال البلاد المصرية التي عاش فيها ثمانية وثلاثين عاماً.

أما المرحلة الثانية فهي قصيرة بالنسبة للمرحلتين الأولى والثانية، وقد تخللها ـكما مرـ تنقل وترحال، كما ستأتي إشارات في البحث إلى تلك المرحلة.

ولا ريب أن الفترة التي عاشها الشيخ وما سبقها من عقود شهدت أحداثاً جساماً، وتغيرات شتى تكاد تكون من أعظم ما مرَّ في الأمة عبر تاريخها.

وفيما يلي إلقاء نظرة على عصر الشيخ، وذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: حال العالم الإسلامي.

المطلب الثاني: حال البلاد التونسية.

المطلب الثالث: حال البلاد المصرية.

والذي يعني من ذلك ليس مجرد التأريخ لفترة مرَّت بها البلاد المذكورة.

وإنما المقصود من ذلك بحث لنوعية الفترة بأحداثها، وتطوراتها؛ لِيُستَخْلَص من ذلك ما تركته تلك الأحداث والتطورات من آثار على شخصية الشيخ الخضر تأثُّراً، وتأثيراً[٢].

١ـ انظر: محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص ١١ و ٥٨ـ٥٩.

٢ـ انظر: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير د. هيا العلي، دار الثقافة قطر، الدوحة، ١٩٩٤م، ص٣٩.

المطلب الأول: حال العالم الإسلامي

الحديث عن العالم الإسلامي في تلك الفترة يقتضي أن يكون عن الدولة العثمانية؛ إذ هي دولة الخلافةِ، والعالمُ الإسلامي آنذاك ينضوي تحت لوائها خصوصاً البلاد العربية؛ فالدولة العثمانية عندما استولت على تلك البلاد كانت قد وصلت إلى أَوْجِ قُوَّتها، وأقصى حدود اتساعها؛ ذلك أن طور الاستيلاء والتوسع في هذه الدولة قد بلغ مداه في عهد السلطان العاشر سليمان القانوني، أو كما يسميه الأوربيون (سليمان العظيم)[1].

ويبدو أن الدولة العليَّة قد انقطعت أنفاسها عندما وصلت إلى أسوار فينَّا، فلم تتوسع بعد ذلك توسُّعاً يُذكر.

بل بدأ الضعف يَدِبُّ إليها، فأخذت تتقلص، وتتراجع شيئاً فشيئاً، فصارت تفقد البلاد العربية الواحدة تلو الأخرى؛ حيث استولت فرنسا على الجزائر سنة ١٨٣٠م، واستولت انجلترا على عدن سنة ١٨٣٩م.

وبعد نحو أربعين عاماً احتلت فرنسا تونس ١٨٨١م، واحتلت إنجلترا مصر سنة ١٨٨٢م، وبعد ثلاثة عقود استولت إيطاليا على طرابلس الغرب سنة ١٩١٢م.

وفي الأخير خرجت بقية البلاد العربية من حوزة الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى التي امتدت من عام ١٩١٤م ـ ١٩١٨م[2].

١ـ انظر ترجمته في تاريخ الدولة العثمانية العلية لإبراهيم حليم ص٨٧، مؤسسة الكتب الثقافية ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ١٠٤/٨، وموسوعة التاريخ الإسلامي لأحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية ط١٠، ١٩٩٢م، ٦٥٨/٥، وتاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان، ترجمة نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٦٨م، ص ٤٥٠ و ٤٥٧.

٢ـ انظر البلاد العربية والدولة العثمانية، دار العلم للملايين، بيروت، لساطع الحصري ص ٩ـ١٢، وموسوعة التاريخ الإسلامي لأحمد شلبي ٦٩٧/٥.

وهكذا بدأت أحوال الدولة العثمانية في الاختلال شيئاً فشيئاً، وذلك منذ عهد سليمان القانوني في أواخر القرن السادس عشر الميلادي.

وأول بداية ذلك الاختلال كان في نظام الانكشارية[١] الذي تحول في آخر الأمر إلى آلة فوضى وفساد[٢].

وتبع ذلك فساد أمور الإدارة بوجهٍ عام، وضعفت لذلك الحكومة المركزية، وكان من الطبيعي أن يؤدي هذا النظام إلى نتائج سيئة؛ لأنه يفسح المجال أمام الولاة ومطامعهم؛ فالحكومة المركزية تميل أحياناً إلى استرضاء الوالي وتبقيه في منصبه تحت بعض الشروط، وتجنح أحياناً إلى الشدة، وتأمر ولاة الولايات المجاورة بإرسال حملات عسكرية؛ لتأديبه وإخضاعه لأوامر السلطنة.

والوالي الذي ينجح في الحركة التأديبية بناء على أوامر السلطة كثيراً ما يطالب الحكومة بأن تكافئه على عمله، إما بإقطاعه بعض المقاطعات الغنية، وإما بتولية أحد أبنائه، أو أقربائه[٣].

والوقائع التي حدثت في مصر في عهد محمد علي باشا شاهد على ذلك؛ فهي دليل

١ـ الانكشارية هم: جند أنشأه العثمانيون على نظام خاص، وأكثرهم نصارى من غلمان البلاد المفتوحة الذين فقدوا أهليهم؛ فرباهم الأتراك تربية إسلامية عسكرية؛ ليكونوا جنداً لهم، دون أن يكون لهم عصبية جنسية، أو دينية، وكان لهذه الفرقة تقسيم وتنظيم خاص ليس له مثيل، ولكنهم ـ في نهاية أمرهم ـ تمردوا، وفسدت طبيعتهم، وتغيرت أخلاقهم، و صاروا مصدر قلق، وأصبحوا يتدخلون في شؤون الدولة، وتعلقت أفئدتهم بشهوة السلطة، وانغمسوا بالملذات والمحرمات، فصاروا إلى حالة من الضعف والانحطاط، فكانت نهايتهم على يد السلطان محمود الثاني عام ١٢٤١هـ. انظر مصر العثمانية لجورجي زيدان، دار الهلال، عدد٥١٧، رجب يناير ١٩٩٤م، ص ٦٥ـ٦٦، والدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط د. علي الصلابي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢ـ انظر تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٥٣٩، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م، ١١٢/٨.

٣ـ انظر تاريخ مصر الحديث لجورجي زيدان، مطبعة الهلال، ط٣، ١٩٥٢م، ص١٦٠، والسلطان عبدالحميد الثاني لمحمد حرب ص ٢٤ـ٣٣، ومنهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة لتامر متولي، دار ماجد عسيري، المملكة العربية السعودية، جدة، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، ص ٣١ـ٣٣.

على الحالة التي وصلت إليها الدولة العلية؛ إذ لا يمكن أن نفهم تلك الأحداث على حقيقتها ما لم تؤخذ بنظر الاعتبار حالة الدولة العلية يومئذ.

ففي منتصف القر ن الثاني عشر الهجري بدايات القرن السابع عشر الميلادي كانت حالة الدولة العثمانية قد بلغت أشد حالات فسادها بينما كانت أوروبا تتقدم في كل النواحي المدنية؛ لذلك قال بعض المفكرين العثمانيين بضرورة الاستفادة من التقدم الغربي الأوروبي؛ لضمان المحافظة على وحدة الدولة العثمانية، وعلى دوامها، واستمرارها.

ومن ثَمَّ أصبحت البلاد أمام بداية حركة إصلاحية تستلهم الغرب.

وأول حركة إصلاحية بهذا المفهوم كانت في عهد السلطان أحمد الثالث[١].

ويعد هذا العهد ـبحركته الإصلاحيةـ ابتداء نفوذ الثقافة الغربية في الدولة العثمانية؛ حيث أخذت الدول الأوروبية تكتسب في بلاد المسلمين ميادين للعلاقات الثقافية بجانب علاقاتها السياسية بالدولة[٢].

لذلك أخذت الدولة بإرسال السفراء إلى باريس وفيينا بقصد التعرف على أوروبا، وتوالت محاولات السلاطين الإصلاحية في الدولة العثمانية، غير أن تشخيص المرض لم يكن صحيحاً؛ فلذلك لم يكن الدواء ناجعاً؛ لقد كان تشخيص رجال الدولة للفساد الحاصل على المستوى الثقافي، والديني، والسياسي خاطئاً من الأساس؛ ذلك أن الذي ساد تَصوُّرُه وقتها هو أن الدولة العثمانية تُهْزَم في الحروب؛ فالوسيلة الوحيدة ـإذاً ـ لإعادة البنيان تَكْمُن في إقامة جيش قوي فحسب.

لقد قام هذا الجيش ـنفسهـ بالتمرد على السلطان؛ نتيجة إنشائه جيشاً قوياً

١ـ انظر ترجمته في: الدولة العثمانية لإبراهيم حليم ص ١٥٨، والسلطان عبدالحميد الثاني لمحمد حرب ص١٧.

٢ـ انظر السلطان عبدالحميد الثاني لمحمد حرب ص٢٠.

جديداً على النظام الأوربي.

وبقيت أحوال الدولة هكذا تتدهور من سيِّيء إلى أسوأ إلى أن جاء عبدالحميد الثاني، وحاول أن يصنع شيئاً أَخَّر به سقوط الدولة ثلاثين عاماً[١].

إن المرض الحقيقي للدولة العلية لم يكن في جيشها الضعيف، ولكن كان في الفساد العام الذي ضرب بأطنابه على الدولة في تلك الفترة.

وأعظم ذلك الفساد فساد دينها الذي دبَّ إليه الضعف، واستشرت فيه الخرافات التي تغلغلت في أرجاء الدولة حتى وصلت إلى رأس الدولة العلية.

وهذا الفساد الذي أصاب الدولة العلية سرى أثره إلى بقية العالم الإسلامي؛ فقد كان يسود العالم الإسلامي يومئذ فساد النظام، واستبداد الحكام؛ لذلك دبّت الشيخوخة في جسمه بعد أن حطَّمته الحوادث، وأنهكته الفتن والكوارث، وصار المسلم يعاني الفقر والجهل والمرض؛ فحياته الاجتماعية تعسة، واقتصاده متدهور، مثقلٌ بالديون يعاني الفوضى وسوء التدبير.

وصار فهم المسلم للإسلام منحرفاً بعيداً عن روح الإسلام الخاص، وقد شمل الانحراف العقيدة، والعبادة، والتشريع، ولم يَبْق لكثير من المسلمين من دينه سوى رسوم ليست من الإسلام في شيء.

ثم إن الحياة العلمية في البلاد الإسلامية قد بعُدت عن الابتكار، وانغلقت على نفسها، واقتصرت على حفض بعض المتون وشرحها فحسب.

أما علوم العصر فقد خلت منها المعاهد العلمية فتحجَّرت العقول، وتبلّدت الأفهام، وانتشرت الأوهام والخرافات[٢].

وقد اجتمع إلى ذلك كله تضافرُ القوى اليهودية، والصليبية للقضاء على الخلافة

١ـ انظر السلطان عبدالحميد الثاني لمحمد حرب ص١٠٥، ومنهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ص٣٣.

٢ـ انظر شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره د. بلقاسم الغالي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، ص٨٧، ومنهج الشيخ محمد رشيد رضا ص٣٤.

العثمانية؛ باعتبارها التجسيد الحي للأمة الإسلامية وقتذاك؛ فأخذ الغرب يقتطع أجزاءها ـ كما مر وكما سيأتي ـ وصار يشعل الثورات داخل الدولة العثمانية، فَحَرَّضَ شعوب البلقان على الثورة منذ عام ١٨٠٤م، وأمدَّهم بالمساعدات حتى انفصلت عن الخلافة سنة ١٨٧٨هـ.

كما حَرَّض اليونان على الثورة منذ عام ١٨٢٠م حتى استقلت عن تركيا عام ١٨٣٠م.

ولم يكتف الغرب بذلك، بل شجع الحركات الانفصالية داخل الدولة بين الترك والعرب، وحرك الثورة العربية بواسطة عملائه، وأثاروا فتنة القوميات والعصبيات الإقليمية بغرض التفرقة والتفتيت[١].

ثم انتهت حركات التطويق والإغارات والتفتيت بإنهاء وجود الدولة الإسلامية في طورها الأخير ـ ويُعنى بذلك الخلافة الإسلامية ـ على يد اليهودي مصطفى كمال أتاتورك.

وقد مهد لذلك السقوط ما قام به رأس الرمح الموجه للقدس بِيَدِ: ثيودور هرتزل الذي ظلَّ ست سنوات كاملات يحاول بجهد المواصل، ورجاء المتوسل المُلحِّ أن يتمكن من مقابلة السلطان عبدالحميد عام ١٩٠١م ليضع خدمات اليهود في خدمة الدولة؛ تمهيداً لحصوله من السلطان على تصريح لصالح اليهود[٢].

ومن العروض المغرية التي قدمها هرتزل للسلطان عبدالحميد ما يلي: ١. مساعدة

١ـ انظر الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية ـ دراسة حول كتاب: النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة لشيخ الإسلام مصطفى صبري ـ تقديم ودراسة د. مصطفى حلمي، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط٢، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، ص٢٦ـ٢٧، وانظر الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة ط٨، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م ١/١٨ـ٦٢.

٢ـ انظر المرجع السابق ص٢٨، وجذور البلاء لعبدالله التل، دار الإرشاد، بيروت، ط١، ١٣٩٠هـ، ص٦٥.

السلطان على أسطول بحري. ٢. معاضدته في سياسته الأوربية. ٣. إنشاء جامعة عثمانية في القدس تغني عن الذهاب إلى جامعات أوربا، وبذلك لا يتعرض الطلبة للنزعات الجديدة. ٤. تحسين أوضاع السلطنة العمرانية. ٥. عقد قرض مالي؛ لتغطية تكاليف المشروعات المقررة.

كل ذلك مقابل منح اليهود حق استيطان فلسطين، وإقطاعهم جزءًا من أرضها.

وقد أخفق هرتزل في إقناع السلطة؛ رغم ما اعترف به من رشوة قدمها للوزراء، وللحاشية ومن وساطات توسل بها[١].

حينئذ أخذ هرتزل يتحيَّن الفرص مع السعي الذي لا يهدأ، وكتب يقول: «إن الأمور تتأزم في تركيا، إذا ازداد هذا التأزم بخصوص المسألة الشرقية، وانتهى إلى حدٍّ يقضي بتقسيم تركيا في المؤتمر الأوربي فقد نتمكن من أخذ قطعة من أرض محايدة لأنفسنا»[٢].

ولم تكن هذه الأرض بطبيعة الحال سوى فلسطين التي وصلوا إليها عن طريق القسطنطينية[٣].

وكان الأخطبوط اليهودي يعمل في دأبٍ؛ مستغلاً أحوال العالم الإسلامي المنهارة؛ لِيَخْطُوا الخطوةَ تلو الأخرى؛ ولهذا ترى تَلاحقَ الأحداثِ، وصِلَتَها ببعض؛ فقد انعقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا، برئاسة هرتزل عام ١٨٩٧م، وتلاه عام ١٩١٦م عقد معاهدة (سايكس بيكو) بين بريطانيا وفرنسا؛ لاقتسام بلاد المسلمين التي كانت تابعة للخلافة.

١ـ انظر جذور البلاء ص١٥٠، وانظر القومية العربية في ضوء الإسلام، دار طيبة، الرياض، ص١٠٢ـ١٠٣، وانظر تفصيل ذلك في: القول المفيد في حكم السلطان عبدالحميد، لمحمد وحيد، دار الوراق، دار النيرين، بيروت، الرياض، دمشق، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، ص٢٢٧ـ٢٦٢، والمخططات الماسونية العالمية، د. محمد أحمد دياب، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، ص٨٥ـ٨٧.

٢ـ انظر الأسرار الخفية ص٢٨، وانظر لورانس العرب لزهدي الفاتح ص٤٢، و٤٨، و٤٩.

٣ـ انظر الأسرار الخفية ص٢٨.

وفي نفس العام قامت الثورة العربية بقيادة الشريف حسين؛ للتخلص من حكم الأتراك، واستقلال البلاد العربية؛ فكانت نتيجتها وبالاً على العرب والمسلمين.

وفي عام ١٩١٧م صدر وعد بلفور؛ ليمنح اليهود حق إنشاء وطن قوي لهم في فلسطين.

وفي عام ١٩١٨م انهزمت تركيا، واحتل الإنجليز فلسطين[١].

وهكذا تفككت أجزاء الخلافة، وتقطعت أوصالها حتى آلت إلى ما آلت إليه من الانهيار التام.

فهذه -بإيجاز- هي حال العالم الإسلامي إبان تلك الفترة، وهذه الحال ألقت بظلالها على الشيخ الخضر، فكان له مواقف ستتبين في غضون هذا البحث -بإذن الله-.

١- انظر المرجع السابق ص ٢٨-٢٩، وخطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، دار القلم، بيروت، ١٩٦٥م، ص ٢٣٠-٢٣١، والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ١/ ٢٨٠.

المطلب الثاني: حال البلاد التونسية

الحديث عن تلك المرحلة من تاريخ تونس يطول، وهو ليس ببعيد ـ في الجملة ـ عن حال العالم الإسلامي عموماً.

وليس من غرض الدراسة ههنا التفصيل في تاريخ تلك الحقبة، وإنما المقصود ذكر أهم الملامح في تلك الفترة.

ولا ريب أن أبرزها هو الاحتلال الفرنسي لتونس.

وقد سبق ذلك الاحتلالَ أحوالٌ سياسية عصيبة؛ فقد كانت آنذاك حالة اضطراب، وفتن؛ فالبلاد ترزح تحت وطأة الدَّينِ الخارجيةِ، والعبثُ، والارتشاءُ، والفساد قد عَمَّ البلاد، وأثقل كاهل التونسيين بالضرائب.

يضاف إلى ذلك ضعفُ الدولة العثمانية، وشيوعُ الجهل، وعموم الفوضى، وسوءُ الحالة الاقتصادية.

ومن هنا بدأت أطماع الدول الاستعمارية تظهر بصورة سافرة.

وقد برزت دعوات إصلاحية تنادي بالنهضة الشاملة، غير أن تلك الدعوات كانت تصطدم بكثير من العقبات الداخلية والخارجية إلى أن بسط الاستعمار الفرنسي نفوذه على تونس[1].

وكان عُمُرُ الشيخ محمد الخضر حسين حين اجتاحت القوات الفرنسية الأراضي التونسية ثمان سنوات، وذلك عام ١٨٨١م.

ثم تواصلت بعد ذلك سياسةُ الفَرْنَسَةِ والإدماجِ القاضيةُ بطمس معالم الهُوية الإسلامية، والسيادة القومية التونسية شيئاً فشيئاً؛ لتغزو ما بقي من أنظمة الحكم، والإدارة، وتجعل أبناء البلاد يفقدون كل شيء، خصوصاً بعد أن تدفقت جموع

---

١ ـ انظر مهرجان ابن عاشور لـ: بلقاسم حسن مقالات، وأبحاث، تونس ١٩٨٤م، ص١، وانظر: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير د. هيا العلي ص ٣٥ـ٣٦.

الجالية الفرنسية؛ نتيجة أَخْذِ السلطة الاستعمارية بسياسة ترغيب الجاليات الأوربية الأخرى في اعتناق جنسيتها الفرنسية، واعتبارِ هذه الجاليةِ تونسَ وطناً لها.

وفي الفترة من عام ١٩٢٥م ـ ١٩٢٦م قامت السلطات الفرنسية باتخاذ إجراءات ضد الصحافة، والحريات العامة؛ فأخمدت صوت الحزب الدستوري.

ولعل من أهمِ الأحداث التي مرَّت بها مراحل تاريخ تونس إبَّان الاحتلال الفرنسي ـ محاولةَ فرنسا إغراء التونسيين بالتجنس بالجنسية الفرنسية بعد أن استصدرت السلطات الفرنسية فتوى بأن هذا العمل لا يتعارض مع الدين الإسلامي، ثم ما تبع ذلك من وقوف الشعب لهذه المحاولات بالمرصاد، واعتباره الانتماء إلى الجنسية الفرنسية خروجاً من الدين، وتنكراً للوطن، والقومية العربية.

ولقد سبق هذه الأحداثَ بروزُ تيارين إصلاحيين في تونس؛ فكان لهما أبلغ الأثر على الحياة العلمية، والفكرية، والسياسية في تونس؛ وذلك في العشر السنوات الأولى من القرن العشرين الميلادي؛ حيث امتازت تلك الفترة بحركة ثقافية، وسياسية قوية سيطرت على الحياة الفكرية في تونس، وصهرت مختلف عناصر النخبة المثقفة الموجودة وقتئذ، سواء منها من تثقف بثقافة عربية صِرْفَة، وهم خريجو جامع الزيتونة.

أو من تثقَّف بثقافة مزدوجة: عربية وفرنسية، وهم خريجو المدرسة الصادقية[1].

هذا وإن كان هدف هذه الحركة الواسعة واحداً ـ فإنه يمكن تقسيمها إلى تيارين ـكما يقول الأستاذ محمد مواعدهـ[2]:

١. تيار الإصلاح الديني الاجتماعي.

٢. تيار الإصلاح السياسي.

يقول الأستاذ محمد مواعده عن التيار الأول: «أما تيار الإصلاح الديني والاجتماعي فإن جذوره تمتد إلى القرن التاسع عشر، وخاصة في الربع الأخير منه

١ـ انظر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير ص ٣٦ـ٣٧.

٢ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص ٤٥.

عند ظهور حركة جمال الدين الأفغاني ١٨٣٣-١٨٩٧م، وتلميذه الأستاذ الإمام محمد عبده ١٨٤٩-١٩٠٥م بالمشرق العربي، وبروز مجلة (العروة الوثقى) التي هي لسان الجمعية السرية التي تحمل نفس الاسم؛ فقد وجدت هذه الحركةُ الإصلاحيةُ صدىً في كل الأوساط الثقافية، وتجاوباً تجاوز ما وجدته في مختلف بلدان العالم الإسلامي الأخرى، وذلك لوجود تيار إصلاحي قديم بالبلاد التونسية سبق انتشار حركة الأفغاني وعبده»[١].

ويواصل الأستاذ مواعده كلامه قائلاً: «تجدر الإشارة في هذه المناسبة إلى الجهود الكبيرة التي بذلها الوزير المصلح خير الدين ت ١٨٨٩م في الميدان الاجتماعي، والسياسي، وكذلك ما بذله بعده نخبة من المثقفين اللامعين منهم محمد بيرم الخامس ١٨٤٠-١٨٨٩م، ومحمد السنوسي ١٨١٢-١٩٠٠م وخاصة الأخير الذي أصبح عضواً في جمعية (العروة الوثقى) السرية، وزعيماً للحركة الإصلاحية في تونس في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر.

وقد وقعت عدة أحداث دعمت هذا الاتجاه الإصلاحي الديني، منها: زيارة الأستاذ الإمام محمد عبده الأولى إلى تونس، والتي دامت من ٦ ديسمبر سنة ١٨٨٤م إلى ٤ جانفي ١٨٨٥م»[٢].

أما التيار الثاني وهو تيار الإصلاح السياسي، فيقول عنه الأستاذ مواعده: «لقد كان هذا التيار منصهراً ضمن التيار الأول، وكانت عناصره المثقفة البارزة مندمجة متعاونة مع عناصره في مختلف الجمعيات التي كانت موجودة في ذلك العهد أي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، والربع الأول من القرن العشرين.

وتميز الاتجاه السياسي، وبرز رواد الحركة القومية التونسية في مرحلتها الأولى خلال سنة ١٩٠٧م وخاصة منذ تأسيس جريدة «التونسي» يوم ٧ فيفري من هذه

١- المرجع السابق ص٤٢.

٢- المرجع السابق ص ٤٢-٤٣.

السنة وهي لسان حركة (الشباب التونسي) التي تأثرت بحركة (الشباب التركي) وحركة (الشباب الإيراني) والتي كان يقودها الزعيم علي باش حامبة ١٨٧٩ـ١٩١٨م ذلك لأن عناصر هذه الحركة كانت ملتفة حول جريدة (الحاضرة) ومشاركة بصورة فعالة، ونشيطة في تسيير وتوجيه جمعية (الخلدونية) و (نادي قدماء الصادقية) ثم أحدثت تجمعاً مستقلاً ذا صبغة سياسية وطنية له اتجاه مضبوط، ووسيلة يعبر بها عن برامجه وأفكاره في خصوص المشكلة القومية.

ولذلك نجد عنوان افتتاحية العدد الأول بجريدة (التونسي) هو (برنامجنا) الذي يمكن تلخيصه في مطلبين:

١. المشاركة (تشريك التونسيين في تسيير شؤون البلاد).

٢. المساواة بين الفرنسيين والتونسيين»[١].

ومن خلال ما مضى يتبين أن الاحتلال الفرنسي لتونس قد احتل الصدارة في مجريات الأحداث في العصر الحديث، وأن هذا الاحتلال كان هو الجرحَ الغائر في جسد هذا الشعب الذي حاول بكل ما أوتي من قوةٍ مقاومتَه، والتصديَ له.

وأن هذا الاحتلال بجبروته وقسوته أظهر قدرة هذا الشعب على التفاني، والمقاومة، وأبرز الكثير من الأسماء اللامعة التي قامت بدور خطير في تلك الأحداث[٢].

والذي يعنينا في هذه الدراسة هو موقف الشيخ محمد الخضر حسين من هذه الأحداث، وهل كان له إسهام فيها؟ وإن كان كذلك فما نوع هذا الإسهام؟

والإجابة عن ذلك سيكون ضمن غضون هذا البحث، ولكن لا بأس أن يبين شيء من ذلك ههنا ـعلى سبيل الإيجازـ.

يقول الأستاذ محمد مواعده بعد أن تكلم على التيارين: تيار الإصلاح الديني الاجتماعي، وتيار الإصلاح السياسي: «إن ما بيناه بإيجاز عن الحركة الإصلاحية الدينية والسياسية بتونس في بداية هذا القرن يوضح ما قامت به النخبة المثقفة التونسية

١ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص ٤٧ـ٤٨.

٢ـ انظر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير ص٣٩.

من جهود في هذا الميدان، وما سيطر على حياتها الفكرية من مشاغل، وما كانت تتبناه من مبادئ.

وإذا كان الشيخ محمد الخضر حسين أحد أفراد هذه النخبة فما نوع مساهمته ومداها في هذه الحركة؟»[١].

ثم يجيب الأستاذ مواعده عن هذه التساؤل قائلاً: «ينتمي الشيخ محمد الخضر إلى مجموعة المثقفين الزيتونيين ـ كما هو معلوم ـ.

ولذلك نجد مشاركته ضمن تيار الإصلاح الديني والاجتماعي كبيرة، سواء ما قام به من أعمال، وبذله من جهود في ميدان إصلاح التعليم الزيتوني، أو بتأسيسه مجلة السعادة العظمى»[٢].

إلى أن يقول: «ورغم أن موقف الشيخ محمد الخضر حسين في المجلة لم يكن هو نفس موقف المحافظين، بل قاومه البعض منهم، لكن هذا العمل يعتبر مساهمة في الحركة الفكرية تساير تيار الإصلاحيين، ولا تساند مواقفهم وآراءهم»[٣].

والحقيقة أن موقف الشيخ الخضر لا يقتصر على ما ذكره الأستاذ محمد مواعده من مجرد كونه منتمياً إلى مجموعة المثقفين الزيتونين، أو أن له مشاركة ضمن تيار الإصلاح الديني والاجتماعي فحسب.

بل كان له دور فاعل في مقاومة الاستعمار، وله موقف من محاولة التجنيس، ويتضح ذلك من خلال كثير من كتاباته وإسهاماته في ذلك الشأن، سواء في مرحلته التونسية، أو السورية، أو المصرية.

ومنها ما كان من مواقفه من الاستعمار الذي ضاق به ذرعاً؛ بسبب نشاطه، ومطالباته بالحرية وقد امتد ذلك النشاط بعد مبارحته لتونس.

ومنها ما جاء في مقالة له في جريدة السياسية القاهرية العدد ٣٩٣ في ٢٥/جمادى

١ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص ٤٩ـ٥٠ .

٢ـ المرجع السابق ص٤٩ .

٣ـ انظر المرجع السابق ص ٥٠ .

الثانية سنة ١٣٤٢هـ، بعنوان (الحالة السياسية في تونس محاولة إدماج التونسيين في الجنسية الفرنسية).

ومما جاء فيه قوله: «رأت فرنسا كيف أنفذت بالتسلط على التونسيين كل ما تملك من قسوة، فبدا لها أن تفتح في سور سياستها الضاغطة منفذاً يردِّدون منه أنفاس الحرية، ويمرقون منه إلى مستوى الكرامة عندها، فلم تسمح لها طبيعة الاستعمار ـلسوء حظّهمـ إلا بأن تخلع عليهم ثياب التجنس بالقومية الفرنسية»[1].

إلى أن قال: «اشتد حنق التونسيين لهذا القانون، فجاءت صحفهم طافحة باحتجاجات بالغة، ومقالات تغلي كالمراجل غيظاً وجزعاً، وتنذر الشعب بما يجرُّه ذلك القانون في أذياله من العواقب المشؤومة على حال الاجتماع والسياسة، ولكن عميد فرنسا في تونس تلقى ذلك السخط العام وشرار الشكوى المتطاير حوله بمنتهى الاستخفاف والغطرسة؛ كأنه لا يدري أن الأمة التونسية قد ارتقى بها الشعور والاعتبار بتاريخها المجيد إلى صفوف أولي العزم من الأمم، فإذا أحست مكيدة تدبر لها، أو مظلمة تحمل على عاتقها أرهفت حدَّ الرأي والعزيمة، ولا تنفك تصارع من يحاول حرمانها من التمتع بما تتمتع به أمثالها من الأمم المستقلة؛ حتى تفوز ببغيتها، ويطلع فجر الحرية الصادقة في أفق سياستها.

ومن شاء أن يقضي العجب فليقضه من جواب ذلك العميد إذ تظاهر بالعجب من هذه الثورة الفكرية المزعجة، قائلاً: إن فرنسا لم تضع هذا القانون على وجه الإكراه، وللتونسي الذي يراه مخالفاً لدينه أن يحتفظ بقوميته»[2].

ثم حذر الشيخ الخضر من عاقبة ذلك الإدماج، واعتبر بما كان للجزائر من جرائه، وقال بعد ذلك: «لقد كان في قصص هؤلاء المتفرنسين عبرة لأولي الألباب من التونسيين، وهي ما جعلتهم يحذرون من أن تمسخ نفوس منهم، وتصير بطبيعة التجنّس الفرنسي كالخوافي، بل القوادم للسلطة المستعمرة، فيزداد الشعب من بلائهم

١ـ الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين ص٥٨.

٢ـ المرجع السابق ص٥٨.

حنقاً على حنق، وربما عجل به ذلك الحنق المتراكم إلى أن تنقلب أناته عزماً نافذاً، وأنفاسه المكتومة شرراً متصاعداً، فَيَنْحَلَّ وكاءُ فتنةٍ تفشل يد القوة الحاكمة عن وقف سيلها الجارف، وإعادة الراحة إلى قرارها المكين.

فإذا عمي على فرنسا سوءُ طالَعِ هذا القانون، وأصرت على نفاذه؛ بالرغم من احتجاجات الأمة، ومظاهر استيائها الأليم ـ فقد بقي في يد زعمائها سبل لعلاج هذا الداء الفاتك، لا تستطيع أية قوة تسدّها في وجوههم، ومن بين هذه السبل: تلقين الشعب واجباته الإسلامية الاجتماعية، وجعله على بصيرة من أن مقتضى التجنس بالقومية الفرنسية أن يقاتل تحت راية فرنسا، وإن كانت هاجمة على جماعة من إخوانه لغة وديناً، وهم في عقر دارهم آمنين.

ولا جرم أن الانضمام إلى صفوف المخالفين ـإذا اشتبكوا في حرب مع المسلمينـ نزول إلى حضيض الارتداد على الإسلام، ونكث لليد من عروته الوثقى»[1].

إلى أن قال: «فامتشاق الطائفة المتنورة عزماً لا يُغْمد، وإشرابهم في قلوب الوطنيين كراهة الانسلاخ عن الوطنية، والاندماج في قومية المستعمر ـ مما يفتل عنق ذلك القانون، ويجعله كالمرقوم على صحيفة غدير ماء تخفق عليه أرواح عاصفة.

وليس لفرنسا وقتئذ إلا أن تعضَّ سياستها ندماً على وضع قانون تعتدي به على مملكة مستقلة، ولم تجن منه ثمرة، بل غرست به أضغاناً بالقلوب، ومخازي في صحف التاريخ، و ليست الأضغان في قلوب الرجال الناهضين إلا شراراً لا يلبث أن يتأجَّج، ويندلع منه لهيب فتنة شعواء»[2].

فهذا ـبإيجازـ هو حال البلدان التونسية في أواخر القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين، وشيء من تأثر الشيخ الخضر به، وتأثيره فيه.

١ـ الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين ص٦٠.

٢ـ المرجع السابق ص٦٠ـ٦١.

المطلب الثالث: حال البلاد المصرية

الحالة السياسية والاجتماعية، والعلمية، والدينية في مصر في أواخر القرن التاسع عشر الهجري، وبداية القرن العشرين الميلادي كانت مسبوقة بأحوال كانت إرهاصاً لتلك الحالة.

ولعل أبرز ما في ذلك ما كان من شأن الحملة الفرنسية على مصر؛ فلقد هبَّت مصرُ من سباتها فزعة مذعورة حين دوَّت في آفاقها مدافع نابليون سنة ١٧٩٨م، وأخذت تُقَلِّب الطرف دهشةً في هذه الجيوش العجيبة، والوجوه الغريبة؛ فكان أول عهد لها بالإفرنج بعد عصر صلاح الدين الأيوبي.

ولكن شتان بين العهدين؛ ففي الأول كانت قوية عزيزة لا تزال فيها أثارة من علم وأدب، وكانت أوربا لا تزال تتحسس طريقها نحو النور[1].

لقد اصطحب نابليون معه كُلَّ عُدَدِ الاستعمار، والاستغلال، والإيقاظ.

وكانت دهشة المصريين جدُّ عظيمة مما رأوا من مظاهر هذه المدنية الجديدة؛ إذ أنشأ نابليون مسرحاً للتمثيل كانوا يمثلون فيه رواية فرنسية كل عشر ليال، ومدارس لأولاد الفرنسيين، وجريدتين، ومصانعَ، ومعملاً للورق، وأسس مراصدَ فلكيةً، وأماكنَ للأبحاث الرياضية، والنقش والتصوير في حي الناصرية، كما أسس مكتبة عامة جُمِعَتْ كُتبها من بعض المساجد والأضرحة، وفيها كثير من الكتب الفرنسية التي أحضرتها الحملة معها.

كما أنشأ المجمع العلمي المصري على نظام المجمع العلمي الفرنسي.

وقد بذل الفرنسيون غاية جهدهم في تقريب المصريين إليهم، وترغيبهم في أسباب الحضارة.

١ـ انظر في الأدب الحديث لعمر الدسوقي، دار الفكر، ط٨، ١٩٧٣م، ٢١/١.

لقد كانت حملة نابليون هزة عنيفة لمصر أيقظتها من سباتها الطويل.

ولقد نظم نابليون شؤون مصر الداخلية تنظيماً حسناً يشهد له بالنبوغ الإداري فوق نبوغه الحربي على الرغم من قصر المدة التي أقامها بمصر حيث ذهب عام ١٨٠١م

بيد أن شراسةَ رجال الحملة، واستخفافَهم بالشعب المصري، ودينه، وتقاليده، وانتهاكهم حرمةَ الأهالي جهاراً، ونهبهم القرى الآمنة، وإفزاع أهلها، وفرض الضرائب على الأوقاف الخيرية التي كان يصرف ريعها على المساجد، وطلاب العلم، وفرضها كذلك على المساجد ـ كل ذلك جعل قلوب المصريين تنفر من نابليون وإصلاحاته وعلمه، وتنظر إليه نظر الناهب المستبد؛ فثاروا في أكتوبر سنة ١٧٩٨م، فأخمد ثورتهم في قسوة عارمة، وانتهك حرمة المساجد.

ثم حاول عبثاً بعد ذلك أن يتألف قلوبهم، أو يستميلهم إلى المدنية الغربية، وإن كَلِفوا بها بعد خروج الحملة الفرنسية من مصر، واتخذوا ما وضعه لهم أساساً للإصلاح الداخلي[١].

ثم أتيحت الفرصة لمصر كي تنهض، وتتبوأ مركزها بين أمم العالم باستيلاء محمد علي على عرش مصر؛ حيث هبط أرضها مع الجيوش الإنجليزية، والتركية التي حشدت لمنازلة نابليون، وإخراجه من مصر.

لقد كان محمد علي جندياً ألبانياً عسكرياً بحتاً، وكان أمياً لا يحسن الكتابة[٢].

وقد أعجب منذ نعومة أظفاره بأوربا، وخاصة فرنسا أيما إعجاب، وحاول أن ينشئ دولة قوية خالصة لنفسه وذريته من بعده، فأفادت منه مصر، وإن كان قد حكمها حكماً استبدادياً.

١ـ انظر الأدب الحديث ٢٤/١، وسموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، أنور الجندي، دار الجيل، بيروت، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ص٥٠ـ٥١.

٢ـ انظر مصر الحديثة لجورجي زيدان ص١٩٩، والإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي، لجنة التأليف والنشر، ط٣، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٣٧٣.

وكان محمد علي طموحاً يريد أن يرى مصر في أسرع وقت لا تقل في حضارتها وقوتها عن دول أوربا؛ فوضع أسس نهضة شاملة: في الجيش، والصناعة، والزراعة، والتعليم، والإدارة؛ حتى يكون البحث عاماً يدفع بعضه بعضاً، ووجد أن خير وسيلة تنهض بالشعب المصري الاهتمام بالتعليم؛ فسلك في سبيل تعليم الشعب كافة الطرق من بعثات، وطباعة، وفتح مدارس، وتأسيس صحافة، ونقل آثار الأمم الغربية في العلوم والآداب[١].

ولهذا تعدُّ مصر الحديثة ابنة محمد علي وأسرته.

وقد عاش الشيخ محمد الخضر حسين أطول فترات مكثه في مصر تحت ظل حكم تلك الأسرة، إلى أن قامت الثورة المصرية.

وما من ريب أن لتلك الموجة التي ركبها محمد علي وأولاده من بعده من استلهام الحضارة الغربية في سبيل الإصلاح والبناء، وما ابتعثوه من بعثات، وما استقدموه من رجال يحملون في آراء بلدانهم؛ لينشروها في بلاد المسلمين، وينظر إليهم نَظْرَةَ المنقذِ للبلاد، الساعي إلى نهضتها ـ لا ريب أن لهذا كلِّه أبلغَ الأثر في نشوء حالة جديدة، وأفكار لم تعهدها بلاد المسلمين[٢].

يضاف إلى ذلك ما كان في تلك البلاد من بدع، وخرافات، وعقائد باطلة تنخر في جسد الأمة، وتمزق أوصالها.

ولقد ظهر على الساحة في ذلك الوقت أفكار، ورؤى لم تكن موجودة من

١ـ انظر تفصيل ذلك في الأدب الحديث ١/٢٤ـ٣٠، ومصر الحديثة لجورجي زيدان ص ١٦٨ـ١٩٧، والانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة، لعلي بن بخيت الزهراني، دار الرسالة للنشر والتوزيع، مكة، ص ١٦٠ـ١٧٩.

٢ـ انظر الإسلام والحضارة الغربية د. محمد محمد حسين، المكتب الإسلامي، ط١، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ص ١٢ـ١٥، ومنهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ص ٥١، والدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط ص ٣٧٢ـ٣٨٢.

قبل؛ فمن ذلك أن عقلية الإلحاد انتقلت من أوربا إلى مصر؛ ذلك أن الأوربيين في العصر الحديث صار لهم قوة وغلبة على أمم العالم، وقد كانوا من قَبْلُ قد اعتنقوا المسيحية الجديدة.

وبعد اطلاعهم على نتائج بحوثهم الحديثة، ورُقيِّهم في الصناعات، واطلاعهم على موقف الكنيسة من هذا التقدم بدا لعقلائهم أن دينهم الذي اعتنقوه لا يتفق مع العلم والعقل، ثم طردوا هذه النتيجة على كل دين؛ فحدثت القطيعة بين العلم والكنيسة؛ فكان ذلك منشأ الإلحادِ في أوربا، وانتقل إلى مصر من خلال الغزاة المستعمرين، أو الذين ابتعثوا إلى أوربا متعلمين[١].

لذا فشت عقلية الإلحاد بين المتعلمين المصريين في المدارس الجديدة التي لم يكن فيها صبغة دينية[٢].

ولم يتوقف الأمر عند مسألة الإلحاد التي تعد نقضاً لأصول الدين، بل تعدى ذلك إلى مسائل أخرى؛ حيث نادى جماعة من المتعلمين على الطريقة الحديثة بطرح الفروع الفقهية بدعوى عدم مناسبتها للحالة العصرية؛ فظهر حول حجاب المرأة كتابان لقاسم أمين[٣] هما (تحرير المرأة) و (المرأة الحديثة)[٤].

١ـ انظر موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ١/١٦٦ و ٢١٦.

٢ـ انظر الإسلام والحضارة الغربية ١١ـ١٢.

٣ـ هو قاسم بن محمد أمين المصري، ١٢٧٩هـ ـ ١٣٢٦هـ، ١٨٦٣م ـ ١٩٠٨م.
كردي الأصل، ولد ببلدة طره بمصر، وانتقل مع أبيه إلى الإسكندرية، فنشأ بها، وتعلم، ثم بالقاهرة، وأكمل دراسة الحقوق في دمونيليه بفرنسا، وعاد إلى مصر سنة ١٣٨٥م، وتوفي في القاهرة، له كتابا: (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) وكان لصدورهما دوي. انظر الأعلام للزركلي ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ٥/١٨٤، وانظر الاتجاهات الوطنية ١/١١١ و٢٩٣ـ٣١١، و٢/٢٤٨ـ٢٥٥.

٤ـ سيأتي الحديث عن هذه المسألة في الباب الخامس عند الحديث عن موقف الشيخ الخضر من قضية تحرير المرأة.

كما ظهرت دعوات لنبذ الحكم بما أنزل الله، والمطالبة بالعلمانية، وأبرز ما كتب في ذلك كتاب الشيخ علي عبدالرازق[١] (الإسلام وأصول الحكم)[٢].

وشاع في ذلك الوقت الطعنُ في الشريعة الإسلامية، واعتقاد عدم صلاحيتها لهذا الوقت[٣]، وشاع الانحراف في تأويل القرآن الكريم، والطعن في مقام النبوة، وفي السنة النبوية[٤]، كما ظهرت دعوات كثيرة تناقض الإسلام كدعوات التنصير[٥]، والدعوة إلى اعتناق المذاهب الهدامة كالدعوة إلى البابية والبهائية[٦] والقاديانية[٧] ونحوها.

كما شاع في ذلك دعوات تنادي بالتغريب[٨]، وتطعن باللغة العربية، وتنادي

١ـ هو علي بن حسن بن أحمد عبد الرزاق ١٣٠٥هـ ـ ١٣٨٦هـ، ١٨٨٨م ـ ١٩٦٦م، ولد بـ: أبي جرج من أعمال المنيا، وتعلم في الأزهر، ثم أكسفورد، ألف كتاب (الإسلام وأصول الحكم) وأثار ضجة كبيرة، وسحبت منه شهادة الأزهر، وانصرف إلى المحاماة، وانتخب عضواً في مجلس النواب؛ لمجلس الشيوخ، وعين وزيراً للأوقاف، وسيأتي مزيد بيان لسيرته، والمعارك التي واجهها. انظر الأعلام ٣٢٥/٦، ومن أعلام العصر د. محمد رجب البيومي والدار المصرية اللبنانية ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٣٠٥ـ٣١١.

٢ـ انظر رسائل الإصلاح للإمام محمد الخضر حسين ١٨٤، والهداية الإسلامية ص٢٠٤، وكتابات حول الإمام محمد الخضر حسين ١٠١.

٣ـ انظر الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص٧.

٤ـ انظر دراسات في الشريعة الإسلامية ص٢١، والشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص٧٩، وص١٣٩.

٥ـ انظر رسائل الإصلاح ص١٨١، والهداية الإسلامية ص١٧٨ـ٢١٦، وملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص٩٦.

٦ـ انظر دراسات في الشريعة الإسلامية ص٨٠١ـ٨٠٢، ورسائل الإصلاح ص١١٧، والقاديانية والبهائية ص٦٨ـ٨٨.

٧ـ انظر بلاغة القرآن ص٢٦٧ـ٢٧١، والقاديانية والبهائية ص٥ـ٦٧، وكتابات حول الإمام محمد الخضر حسين ٢٠٤.

٨ـ انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص٨١، و ص ٩٨.

باستعمال اللهجات العامية[١]، زيادة على ذلك ما كان من استشراء البدع، والخرافات التي كانت فاشية في أكثر مجتمعات المسلمين[٢].

ولقد بدا جلياً أثرُ ذلك على الشيخ محمد الخضر حسين الذي كان ينظر في تلك الأحوال، ويواجهها بما أوتي من وسائل، وقوة.

فهذه ـ بإيجاز ـ هي حال العصر الذي عاش في الشيخ الخضر.

١ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص ١٤٢، ودراسات في اللغة العربية للشيخ محمد الخضر حسين.

٢ـ انظر أسرار التنزيل ص٤٥، و ص ٣٦٦، وبلاغة القرآن ص٦٣٧، والانحرافات العقدية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ص ٢٦٩ـ٤٢٧.

الفصل الأول: حياة الشيخ محمد الخضر
المبحث الأول: نشأته

المطلب الأول: اسمه ومولده ونسبه

أولاً: اسمه: أما اسمه الذي اشتهر به فهو محمد الخضر حسين، وهو المعروف في الأوساط العلمية والثقافية[١].

وهو الاسم المعروف المشهور الذي ارتضاه، وكان يمضي رسائله، ومقالاته، ومؤلفاته به.

وهو الاسم الذي عَرَفَهُ الناس به، ولم يختلف فيه أحدٌ ممن ترجم له[٢].

أما اسمه الأصلي الذي سمي به فهو محمد الأخضر بن الحسين.

وقد اختَلف مَنْ ترجم له في سبب إبدال الأخضر بالخضر، يقول الأستاذ محمد مواعده: «أُبدلت كلمة الأخضر بالخضر منذ طفولته، وأظن أن سبب ذلك رغبة في اختصار الاسم»[٣].

وقد يكون سمي بذلك تيمنا بالخضر -عليه السلام-[٤].

وقد أشار الأستاذ مواعده -أيضاً- أن كلمة ابن حُذِفت بعد سفره إلى المشرق العربي؛ مسايرة للطريقة الشرقية في التسمية، مثل: عباس محمود العقاد، وطه حسين[٥] [٦]

١- انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٣. وانظر التراجم له في كتاب محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر، وملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص٣١، وص٥١، وص٨١.

٢- انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٣.

٣- انظر المرجع السابق ص١٣.

٤- أشار إلى ذلك -أيضاً- الأستاذ محمد مواعده: انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٣.

٥- انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٣.

٦- هو طه بن حسين بن علي بن سلامة الدكتور في الأدب، ولد في قرية الكيلو في محافظة المنيا بالصعيد المصري عام ١٣٠٧هـ/١٩٨٩م، وتوفي ١٣٩٣-١٩٧٣م، أصيب بالجدري في الثالثة من عمره فكف بصره، وبدأ حياته في الأزهر ١٩٠٢م، ثم بالجامعة المصرية القديمة، ونال شهادة الدكتوراه في كتابه (ذكرى أبي العلاء) وسافر في بعثة إلى باريس، فتخرج بالسوربون عام ١٩١٨م، وعاد إلى مصر، وعين محاضراً في كلية الآداب بجامعة القاهرة، ثم عميداً للكلية، فوزيراً للمعارف، له كتب منها (حديث الأربعاء) و (في الشعر الجاهلي) وقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبرى، وسيأتي مزيد حديث عنه. انظر الأعلام ٢٣١/٣ والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٣١٢/١ و ٢٦/٢ و١٧٢ و٢٩٦.

وهناك رأي حول إبدال اسمه؛ حيث يقول الأستاذ كمال العريف: «وقد أبدل اسمه فيما بعد إلى محمد الخضر حسين بناءً على اقتراح الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور»[١].

ثانياً: مولده: ولد الشيخ محمد الخضر رحمه الله في مدينة نفطة من مقاطعة الجريد بتونس.

وكانت ولادته في ٢٦ / رجب / ١٢٩٣هـ على أصح الأقوال؛ حيث إن ذلك التاريخ مذكور في ترجمة أحمد تيمور باشا[٢] للخضر؛ حيث ترجم له تيمور في كتاب أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث[٣].

ويظهر أن الشيخ الخضر هو الذي كتب هذه الترجمة التي ذكر فيها التاريخ الآنف، وأعطاها صديق عمره أحمد تيمور باشا، المتوفى سنة ١٣٤٨هـ، والذي أوصى الخضر أن يدفن بجواره، فدفن بجواره.

وهذا ما يؤكد ويرجح أنه ولد في ذلك التاريخ[٤].

وكما اختلف في عام ميلاده اختلف كذلك في يوم ميلاده، فقيل: ولد في ٢٩/رجب/١٢٩٣هـ، وقيل: في ٢٦/رجب، وقيل: ٢٧/رجب، ولعل الأقرب أنه ولد في ٢٦/رجب/ ١٢٩٣هـ[٥].

١ـ انظر الإمام محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر ٢٠٢ .

٢ـ هو أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور، ١٢٨٨ـ١٣٤٨هـ/١٨٧١ـ١٩٣٠م.

عالم بالأدب، باحث، ومؤرخ مصري من أعضاء المجمع العلمي العربي، مولده ووفاته بالقاهرة من بيت فضل ووجاهة، كردي الأصل، مات أبوه وعمره ثلاثة أشهر، فربته أخته عائشة، وسمي حينه ولد (أحمد توفيق) ودُعي في طفولته بتوفيق، ثم اقتصروا على أحمد، واشتهر بأحمد تيمور، وتلقى العلوم في مدرسة فرنسية، وأخذ الأدب من علماء عصره، وجمع مكتبة قيمة، وكان رضي النفس، كريماً، متواضعاً، توفيت زوجته وهو التاسعة والعشرين من عمره، ولم يتزوج بعدها؛ مخافة أن تسيء الثانية لأولاده، وانقطع إلى خزانة كتبه ينقب فيها، ويعلق، ويفهرس إلى أن أصيب بفقد ابن له اسمه محمد سنة ١٣٤٠، فجزع، ولازمته أزمة قلبية انتهت بوفاته، وتألفت بعد وفاته لجنة لنشر مؤلفاته، ومن كتبه: (التصوير عند العرب) و (تصحيح لسان العرب) و (تصحيح القاموس المحيط) و (لعب العرب). انظر تراجم الرجال ص ١٢٤ـ١٣١، والأعلام ١/١٠٠ .

٣ـ انظر الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين ٣٠٥.

٤ـ انظر الشيخ محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص ١٣ـ١٤، وكتابات حول الإمام محمد الخضر حسين ١٩٠.

٥ـ انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص٣٣، ومحمد الخضر حسين حياته وآثاره ص ١٣ـ١٤.

ثالثاً: نسبه: أما نسبه فهو محمد الخضر بن الحسين بن علي بن أحمد بن عمر ابن الموفق بن محمد بن أحمد بن علي بن عثمان بن يوسف بن عمران بن يوسف ابن عبدالرحمن بن سليمان بن أحمد بن علي بن أبي القاسم بن علي بن أحمد بن حسن ابن سعد بن يحيى بن محمد بن يونس بن لقمان بن علي بن مهدي بن صفوان بن يسار ابن موسى بن عيسى بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبدالله الكامل ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ[1].

أما أبوه فهو الحسين بن علي من مريدي الشيخ مصطفى بن عزوز صاحب الطريقة الرحمانية.

وجده للأب الشيخ علي بن عمر، وهو من العلماء، وأصله من عائلة العمري من قرية (طولقة) وهي واحة من واحات الجنوب الجزائري[2].

وأما أمه فهي السيدة الصالحة حليمة السعدية بنت الشيخ مصطفى بن عزوز، وهي من الشهيرات بالتقى، والعلم والصلاح، ولدت في تونس سنة ١٢٧٠هـ، وتوفيت بدمشق سنة ١٣٣٥هـ، فرثاها ابنها الشيخ محمد الخضر بقصيدة عنوانها (بكاء على قبر) وتقع في ثلاثة وعشرين بيتاً، ومما قاله فيها:

قطّب الدهر فأبديت ابتساما وانتضى الخطب فما قلت سلاما

إلى أن قال:

أفلا يبكي الفتى نازحةً سهرت من أجله الليل وناما

وانتشت ترشفه من أدب مُذْ لها عن لبن الثدي فطاما

بنت عزوز لقد لَقَّنْتِنا خشية الله وأن نرعى الذماما

ودرينا منك ألا نشتري بمعالينا من الدنيا حطاما

١ـ انظر سلسلة ذلك النسب وعموده، وشهوده في كتاب كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين ص١٣ـ٢٤.

٢ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص ١٣ـ١٤.

ودريـــنـــا مـــنـــك أن الله لا يخذل العبد إذا العبد استقاما

ودرينـــا كيـــف لا نعنـــوا لمن حارب الحقَّ وإن سل الحساما

إلى أن قال في آخرها:

فادخـلـي في سلـــف قُمْتِ علـــى هديه الحقُّ وأحسنت القياما

واسعـدي نزلاً إلـــى الملقـــى إلـــى يوم لا نخشى على الأنس انصراما[1]

وأما جده للأم فهو الشيخ مصطفى بن محمد بن عزوز، وأصله من قرية تسمى البرج من قرى وادي سوف بواحات الجنوب الجزائري.

وقد استقر ببلدة نفطة التونسية سنة ١٢٥٧هـ، وأحدث بها مدرسته الحافلة، وأنشأ بها بيوتاً لسكن المنقطعين لقراءة القرآن، وتَعلُّمِ العلم، وحشد لها العلماء الأعلام من كل جهة؛ ليدرسوا فيها فنون العلم على اختلاف مشاربها.

وكانت شهرة الشيخ مصطفى العلمية والدينية تملأ الأصقاع، كما كانت له مكانة عالية لدى السلطة الحاكمة، خاصة لدى الباي محمد الصادق الذي كانت مدة ولايته مابين ١٨٥٩م ـ ١٨٨٢م[2].

وأما خال الشيخ محمد الخضر حسين فهو الشيخ العلامة محمد المكي بن عزوز ذو الشهرة الواسعة في تونس، والجزائر، وفي الآستانة.

وقد انتخب في عهد الوزير خير الدين باشا لِخُطَّة الإفتاء ببلدة نفطة، وهو في عهد الشباب؛ ثم انتقل إلى تونس للتدريس بجامعة الزيتونة، ثم ارتحل إلى دار الخلافة بتركيا، واستقر بالآستانة إلى نهاية حياته، ونال شهرة علمية عالمية؛ فهو من كبار علماء عصره؛ حيث اشتهر بالحديث، والفقه، والأصول، والأدب،

١ـ انظر ديوانه: خواطر الحياة ٢٢٣ـ٢٢٥.

٢ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص ١٥ـ١٦، وكتاب الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين ٣٠٥.

مع الصلاح الظاهر، والتجرد لطلب الحق[١].

وكان من أكثر الناس أثراً على الشيخ الخضر، وأمَنِّهم عليه في العلم[٢].

وقد توفي العلامة محمد المكي بن عزوز في الآستانة سنة ١٣٣٤هـ، ورثاه الشيخ محمد الخضر بقصيدة عنوانها (ههنا شمس علوم).

وقد قالها بعد عودته من ألمانيا إلى الآستانة بعد وفاة خاله بشهرين، فزار قبره، ورثاه بهذه القصيدة التي يقول طالعها:

ربَّ شمس طلعت في مغرب وتوارى في ثرى الشرق سناها

ههنا شمسُ علومٍ غربت بعد ان أبْلت بترشيش ضحاها[٣]

وكان للشيخ أربعة إخوة، وثلاث أخوات.

أما الإخوة فهم الشيخ محمد الجنيدي، وهو أكبرهم سناً، وقد عاد إلى تونس، ثم الجزائر، ودفن في مدينة طولقة.

ويليه الشيخ محمد الخضر، ويليه الشيخ محمد العروسي، وقد توفي بدمشق، ويليه العلامة اللغوي محمد المكي بن الحسين الذي عاد من دمشق إلى تونس، ودفن فيها، ويليه العلامة اللغوي الشيخ زين العابدين الذي دفن في دمشق.

وأما الأخوات فهن زبيدة، وميمونة، وفاطمة الزهراء، وقد دُفنَّ في دمشق[٤].

١ـ يشهد له بتجرده، وطلبه الحق ما جاء في المكاتبات بين العلامتين القاسمي والألوسي؛ حيث أثنيا عليه، وذكرا شيئاً من تجرده، وصدقه، وفضله، ورجوعه إلى مذهب السلف بعد أن تبين له الحق، وكذلك إنصافه لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وتثبته عما يثار حولها من الأكاذيب. انظر تفصيل ذلك في كتاب: الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي جمع وتحقيق الشيخ محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، ص١٠١ـ١١٧.

٢ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص ١٧ـ١٨، والإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين ٣٠٦.

٣ـ ترشيش: اسم قديم من أسماء تونس. انظر ديوان: خواطر الحياة ص٢٥٨.

٤ـ انظر كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين ١٨٣، وملتقى الإمام محمد الخضر حسين ص٣٤.

وقد كانت دمشقُ مهاجرَ الأسرة المكونة من ثلاثين فرداً ما بين شيوخ وأطفال، تتقدمهم والدة الشيخ الخضر السيدة حليمة السعدية، وذلك عام ١٩١٣هـ.

وسبب الهجرة ـكما يقول الأستاذ علي الرضا الحسينيـ رغبةُ الإمام في الانتقال إلى الشرق بعد أن ضاق عليه الخناق في تونس، وملاحقة السلطات الاستعمارية له، وحيث مجالُ عمله هناك أوسع نطاقاً.

وسبب آخر هو نظرة المغاربة إلى بلاد الشام؛ حيث يَدْعونها (الشام الشريف)[1].

١ـ انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص٣٥.

المطلب الثاني: تلقيه العلم

نشأ الشيخ محمد الخضر حسين في كنف تلك العائلة الكريمة، وهي عائلة علم وثقافة، ودين وأدب ـكما مرَّ ذلك قبل قليلـ.

وكانت بلدتُه نفطةُ ذاتُ واحاتِ النخيل الجميلة الفيحاء، والمياه المتدفقة الصافية في ذلك العهد ـ مقراً للعلم والعلماء؛ فكانت تُلَقَّب بالكوفة الصغرى؛ تشبيها بمدينة الكوفة المركزِ العلمي الشهير بالعراق؛ لما كانت تعج به من فرق مختلفة، ومن حلقات العلم، والتدريس والمناظرة[١].

ويوجد بهذه البلدة ـنفطةـ عدد كبير من الجوامع والمساجد يتجاوز الأربعين، وكان أغلبها مواطنَ علمٍ يُتلى فيها كتاب الله، وتُلقى دروس الفقه، والحديث، واللغة، والأدب، ويجتمع فيها العلماء للتباحث والمناظرة.

وكان يسكن في البيوت التي تحيط بالمساجد طلاب العلم الذين كانوا يتوافدون من الجزائر خاصة، ومن عدد من أنحاء البلاد التونسية؛ للتحصيل والدرس.

ولم يكن الطالب القادم يخشى الحاجة المادية؛ إذ كان يتكفل بمساعدته عائلةٌ من العائلات المجاورة للجامع إذا لم يكن لهذا الجامع أوقاف يُنْفق منها على الطلاب.

وكان كل ذلك حباً في العلم، وتشجيعاً على التعلم[٢].

وكانت برامج الدراسة تتمثل في حفظ القرآن الكريم، ومتون اللغة، والفقه، وفي حضور حلقات الدرس التي كانت تُنَظَّم في الفقه، والتوحيد، والنحو، والصرف، والحديث.

وكانت بلدة نفطة منطقة واحات يعيش أهلها حياة الفِلاحة، لكن صاحب الجاه، والخطوة لم يكن الفلاَّحَ الذي يمتلك الأراضي الشاسعة، بل إن رجل العلم

١ـ انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص٣٣، ومحمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٨.

٢ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص ١٨ـ١٩ .

هو الذي يحتل تلك المكانة؛ فقد كان صاحب الكلمة المسموعة، والرأي الراجح[١].

ولقد تربى الشيخ الخضر في هذه البيئة العامة التي يسيطر عليها العلم، وتغمرها الثقافة والأدب، ويحيط بها الوازع الديني الإيماني من كل جانب.

كما تربى في تلك البئية العائلية ـعائلة ابن عزوزـ التي اشتهرت ـكما مرـ بالعلم، والثقافة، والأدب إلى جانب السياسة والجهاد[٢].

وقد أشار الشيخ محمد الخضر إلى أن الإطار الأدبي الذي كان موجوداً في نفطة مدة طفولته، فقال في مقدمة ديوانه الشعري خواطر الحياة: «نشأتُ في بلدة الجريد بالقطر التونسي، يقال لها نفطة، وكان للأدب المنظوم والمنثور في هذه البلدة نغمات تهب في مجالس علمائها، وكان مَنْ حولي من أقاربي وغيرهم مَنْ يقول الشعر، فتذوقت طعم الأدب من أول نشأتي، وحاولت في سن الثانية عشرة نظم الشعر»[٣].

ولا ريب أن من يأتي على رأس أولئك العلماء الأدباء أستاذه وخاله العلامة محمد المكي بن عزوز الذي كان مهتماً به اهتماماً خاصاً، ويرعاه رعاية كاملة.

وفي هذا الوسط العائلي تُلَقِّن الأمُّ أبناءها علوم الشريعة، واللغة، وتحرك أشواقهم بالحديث عن الأزهر الذي كان محط الأنظار، ومظهر الإعجاب.

ومن غرائب ما يمر بالناظر في سيرة الشيخ الخضر ـكما روى الشيخ وروى بعض أقاربهـ أن أمه حليمة السعدية بنت الشيخ مصطفى بن عزوز كانت تُرَقِّصه وهو صغير، وتداعبه بقولها:

إن شـــاء الله يـــا أخضـــر تكبـــر وتـــروح الأزهـــر

١ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٩، والإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي ص٤٠.

٢ـ انظر الإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي ص٣٩.

٣ـ انظر خواطر الحياة ص٧.

وبعد ما يقرب من ثمانٍ وسبعين سنة وفي شهر المحرم من سنة ١٣٧٢هـ يصبح ذلك الوليد التونسي إماماً للجامع الأزهر!![١].

وهكذا تربى الشيخ الخضر في هذه البيئة العلمية الأدبية؛ فحفظ القرآن الكريم على مؤدبه الخاص الشيخ عبدالحفيظ اللموشي، ودرس بعض العلوم الدينية واللغوية على عدد من العلماء، وعلى رأسهم خاله الشيخ محمد المكي بن عزوز.

ولما بلغ الشيخ السنة الثالثة عشرة من عمره انتقلت أسرته من نفطة إلى تونس العاصمة، وذلك في أواخر سنة ١٣٠٦هـ[٢].

ويرى الأستاذ محمد مواعده أن سبب ذلك الانتقال هو حرص العائلة على تمكين الشيخ الخضر من مواصلة الدرس والتعلم بجامع الزيتونة مع إخوته الآخرين؛ إذ كان جامع الزيتونة قبلة طلاب العلم من جميع الأمصار[٣].

وفي ٤/رجب/١٣٠٧هـ دخل الشيخ الخضر جامع الزيتونة، وحصل على شهادة التطويع يوم الأحد ١٤/صفر عام ١٣١٦هـ.

وفي جامع الزيتونة درس الشيخ على كبار شيوخه الذين كانوا أعلام ذاك العصر في تونس، كالشيخ سالم بو حاجب، وعمر بن الشيخ، ومحمد الوزير، وأحمد بوخريص، وخاله الشيخ محمد المكي بن عزوز، والشيخ محمد بن يوسف، والشيخ الطيب النيفر، والشيخ محمد النجار[٤].

١ـ انظر أحاديث في رحاب الأزهر ص٥ و ص٢٣٩، والإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي ص ٣٩ـ٤٠.

٢ـ انظر الإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي ص٤٠، ومحمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٩ـ٢٠.

٣ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص٢١، والإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي ص ٤٠.

٤ـ انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص٣٣، والإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي ص٤٢، وقد ترجم الشيخ الخضر لهؤلاء العلماء، وتعرض لسيرهم في كثير من مؤلفاته خصوصاً في كتابه (تونس وجامع الزيتونة).

وقد قرأ على هؤلاء العلماء وغيرهم الكثير من الكتب في شتى الفنون.

وبمجرد إلقاء نظرة في دفتر شهادات الشيخ الذي يتضمن تصحيح مشايخه له فيما درسه عليهم من كتب يتضح كثرة تلك الكتب، وتنوعها.

فمما جاء في دفتر شهاداته في جامع الزيتونة إبان دراسته فيه: قراءته كتاب القطر، والكفاية، وكتاب الشيخ المكودي على الخلاصة تصحيح الشيخ محمد صالح الشريف.

والأربعين النووية، وبانت سعاد، والخزرجية في العروض، ومقامات الحريري، والجزرية في التجويد تصحيح الشيخ محمد المكي بن عزوز، ولامية الأفعال، والأشموني، والمطالع القطرية، ومختصر السعد تصحيح الشيخ إسماعيل الصفايحي، والسمرقندية بشرح الملوي، وإيساغوجي، والخبيصي على التهذيب تصحيح الشيخ مصطفى بن خليل، والدردير على المختصر الخليلي تصحيح الشيخ محمد المكي بن عزوز، والحلي على جمع الجوامع تصحيح الشيخ مصطفى رضوان، والوسطى، والبيقونية بشرح الزرقاني تصحيح مصطفى بن خليل، والمطول والتاودي على العاصمية ـالشاميةـ تصحيح الشيخ أحمد بو خريص، والشفا بشرح الشهاب تصحيح الشيخ محمد جعيط، وشرح القطب على متن الشمسية تصحيح أحمد بن مراد، والشيخ التاودي على التحفة تصحيح الشيخ عمر بن الشيخ، وغيرها كثير من الكتب[١].

بل لم يقتصر الشيخ الخضر على الدارسة الزيتونية فحسب، بل تابع دروسه باهتمام، وكان يحضر بعض حلقات الدروس الأخرى زيادة على البرنامج الأصلي؛ رغبة في التعمق والاطلاع.

وقد كان محلَّ رعايةٍ خاصة من طرف جلِّ الشيوخ المدرسين، وخاصة البارزين منهم؛ نظراً لما لمسوا فيه من النجابة، والنبوغ، والألمعية، ولِمَا لخاله الشيخ محمد المكي بن عزوز من المكانة، والشهرة؛ حيث كان ابن عزوز يلقي دروساً بجامع الزيتونة تطوعاً، وكانت من أكثر الدروس شهرة، ويحضرها بعض الشيوخ، وعدد كبير من الطلاب[٢].

١ـ انظر الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين ص ٧٨ـ١٦٠ .

٢ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص٢٥ .

هذا وقد تأثر الشيخ محمد الخضر بعدد من شيوخه العلماء الذين كان حريصاً لا على متابعة دروسهم فحسب، بل كان كذلك على حضور مجالسهم، والاستماع إلى أحاديثهم ومناظراتهم في شتى فنون الأدب، واللغة والدين.

وأبرز هؤلاء الشيوخ ثلاثة: وهم الشيخ سالم بو حاجب[١]، والشيخ عمر ابن الشيخ[٢]، والشيخ محمد النجار[٣].[٤]

١ـ هو الشيخ سالم بن عمر بو حاجب النبيلي ١٢٤٣ـ١٣٤٢هـ ـ ١٨٢٧ـ١٩٢٤م، من أكابر علماء الزيتونة في وقته، تولى التدريس بجامع الزيتونة، ثم الفتيا سنة ١٣٢٣هـ، ثم عين كبيراً لأهل الشورى المالكية، له شرح عن ألفية ابن عاصم في الأصول، وديوان خطب، ورسائل وتقريرات على البخارين واشترك مع خير الدين باشا في تحرير كتابه: (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) وله نظم جيد، وكان ذا حافظة واعية، وذهن وقاد.

ترجم له الخضر ترجمة وافية عنوانها: (سالم بو حاجب آية من آيات العبقرية). انظر الأعلام ٧١/٣، وتونس وجامع الزيتونة ص ١٨٢ـ١٩٠ .

٢ـ هو الشيخ عمر بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن قاسم المعروف بابن الشيخ، ولد بقرية يقال لها: (الماثلين) من عمل (بنزوت) حدود سنة ١٢٣٩، وقدم به والده تونس صبياً، فنشأ بها، وعندما بلغ أحد التعليم أقام له معلماً للقرآن، ثم دخل الجامع الأعظم جامع الزيتونة سنة١٢٥٩، فتلقى العلم على كبار الأساتذة، ولما اشتد ساعده جلس للتدريس بجامع الزيتونة سنة١٢٦٦، وكان أسلوبه في التدريس من أنفع الطرق؛ حيث كان يقرر عبارة المتن، ويبسطها حتى يتضح المراد منها، ثم يأخذ في سرد عبارات الشرح، وما تمس الحاجة إليه.

تنازل سنة ١٣٢٤ عن مرتب التدريس للمتطوعين بالتدريس بالجامع الأعظم، وأوصى لهم بقطع من المزارع يصرف لهم ريعها بعد وفاته التي كانت في الثالث من المحرم عام١٣٢٩هـ. انظر تونس وجامع الزيتونة ص ١٤٠ـ١٤٥ .

٣ـ هو العلامة أبو عبدالله محمد بن عثمان بن محمد النجار، ولد في ١٥/شعبان عام١٢٥٥هـ، ودخل جامع الزيتونة عام١٢٧٠، وابتدأ التدريس بجامع الزيتونة عام١٢٧٢هـ، وتولى منصب الإفتاء عام ١٣١٢ حتى توفي ليلة السادس عشر من رمضان سنة١٣٣١هـ، وله مؤلفات منها: (مجموعة إملاءات على أمهات أحاديث صحيح البخاري) و (مجموع الفتاوى) ثمانية مجلدات. انظر تونس وجامع الزيتونة ص ١٢٠ـ١٢٢ .

٤ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص٢٦ .

هذا وقد ترجم الشيخ الخضر لأساتذته هؤلاء، وأفاض في ذكر محاسنهم، وما امتاز به كل واحد منهم، وذلك في كتابه (تونس وجامع الزيتونة).

وهؤلاء الأساتذة وإن تشابهوا في القيمة العلمية والثقافية فقد اختلفوا في أسلوب التفكير، ومعالجة القضايا العلمية وخاصة الإسلامية منها.

كما اختلفوا في نظرتهم إلى الحركة الإصلاحية التي كانت محلَّ حوار ونقاش وجدال لدى الأوساط الفكرية والثقافية في تونس في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ـكما يقول الأستاذ محمد مواعدهـ[1].

ثم يثير الأستاذ مواعده بعد ذلك تساؤلاً، فيقول: «فهل تأثر محمد الخضر بالأستاذ بو حاجب أكثر من بقية الأساتذة؛ واتجه اتجاهاً إصلاحياً؟ أم تأثر بالأستاذ النجار؛ واتجه اتجاهاً محافظاً؟ أم تأثر بالاثنين؛ فكان مزيجاً من النوعين، وشخصيةً ثقافيةً مستقلة تأخذ من كل مصدر من مصادر المعرفة والتفكير بطرف؟»[2].

ولعله توصل في النهاية إلى أن الشيخ الخضر مزيج من النوعين، وأنه كان ذا شخصية مستقلة؛ فكان محافظاً إصلاحياً كما وصفه بذلك العلامة ابن عاشور[3]،

١ـ انظر المرجع السابق ص٢٩ .

٢ـ انظر المرجع السابق ص٢٩ .

٣ـ هو العلامة الشيخ محمد الطاهر بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد الطاهر بن الشيخ محمد بن الشيخ محمد الشاذلي بن العالم عبدالقادر بن الشيخ مَحمَد ـبفتح الميمـ ابن عاشور.

ولد سنة ١٢٩٦ وتوفي في ١٣/رجب/١٣٩٣هـ.

وقد شبَّ في أحضان أسرة علمية، وتلقى العلم كأبناء جيله، حيث حفظ القرآن، واتجه إلى حفظ المتون السائدة في وقته، ولما بلغ الرابعة عشرة التحق بجامع الزيتونة سنة ١٣١٠هـ، وشرع ينهل من معينه، وبرز في علوم شتى، وتولى مناصب عدة، منها: منصب شيخ الإسلام المالكي، وشيخ الجامع الأعظم (الزيتونة) وكان ذا خلق عظيم، وقلم سيال، وبيان ساحر، وله مؤلفات كثيرة أعظمها تفسير التحرير والتنوير، ومقاصد الشريعة الإسلامية، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام. انظر تونس وجامع الزيتونة ص ١٥٤ـ١٥٨، ومحمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله، والتفسير وعلومه لإياد خالد الطباع، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٦هـ ـ٢٠٠٥م، ص ٧٨ـ٨٠، وشيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور د.قاسم بلغالي، ص ٥٦ـ٦٢ .

والشيخ محمد رشيد رضا[١] .[٢]

ثم إن الشيخ الخضر رحمه الله لم يكن ليتوقف عن طلب العلم، والاستزادة من المعرفة، بل إنه كان مواصلاً لذلك، حريصاً على تثقيف نفسه حتى بعد أن صار عالماً يشار إليه بالبنان.

ومن مظاهر ذلك أنه عندما هاجر إلى الآستانة شرع في تعلم اللغة التركية، حتى فهمها، وتدرب على قراءة صحفها[٣].

ولما كان في ألمانيا إبَّان الحرب العالمية الأولى اغتنم فرصة وجوده هناك؛ فتعلَّم اللغة الألمانية، تَعَلُّمَ استفادة أولاً حتى أتقنها، وأصبحت لديه القدرة على الفهم والإفهام، حتى إنه أسهم في ترجمة بعض كتبها إلى اللغة العربية[٤].

كما درس المجتمع الألماني، وعادات الأمة وأحوالها، وأخلاقها، ودرس علوم الكيمياء والطبيعة على يد البروفيسور الألماني (هارد) أحد العلماء المستشرقين[٥].

١ـ هو السيد محمد رشيد بن السيد علي رضا بن السيد محمد شمس الدين بن السيد بهاء الدين بن السيد منلا خليفة البغدادي، أصول هذه الأسرة من الحجاز، ثم انتقلوا إلى العراق، فنزلوا النجف، ثم نزحوا إلى الشام، وسكنوا قرية القلمون، من أعمال طرابلس الشام، ولد سنة ١٢٨٢هـ ـ ١٨٦٥، وتوفي سنة ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م.

فنشأ في القلمون وتعلم فيها وفي طرابلس وتنسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ، فلازم الشيخ محمد عبده، وتتلمذ له، وأصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، وأصبح مرجع الفتيا في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية، وقد رحل رحلات كثيرة، واستقر بمصر إلى أن توفي فجأة في سيارته كان راجعاً بها من السويس إلى مصر.

أشهر آثاره (المنار) و (تفسير القرآن الكريم) و (نداء للجنس اللطيف).

انظر ترجمته الوافية في كتاب: (السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة) لشكيب أرسلان، أضواء السلف، ط١، مطبعة ابن زيدون بدمشق ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م، والأعلام ١٢٦/٦ .

٢ـ انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص٧٨، ومحمد الخضر حسين حياته وآثاره ص٢٠٧ـ٢٠٩.

٣ـ انظر الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين ١٩١.

٤ـ انظر جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية ص١٦، والإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين ص١٩١.

٥ـ انظر جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية ص١٧.

بل إنه لما رحل إلى مصر، واستقر بها بدأ يشعر أنه بحاجة إلى تعلم اللغة الفرنسية وقد تجاوز عمره السبعين، واشتدت رغبته في ذلك عندما أصبح عضواً في جهة الدفاع عن شمال أفريقيا؛ حيث تَرِدُ على هذه المنظمة بالقاهرة صُحُفٌ من الشمال الأفريقي وغيره باللغة الفرنسية، وفيها من الأبحاث ما يقتضي الاطلاع؛ فبحث عن مدرس مصري لهذه اللغة، واتفق معه على إعطاء درس في كل يوم بمقابل مالي، وذلك بمقر جمعية الهداية، وكان ذلك سنة ١٩٤٨م إلى أن أصبح قادراً على القراءة والمطالعة بها[1].

فهذه لمع من سيرته في تلقيه للعلم، وحرصه على الإفادة طيلة مراحل حياته.

١ـ انظر الإرث الفكري ص ١٩١ـ١٩٢.

المبحث الثاني: أعماله

مر عند الحديث عن عصر الشيخ محمد الخضر حسين أنه يمكن تقسيم حياته إلى ثلاث مراحل وهي المرحلة التونسية ١٢٩٣هـ - ١٣٣١هـ، والمرحلة السورية ١٣٣١هـ- ١٣٣٩هـ، والمرحلة المصرية ١٣٣٩هـ - ١٣٧٧هـ.

وأن التقسيم الذي اعتمد الإطار التاريخي والجغرافي قد اتبعه جُلُّ من كتبوا عن حياة الشيخ الخضر، كما درج عليه هو نفسه عن حديثه عن أطوار حياته بمناسبة حفل التكريم الذي أقامه له تلميذه: الدكتور عبدالوهاب المالكي عند زيارته إلى دمشق سنة ١٩٣٧م.[1]

ولا ريب أن هذا التقسيم يعين على فهم مراحل حياته، ومعرفة الأعمال التي قام بها في كل بلد.

وبناءً على ذلك فإن الحديث عن أعمال الشيخ سيسير على هذا النحو من التقسيم، وذلك من خلال المطالب التالية.

---

١ - انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٠-١١.

المطلب الأول: أعماله في المرحلة التونسية

تميزت هذه المرحلة الأولى من حياة الشيخ الخضر التي قضاها بتونس بالتعلم، والتثقف، فتكونت شخصيته، ونضجت أفكاره، واشتهر في الأوساط العلمية باعتداله، وهدوء طبعه، وخلوص نيته، وسعة علمه، وبراعة قلمه.[١]

وقد قام إبَّان تلك الفترة بأعمال جليلة أهمها ما يلي:

أولاً- إصدار مجلة السعادة العظمى: والتي تعد - كما يقول الأستاذ مواعدة - أهم إنجاز قام به الشيخ الخضر في مرحلته التونسية.[٢]

وقد أسس هذه المجلة في شهر محرم سنة ١٣٢٢هـ، وهي أول مجلة عربية ظهرت في تونس، وكانت نصف شهرية، وقد صدر منها واحد وعشرون عدداً؛ إذ انقطعت عن البروز في شهر ذي القعدة سنة ١٣٢٢هـ.[٣]

وكان ظهورها في ذلك الوقت، وفي معمعة تلك الخلافات - كما يقول الشيخ محمد الفاضل بن عاشور[٤] - كطلوع الحكم العادل تنزهت به المجادلات عن الفحش، وتطهرت من الهمز واللمز، وتسامت عن التشهير والأذى الشخصي.[٥]

يقول الأستاذ محمد مواعده معلقاً على كلام الشيخ الفاضل محمد ابن عاشور: «ويقصد شيخنا ابن عاشور بهذا القول محاولة مجلة السعادة العظمى، وبالتالي

---

١ - انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١٨٤.

٢ - انظر المرجع السابق ص١٨٤.

٣ - محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص٣١.

٤ - هو الشيخ محمد الفاضل الابن الأكبر للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ١٣٢٧-١٣٩٠هـ، ١٩٠٩-١٩٧٠م، عالم، أديب، خطيب، ومن طلائع النهضة الحديثة النابهين في تونس، مولده ووفاته فيها، تخرج بالمعهد الزيتوني، وأصبح أستاذاً فيه، فعميداً، وكان من أنشط أقرانه، وأدأبهم في مكافحة الاستعمار.

شغل خطة القضاء بتونس، ثم منصب مفتي الجمهورية، وهو من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة، ورابطة العالم الإسلامي بمكة، طبع من كتبه (أعلام العالم الإسلامي في تاريخ المغرب العربي) و (التفسير ورجاله) و (الحركة الأدبية والفكرية في تونس) وعاش في حياة أبيه، مسترشداً بتوجيهه، وتعليمه، ومعتمداً على مكتبته الحافلة بالنفائس، ومات قبل والده بثلاث سنوات. انظر الأعلام ٣٢٥/٦.

٥ - انظر الحركة الأدبية والفكرية بتونس للشيخ محمد الفاضل بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٢م، ص٧٩.

صاحبها الشيخ محمد الخضر حسين التعاملَ بهدوء ورصانة مع الخلاف الذي كان وقتها محتدماً بين الإصلاحيين والمحافظين حول قضايا فكرية ودينية عديدة؛ مما جعل أصحاب التيارين وأنصارهم المتطرفين يخاصمون المجلة وصاحبها باستثناء صديقه الوفي العلامة محمد الطاهر بن عاشور».[1]

هذا وسيأتي مزيد حديث عن هذه المجلة في الفصل الآتي عند الحديث عن مؤلفات الشيخ الخضر.

ثانياً- تولي القضاء بمدينة بنزرت: وذلك بعد انقطاع مجلة السعادة العظمى؛ حيث تولى إثر ذلك خطة القضاء ببنزرت، وذلك في ربيع الثاني ١٣٢٣هـ، وكان للشيخ محمد الطاهر بن عاشور قسط كبير في التأثير عليه لقبول هذه الوظيفة.[2]

---

١ ـ انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١٨٥ .

٢ ـ وقد أقام له الشيخ محمد الطاهر بن عاشور حفلاً بتلك المناسبة، وذلك مساء الخامس عشر ربيع الثاني من عام ١٣٢٣هـ في داره بضاحية المرسى من الضواحي الشمالية لمدينة تونس.

وقد ألقى الشيخ ابن عاشور كلمة بليغة بهذه المناسبة ومما قاله فيها: «أيها السادة الأعيان! ويا أيها الصديق النحرير!

إذا تنازع العقل والوجدان افتقرت اللغة، وضاق البيان، فالوجدان يقنع النفس بما تجده مُحْضَراً، والعقل يصرفها إلى غِبِّ الشيء وفائدته المرجوة.

وأنا الآن تتجاذبني قوتان بجاذب متضاد: أراني فيها مبتهجاً مسروراً بارتقاء صديقنا النحرير، واسطةِ عِقْدٍ جَمْعنا في هاته الليلة النيرة، على حين أجدني ـ مهما تذكرت لازم هذا الارتقاء؛ من مبارحته نادي أنسنا ـ أسِفاً على بُعد مَنْ أبعته نفسي، واتخذته صديقاً خالصاً منذ سبع سنين.

ولكني أغالب وجداني، وأجمع حافظتي، وأزجر لساني، فأغلّب السرور على الأسف، وكذلك ينتصر أحد الخصمين على قِرنه متى قامت الحجة.

وهذا احتفالنا الآن يمثل انتصار العقل على الوجدان، فلنا أن نعتبره رسماً محسوساً يشخص معنىً فلسفياً علياً.

ما كان للعقل أن ينتصر على وجداننا القوي، لولا تجلي المستقبل من خلال هذا الارتقاء باسماً عن نتائج علمية، وأريج ثناء تفخر به الفيئة الأدبية ـ وربما غلب القوي بابتسامة تملك لبّه ـ سيظهران للعيان في استقامةِ وكمال صديقنا هذا اللذين لم يزالا مجهولين عن كثير من الذين لم يبتلوا أخلاقه، كما يجهل شذى العنبر مَنْ لم يختبره».

ثم ختم كلمته بقوله: «أريد أن أختم قولي، فألتمس منك أيها الصديق المخلص أن تتقبل مني أبيات أملاها عليّ الضمير على بُعد ما بيني وبين الشعر».

ثم قال أبياتاً من الشعر ومنها:

لَسرورُ ساعاتٍ تذكّر أُنْسَكم ... في النفس أحلى من نوال طلاب

والآن قُدِّر أن يشط مزارنا ... حتى يُعَوِّض جمعُنا بكتاب

ولتلك في قلب الصديق حزازةٌ ... ما هيَّ دون نوافذ النشاب

لكنَّ للعدل المضيع دعوةً ... تقضي علينا بامتثال جواب

فاهنأ بهذا الارتقاء وكن به ... مثل الفضيلة مظهر الإعجاب

إذ يبدو أن الرجل كان لا يميل إلى العمل في الخطط الإدارية، بل كانت رغبته الدائمة في مواصلة التعلم والتعليم؛ لأن في ذلك تكويناً متواصلاً لشخصيته، وإسهامه في الإصلاح.

ولهذا بقي أشهراً قليلة متقلداً خطة القضاء ببنزرت، ثم قدم إثرها استقالته، وألح على قبولها، وعاد إلى تونس العاصمة؛ لمباشرة التدريس بجامع الزيتونة.

وقد تولى ـ أثناء المدة القصيرة التي قضاها ببنزرت ـ الخطابة والتدريس بجامعها الكبير، كما كانت له مجالس علمية، وأدبية.[1]

ثالثاً ـ التدريس بجامع الزيتونة: فلما ترك الشيخ الخضر القضاء عاد إلى تونس العاصمة خلال سنة ١٩٠٦م ـ ١٣٢٤هـ، وباشر التدريس بجامع الزيتونة تطوعاً، كما كلفته إدارة الجامع بالإشراف على تنظيم المكتبة ضمن لجنة تكونت للقيام بهذا العمل.

وهذا يؤكد اهتمام الإدارة، وتقديرها لكفاءته؛ لأن تنظيم مكتبة علمية غنية بالمخطوطات، وبأمهات الكتب ـ لا يمكن أن يُوكَل لغير رجال عرفوا بالعلم الغزير، والاطلاع الواسع.

وقد شارك خلال سنة ١٩٠٧م ـ ١٣٢٥هـ، في مناظرة للتدريس من الطبقة الثانية، ونجح فيها.

كما وقع تعيينه أستاذاً بالمدرسة الصادقية، وانتدبته الجمعية الخلدونية؛ ليلقي دروساً على طلابها في الإنشاء والبلاغة.

وكان ﷺ محباً لطلابه، حاثاً إياهم على المطالبة بإصلاح التعليم الزيتوني.[2]

رابعاً ـ بروزه في ميدان مجال الدعوة إلى الله: وذلك من خلال المحاضرات، والمسامرات التي كان يلقيها، والتي أشهرها: محاضرة (الحرية في الإسلام) فهي أشهر

وإليك أيها الصديق تحية طيبة تصحبونها معكم؛ لتذكركم وداداً لا يفنى وإن طال الزمان، وتفارقت الأبدان. انظر كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين ٢٥ـ٢٨ .

١ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ٣٧ـ٣٨.

٢ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص٣٩.

وأعظم محاضرة ألقاها، وذلك في نادي (جمعية قدماء الصادقية) وذلك سنة ١٩٠٦م ـ ونشرت سنة ١٩٠٩م، ونالت اهتمام جميع الأوساط الثقافية والعلمية في ذلك الوقت.

بل لا يزال صداها يتردد إلى يومنا الحاضر، وسيأتي مزيد حديث عنها عند الكلام على مؤلفاته.[١]

خامساً ـ عنايته بمجال الإصلاح التربوي: وذلك من خلال المحاضرات، والمسامرات، والمقالات.

ولعل من أجلى ما قام به في الميدان التربوي اهتمامه بإصلاح التعليم الزيتوني مذ كان طالباً إلى حين تخرجه ودخوله ضمن شيوخ الزيتونة، وعلمائها العاملين على تطوير التعليم مضموناً، واسلوباً، ومنهجاً.

وفي هذا الإطار شارك في تكوين (جمعية تلاميذ جامع الزيتونة) سنة ١٣٢٤هـ مع نخبة من العلماء، وفي مقدمتهم العلامة محمد الطاهر بن عاشور.

وخلال سنة ١٣٢٥هـ انحلت هذه الجمعية، وتكونت جمعية جديدة باسم (الجمعية الزيتونية) وقد تولى رئاستها الشيخ ابن عاشور، وعضوية العلماء: الطاهر النيفر، ومحمد رضوان، ومحمد النخلي، ومحمد الخضر حسين، وأبو حسن النجار[٢].

وفي هذا الإطار الإصلاحي التربوي تنفّس الكتاب العظيم (أليس الصبح بقريب) للشيخ ابن عاشور.[٣]

فهذه أهم أعماله إبان مرحلته التونسية.

---

١ ـ انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١٨٥ .

٢ ـ انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١٨٦ .

٣ ـ هذا الكتاب من أعظم ما أُلّف في بابه، وقد كتبه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور عام ١٣٢١هـ، وكان عمره آنذاك أربعاً وعشرين سنة.

وقد قصد من تأليفه: إصلاح التعليم العربي والإسلامي، وتكلم من خلاله على العلوم الإسلامية، وتاريخها، وأطوارها، وطرائق تعليمها، وأسباب النهوض والانحطاط العارضين لها، إلى غير ذلك من المباحث الرصينة والتحريرات العالية، والتحقيقات الرائعة الماتعة التي أودع من خلالها نظراته الثاقبة، وانتقاداته الفاحصة، وآراءه السديدة، ومقترحاته الدقيقة، وملاحظاته التي كانت من أسباب النهوض بالتعليم في بلاده وغيرها.

كل ذلك بأسلوب أخّاذ، ولغة عالية، ونَفَسٍ مستريض.

والكتاب يقع في ٢٧٦ صفحة، توزيع الشركة التونسية للتوزيع .

المطلب الثاني: أعماله في المرحلة السورية

هذه هي المرحلة الثانية من حياة العلامة محمد الخضر حسين، والتي امتدت طيلة تسع سنوات من سنة ١٣٣١هـ - ١٣٣٩هـ وهي حسب تعريف العلامة محمد الفاضل بن عاشور رحمه الله **تسمى مرحلة التنقل والترحال، والاكتشاف، والنضال السياسي.**[١]

وقد مر الحديث عن أسباب رحلته إلى سوريا.

أما أبرز أعماله في تلك الفترة فهي ما يلي:

أولاً- منذ حلوله بالعاصمة السورية دمشق، واستقراره عند إخوته وعائلته واصل نشاطه العلمي والثقافي بالتدريس بالمدرسة السلطانية.

ثانياً- كان من أبرز الداعين في تلك الفترة إلى تقوية الروابط بين العرب والأتراك في إطار الأمة الإسلامية.[٢]

ثالثاً- واصل إلقاء المحاضرات في الجامع الأموي، وكتابة المقالات بالصحف السورية.

ولقد وجد حظوة في الأوساط العلمية والثقافية هناك؛ حيث التف حوله الطلاب، ونهلوا من علمه.

يقول تلميذه علامة الشام محمد بهجة البيطار عن تلك الحفاوة والحظوة التي لقيها الشيخ إبان قدومه إلى سوريا: «أستاذنا الجليل الشيخ محمد الخضر حسين، عَلَمٌ من أعلام الإسلام هاجر إلى دمشق في عهد علامتي الشام المرحومين: جدي عبدالرزاق البيطار، وأستاذي الشيخ جمال الدين القاسمي؛ فاغتبطا بلقائه، واغتبط بلقائهما، وكنا نلقاه، ونزوره معهما، ونحضر مجالسه عندهما، فَأُحْكِمَتْ بيننا روابط الصحبة والألفة والود من ذلك العهد»[٣].

---

١ - انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١٨٧.

٢ - انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١٨٨.

٣ - محمد بهجة البيطار -بهجة الإسلام- إعداد علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص٤٥.

ثم بين العلامة البيطار مدى إفادة طلاب العلم من الشيخ الخضر في تلك الفترة فقال:

«ولما توفي شيخنا القاسمي ـ تغمده المولى برضوانه ـ أوائل سنة ١٣٣٢هـ لم نجد نحن معشر تلاميذه مَنْ نقرأ عليه أحب إلينا ولا آثر عندنا من الأستاذ الخضر؛ لما هو متصف به من الرسوخ في العلم، والتواضع في الخلق، واللطف في الحديث، والرقة في الطبع، والإخلاص في المحبة، والبر بالإخوان، والإحسان إلى الناس، فكان مصداق قول الشاعر:

كأنك من كل الطباع مركبٌ فأنت إلى كلِّ النفوس محبَّبُ[١]

إلى أن يقول الشيخ البيطار: «وأخذنا من ذلك الحين نقتطف ثمار العلوم والآداب من تلكم الروضة الأُنُف، ونرتشف كؤوس الأخلاق من سلسبيل الهدى والتقوى، ولم يكن طلاب المدارس العالية في دمشق بأقل رغبة في دروسه، وإجلالاً لمقامه، وإعجاباً بأخلاقه من إخوانهم طلاب العلوم الشرعية، بل كانوا كلهم مغتبطين في هذه المحبة والصحبة، مجتمعين حول هذا البدر المنير.

وقد قرأنا عليه في المعقول والمنقول، والفروع والأصول، طائفة من أفضل ما صنف في موضوعه، وهي لعمر الحق دالة على حسن اختياره، وسلامة ذوقه، وقوة علمه، وشدة حرصه على النهوض بطلابه، وإعدادهم للنهوض بأمتهم».[٢]

ثم بيَّن في أبيات تبلغ أربعة عشر بيتاً حال تلك الدروس، وذكر أسماء الكتب التي قرؤها على الشيخ الخضر، وهي كتاب (المستصفى) للغزالي، و (بداية المجتهد) لابن رشد، و (صحيح مسلم) للإمام مسلم بن الحجاج، و (مغني اللبيب) لابن هشام، و (الكامل) للمبرد)[٣].

رابعاً ـ كان حاكم سوريا في تلك الفترة هو التركي جمال باشا المعروف بتعسفه وجبروته، وقد أدخل العديد من العلماء السجن، ومن بينهم محمد الخضر حسين.

---

١ ـ المرجع السابق ص ٤٥ـ٤٦.

٢ ـ المرجع السابق ص ٤٦.

٣ ـ المرجع السابق ص ٤٦ـ٤٧.

وعند إطلاق سراحه وبعد أن ثبتت براءته ـ عاد إلى التدريس والمحاضرات.

خامساً ـ سافر إلى الآستانة، وعمل منشأً عربياً بوزارة الحربية.

سادساً ـ كان استقرار خاله وأستاذه الشيخ محمد المكي بن عزوز بالآستانة، والمكانة التي كان يتمتع بها لدى الباب العالي، ولدى أبرز العلماء والساسة هناك ـ مما ساعد الخضر على ثقة الباب العالي، ومما جعل تركيا تَعْهَدُ له مهمة في ألمانيا التي كانت في الحرب العالمية الأولى حليفة لتركيا ضد فرنسا.

سابعاً ـ سافر إلى ألمانيا، واستقر ببرلين، بصحبة عدد من العلماء؛ لتحقيق رغبة السلطة العثمانية في تكوين تنظيمات ثورية شعبية من المغاربة المقيمين بألمانيا ضد الاستعمار الفرنسي في بلدان شمال أفريقيا.[١]

ثامناً ـ عندما سقطت تركيا في أيدي الحلفاء عاد الشيخ الخضر صَحْبَة عدد من زعماء الحركة الإسلامية من ألمانيا إلى الآستانة، ومنها إلى دمشق.

وقد أَثَّرَ ذلك الحدث في نفسه التأثير البالغ؛ لما كان يعلقه من آمال عريضة على الباب العالي في مساعدة القضايا الوطنية التحريرية في العالم العربي، وخاصة في شمال أفريقيا، وكذلك لما كان يؤمن به من ضرورة تقوية الخلافة؛ لما في ذلك من دعم للدين الإسلامي، وتقوية له.[٢]

تاسعاً ـ عند عودته إلى دمشق واصل عطاءه العلمي، والثقافي، والإعلامي، كما وَقَع تعيينه عضواً للمجمع العلمي العربي بدمشق الذي عقد جلسته الأولى عام ١٩١٩م، وبقي عضواً عاملاً بهذا المجمع مدة إقامته بالعاصمة السورية، ثم أصبح عضواً مراسلاً عند انتقاله إلى القاهرة، واستقراره بها عام ١٩٣٠م.[٣]

عاشراً ـ استمر في نشاطه العلمي، ومساندة الخلافة إلى أن احتل الجيش الفرنسي سوريا إثر معركة ميلسون عام ١٩٢٠م، فأصبحت إقامة الشيخ الخضر في دمشق

---

١ ـ ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١٨٨ـ١٨٩ .

٢ ـ انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١٨٩ـ١٩٠ .

٣ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص٧١، وملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١٩٠ .

معرضة للخطر؛ إذ هو المتابع من قبل السلطات الفرنسية من تونس، ثم لنشاطه السياسي بالآستانة وبرلين؛ لذا قرر الانتقال إلى مصر، والاستقرار بها.[١]

فهذه هي أهم أعماله إبان مرحلته السورية على سبيل الإيجاز.

١ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص٧٢، وملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١٩٠.

المطلب الثالث: أعماله في المرحلة المصرية

هذه المرحلة هي الثالثة والأخيرة من حياة العلامة الخضر، وقد امتدت طيلة ثمانية وثلاثين عاماً، من عام ١٣٣٩هـ، ١٩٢٠م ـ إلى عام وفاته ١٣٧٧هـ، ١٩٥٨م.

وهي مرحلة المجد الثقافي ـ كما يسميها العلامة محمد الفاضل بن عاشور ـ.[١]

وهذه المرحلة تعد أغزر مراحل حياته إنتاجاً علمياً، وثقافياً، وإعلامياً، وفكرياً، وأبرزها مكانة، وشهرة.

وبرغم هذه الأهمية لتلك المرحلة، وكثرة أعماله فيها فإنه يمكن أن تلخص بما يلي:

أولاً: تنقسم هذه المرحلة إلى ثلاث فترات:

الأولى: ما قبل توليه مشيخة الأزهر (١٩٢٠ ـ ١٩٥٢).

الثانية: مدة توليه الأزهر (١٩٥٢ ـ ١٩٥٤م).

الثالثة: ما بعد استقالته من الأزهر (١٩٥٤ ـ ١٩٥٨م).

ثانياً: منذ أيامه الأولى في القاهرة كان معتمداً على الله وحده؛ حيث لم يكن له قريب، أو والد، أو ولد، أو أخ، أو حزب، أو أشياع، أو عشيرة، فكان ـ خصوصاً في أيامه الأولى ـ وحيداً بعيداً عن الأهل، والأقارب، والأصدقاء.

ومع ذلك تحمل مرارة الغربة، والوَحْدَة، فكان أنسه بالله، وتوكله عليه؛ حيث تحمل الأتعاب، والمشاق؛ إذ كان ذا شخصية قوية، ونفس كبيرة أبية ترنو إلى خدمة الإسلام، والذب عن حياضه[٢] كما عبر عن ذلك بقوله:

أنا لولا همة تحدو إلى ... خدمة الإسلام آثرت الحماما[٣]

وقوله:

ولولا ارتياحي للنضال عن الهدى ... لفتشت عن واد أعيش به وحدي[٤]

---

١ ـ انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١٩٠.

٢ ـ انظر كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين ٦٩، وملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص٤٥، وص١٥٤، وص١٩١.

٣ ـ خواطر الحياة ص٢٣٣.

٤ ـ خواطر الحياة ص٩١.

ثالثاً: منذ أيامه الأولى قام بالاتصال بالطلبة المغاربة بالجامع الأزهر.

رابعاً: حصل على وظيفة مصحح، ومراجع للنصوص بدار الكتب المصرية، بواسطة صديقه الحميم العلامة أحمد تيمور باشا رحمه الله.

خامساً: خلال السنوات الأولى أسهم في تأسيس (جمعية تعاون جاليات أفريقيا الشمالية) التي تتألف من عدة شخصيات مغاربية: من تونس، والجزائر، والمغرب، وليبيا.

وقد تحمل مسؤولية رئاستها، وكان هدفها الرفع من مستوى هذه الجاليات مادياً، واجتماعياً، وثقافياً.

وقد استمر اهتمامه بالمغرب العربي، وقضاياه طيلة حياته.[1]

سادساً: كانت له إسهامات مهمة في المناظرات، والصراعات الفكرية والأدبية خلال هذه المرحلة المصرية، وأبرزها:

١. تأليفه كتاب (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) الذي رد به على علي عبدالرازق عام ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٥م، إثر صدور قرار إلغاء الخلافة في عام ١٩٢٤م.

فكان لهذا الكتاب الصدى الكبير في العالم الإسلامي عامة وفي مصر بخاصة.

وقد نال به حظوة متميزة عند الملك فؤاد ملك مصر.

٢ـ تأليفه كتاب (نقض كتاب في الشعر الجاهلي) الذي رد به على الدكتور طه حسين الصادر سنة ١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٦م.

وقد قال العلامة محمد الفاضل بن عاشور عن هذا الكتاب: «إن الدكتور طه حسين يعتبر كتاب الشيخ محمد الخضر حسين من أهم الردود، وأشدها حجة».[2]

---

١ ـ انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١٩١ـ١٩٢.

٢ـ انظر الشيخ محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص٨٦ و١٧٠، ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١٩٣.

هذا وسيأتي مزيد بيان لإسهاماته في الصراعات الفكرية.

سابعاً: اهتمامه بتكوين الجمعيات في مختلف مجالات الإصلاح الديني، والاجتماعي، والتربوي، والسياسي.

ومنها (جمعية الشبان المسلمين) التي اشترك في تأسيسها مع صديقيه العلامة أحمد تيمور باشا والعلامة محب الدين الخطيب [1] سنة ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م.

وكان الغرض من تأسيسها التعريف بالإسلام، والذود عن حياضه.

ثم قام بعدها بإنشاء (جمعية الهداية الإسلامية) عام ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م.

وضم إليها نخبة من علماء الأزهر كالشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر [2]، والشيخ عبدالحليم النجار، كما ضمت نخبة من الشباب، والمثقفين.

وأنشأ بها مكتبة كبيرة كانت نواتها مكتبته الخاصة، وأصدر مجلة تحمل اسم الجمعية، وأنشأ لها فروعاً في الأقاليم، وكانت محاضراته المستمرة فيها، ومقالاته تنشر في مجلتها.

---

١ - هو محب الدين بن أبي الفتح محمد بن عبدالقادر بن صالح الخطيب ١٣٠٣-١٣٨٩هـ، ١٨٨٦-١٩٦٩م، يتصل نسبه بعبدالقادر الجيلاني الحسني، ولد بدمشق، وتعلم بها، وبالآستانة، وشارك سنة ١٣٢٤هـ في إنشاء جمعية بدمشق سميت (النهضة العربية) وعمل في بعض مدارسها، ورحل إلى صفاء، فترجم عن التركية، وعمل في بعض مدارسها، ولما أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨م عاد إلى دمشق، ثم زار الآستانة، ثم توجه إلى مصر، وعمل في تحرير جريدة المؤيد، ثم قصد العراق، فاعتقله الإنجليز سبعة أشهر، ثم ذهب إلى مكة بعد إعلان الثورة العربية سنة ١٩١٦م، فحكم عليه الأتراك بالإعدام غيابياً، ثم استقر في مصر سنة ١٩٢٠، وعمل محرراً في الأهرام، وأنشأ مجلتي الزهراء والفتح، وأنشأ المطبعة السلفية.

كان من أكابر الكتاب الإسلاميين؛ حيث حرص على نشر الفضيلة، ومقاومة الاستعمار، ودعاة التغريب، له مشاركات صحفية كثيرة جداً، وله مؤلفات منها (مع الرعيل الأول) و (الحديقة) و (الخطوط العريضة). انظر الأعلام ٢٨٢/٥، ومن أعلام العصر ص ١٠٧-١١٣.

٢ - هو محمد بن مصطفى بن محمد بن عبدالمنعم المراغي ١٢٩٨-١٣٦٤، تولى مشيخة الأزهر، ولد بالمراغة من جرجاني الصعيد، باحث مصري عالم بالتفسير، وولي أعمالاً منها: القضاء الشرعي، توفي في الإسكندرية، ودفن في القاهرة، له تآليف منها: (بحث في ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية) ورسالة في (تفسير سورة الحجرات). انظر الأعلام ١٧٣/٧.

وقد قدم في هذه الجمعية عملاً منظماً مستمراً أوضح من خلاله معالم دعوته، ومنهجه.

وقد كان يكتب في مجلة الهداية أكابر العلماء والأدباء، كالشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ومحمد النيفر.[١]

وقد نالت حظوة خاصة لدى علماء الإسلام مغرباً ومشرقاً كالشيخ محمد رشيد رضا الذي حث المسلمين على قراءتها، ومما قاله عن الشيخ الخضر «هو صديقنا الأستاذ التونسي الزيتوني الأزهري العالم الفاضل، الكاتب الخطيب المتفنن».[٢]

ثامناً: صار للشيخ الخضر مكانة وحضور لدى علماء الأزهر؛ نظير نشاطه العلمي، والثقافي، والإعلامي.

لذا وقع انتدابه للتدريس في قسم التخصص بهذه المؤسسة العلمية سنة ١٩٢٧م بصورة مؤقتة، ثم بصورة رسمية سنة ١٩٢٨م عندما أصبح صديقه الشيخ المراغي شيخاً للأزهر.

وفي هذه المرحلة من حياته العلمية أصدر الأزهر مجلة باسم (نور الإسلام) وذلك في محرم عام ١٣٤٩هـ، فَأُسندت رئاسة تحريرها إلى الشيخ الخضر، فنهض بهذه المهمة ثلاث سنوات، وأرسى قواعد التحرير في تلك المجلة، ونظم شؤونها.[٣]

تاسعاً: تأسس (مجمع اللغة العربية) في القاهرة بمرسوم ملكي أصدره الملك فؤاد في ١٣٥١/٨/١٤هـ، ثم صدر مرسوم ثانٍ بموجبه تعيين الأعضاء العاملين بالمجمع،

---

١ ـ الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين ص٢١٥ـ٢١٦، وملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١٩٣ـ١٩٤، و محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص٨٨ـ٩٣.

٢ ـ مجلة المنار ٩/٧٢٠، وانظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١٩٤ .

٣ ـ انظر الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين ص٢١٦، وملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١٩٤ .

وكان الشيخ الخضر على رأس هؤلاء وكانوا عشرين عالماً وأديباً من كبار رجال العلم والأدب في مصر والعالم العربي وأوربا.

وقد ترأس الشيخ الخضر لجنة اللهجات، وشارك في أعمال عدة بلجان علمية، وألقى العديد من البحوث بمجلة المجمع، كما مثل هذه المؤسسة في مؤتمرات دولية عديدة.[1]

عاشراً: في عام ١٣٥١ أدى ﷺ فريضة الحج، وأقيم له بعد عودته من الحج حفلة ترحيب في جمعية الهداية الإسلامية ليلة الجمعة العاشر من المحرم سنة ١٣٥٢هـ، وقد ألقيت القصائد والخطب، ومنها: كلمة لأحد أعضاء جمعية الهداية الإسلامية وهو الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني الذي ألقى كلمة عظيمة أثنى فيها على الشيخ الخضر، وأبان عن كثير من مناقبه.

وفي تلك الرحلة المباركة نظم قصيدته مشاهداتي في الحجاز، والتي يقول طالعها:

أَلِمَجْدٍ لا يَنالُ القاطِنِينْ ... وَدَّعَ الصَّحْبَ وَحَيَّا الظَّاعِنِينْ

لا تَلومَا في النَّوى مَنْ هاجَهُ ... لِلنَّوى لا عِجُ شَوْقٍ في الكَنِينْ[2]

ومنها:

رَحَلوا في جُنْحِ لَيْلٍ وَأَتَوا ... مَكَّةَ الْغَرَّاءَ مِنْ نَحْوِ الحَجونْ

في رِضا اللهِ خُطاً خاضوا بها ... في حَصًى يَغْبِطُهُ الدُّرُّ المَصونْ

دَخَلوا بَيْتاً حَرامَاً يَسْتَوي ... فيهِ ذو التَّاجِ ومُغْبَرُّ الجَبينْ

شاهَدوا الكَعْبَةَ وَهْناً فَجَرَتْ ... عَبَراتُ الْبِشْرِ مِنْ بَعْضِ الجُفونْ

مُقْلَةُ الدُّنْيا فَإِنْ أَبْصَرْتَها ... في سَوادٍ فَعُيونُ الْغِيدِ جُون

---

١ ـ انظر الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين ٢١٦، وملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١٩٤، وص١٩٥.

٢ ـ خواطر الحياة ص٢١٠.

لَثموا مِنْ رُكْنِها الأَيْمَنِ ما ... لَثَمَتْهُ شَفَتا طهَ الأَمينْ
دَخَلوا بَيْتاً حَراماً يَسْتَوي ... فيهِ ذو التَّاجِ ومُغْبَرُّ الجَبينْ
هِيَ بَيْتُ اللهِ إنْ طافوا بها ... وَهُمُ أَضْيافُ رَبِّ الْعالَمينْ
وَرَدوا (زَمْزَمَ) يَشْفونَ بها ... ظَمَأَ الأَكْبادِ حيناً بَعْدَ حينْ
لَوْ شَفى (عَمْرُو بْنُ كُلْثومٍ) بها ... غُلَّهُ عافَ خُمورَ الأَنْدَرِينْ[1]

وهكذا يستمر في وصف مناسك الحج إلى نهايتها، ثم يقول بعد ذلك عند الوداع:

هَذِهِ مَكَّةُ ما لِلشَّمْسِ في ... صُفْرَةٍ تَحْكي بها وَجْهَ الحَزينْ
أَثُرينا والنَّوى قَدْ أَزِفَتْ ... كَيْفَ تَصْفَرُّ وُجوهُ النَّازِحينْ
بَلْدَةٌ عُظْمى وَفي آثارِها ... أَنْفَعُ الذِّكْرى لِقَومٍ يَعْقِلونْ
شَبَّ في بَطْحائها خَيْرُ الوَرى ... وشَبا في أُفْقِها أَسْمَحُ دِينْ
إنْ عَزَمْنا النَّأْيَ عَنْها فالضَّرو ... راتُ قَدْ تُنْئي خَدِيناً عَنْ خَدينْ[2]

وهكذا استمر في وصف تلك رحلته للحج، وذهابه إلى مدينة الرسول ﷺ.

وختم القصيدة بقوله:

يا حِمًى وَدَّعْتُهُ والشَّمْسُ قَدْ ... وَدَّعَتْ وَالْتَحَقَتْ بِالرّاحِلينْ
هَلْ لَنا عَوْدٌ كَعَوْدِ الشَّمْسِ مِنْ ... قَبْلِ أَنْ يَصْرِفَنا عَنْكَ المَنونْ
وسَلاماً كُلَّما رَتَّلْتُهُ ... قالَتِ الدُّنْيا وَمَنْ فيها: آمينْ[3]

حادي عشر: دخوله هيئة كبار العلماء؛ حيث بلغ درجة علمية بارزة نظير ما بذله طيلة السنوات التي قضاها في البلاد المصرية من جهود في خدمة العلم، والدعوة إلى الإسلام؛ فكان ذلك محلَّ تقدير العلماء.

---

١ ـ خواطر الحياة ص ٢١١ـ٢١٢.
٢ ـ خواطر الحياة ص ٢١٤.
٣ ـ خواطر الحياة ص ٢١٨.

وبعدها أصبح الشيخ الخضر عضواً بهيئة كبار العلماء سنة ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م إثر تقديمه بحث: «القياس في اللغة العربية».

وهي أكبر هيئة علمية في مصر، وتكونت اللجنة من قساة الممتحنين؛ فبهرها الشيخ الخضر بغزارة علمه، وخلال مناقشة اللجنة لصاحب البحث قال الشيخ عبدالمجيد اللبان[١] رئيس اللجنة عبارته المشهورة التي ما زال شيوخ الأزهر يرددونها إلى اليوم، وهي قوله عن الشيخ الخضر: «هذا بحر لا ساحل له؛ فكيف نقف معه في حِجَاج؟».[٢]

ثاني عشر: تولّيه مشيخةَ الأزهر؛ وذلك في يوم الأربعاء ١٣٧١/١٢/٢٧هـ؛ حيث زاره في منزله ثلاثة وزراء منهم الشيخ حسن الباقوري وزير الأوقاف.

وبعد الترحيب بهم بادره صديقه الباقوري بالقول: لقد وقع الاختيار عليك؛ لتكون شيخ الأزهر، وقد جئت مع زميليَّ؛ لنبلغك هذا القرار، فأبدى الشيخ امتناعاً؛ نظراً لخطورة المهمة، وكبرها، ولعجزه البدني، وقد أشرفت سِنُّه على الثمانين، وهو الشيخ الذي أحيل على التقاعد عام ١٩٥٠م بعد مدة من التدريس في الأزهر دامت عشرين عاماً.

ولكن الوزير الباقوري رفض قائلاً: هذا أمر تجنيد، وفي هذا العهد المبارك تجند الكفاءات النزيهة لخدمة مصر.

---

١ ـ الشيخ عبدالمجيد اللبان ١٢٨٧ـ١٣٦١هـ ـ ١٨٧٠ـ١٩٤٢م، فقيه مصري، تعلم في الأزهر، وتولى مشيخة كلية أصول الدين فيه منذ إنشائها ١٩٣٢م إلى وفاته، له كتب مدرسية منها: كتاب (السيرة النبوية) و (دروس في الأخلاق الدينية). انظر الأعلام ٤/١٥٠.

٢ ـ انظر أحاديث في رحاب الأزهر ص١٩٩.

وعند ذلك قبل هذه المسؤولية الجديدة، وأجاب: «وأنا لا أهرب من الجندية، وليوفقْنا الله». [١]

ولما ولي الشيخ الأخضر هذا المنصب قام بالأزهر خير قيام، وكان في ذهنه برنامج إصلاحي، لكن رجال الحكم لم يتركوا الشيخ يعمل في هدوء، فوضعوا العراقيل في طريقه.

ولما شعر الشيخ بذلك قدم استقالته؛ لكبر سنه؛ إذ تجاوز الثمانين، ولتدهور صحته، ولخلافات عديدة بينه وبين مجلس قيادة الثورة، وهو العالم الجليل صاحب الشهرة الكبيرة، والشخصية القوية التي لا تخشى في الله لومة لائم. [٢]

ومما يذكر له أنه حينما تولى الأزهر لم يغير شيئاً من عاداته، ولم يكن له في شهوات المنصب من حظ، وكان دائماً يحتفظ باستقالته في جيبه، ويقول: إن الأزهر أمانة في عنقي أسلمها ـ حين أسلمها ـ موفورة كاملة، وإذا لم يتأت أن يحصل للأزهر مزيد من الازدهار على يدي فلا أقل من ألا يحصل له النقص». [٣]

وكان كثيراً ما يردد: «يكفيني كوب لبن، وكسرة خبز، وعلى الدنيا بعدها العفاء». [٤]

---

١ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١١٣ـ١١٤، وقد لقي هذا الاختيار قبولاً كبيراً، وصدىً واسعاً في مصر، وغيرها من أقطار العالم الإسلامي عموماً، وتونس على وجه الخصوص؛ حيث عبر عن ذلك عدد من علمائها، ومنهم العلامة الشيخ محمد الفاضل بن الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، حيث قال: في نهاية بحثه الماتع العظيم (امتزاج الأزهر بالزيتونة) الذي قدمه في المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية في ١٩٧١/٢/٢٨م: «وإنه ليحق لهذه الحقبة من التاريخ التي تظلنا أن نفخر بأنها التي بلغت في الصلات بين الأزهر والزيتونة أوجها؛ فقد احتضن الأزهر إماماً من الأئمة الأعلام كان أحد شيوخ الزيتونة العظام، وهو الشيخ محمد الخضر حسين؛ إذ استقر بمصر، وأحرز على شهادة العالمية، وسمي أستاذاً في قسم التخصص، وعيِّن في هيئة كبار العلماء، ثم سمي شيخاً للأزهر؛ فكان خير تاج توِّجت به الأخوة بين المعهدين في مبلغها الأقصى وذروتها العليا». ومضات فكر للشيخ محمد الفاضل بن عاشور، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٢م، ص٤٢٩.

٢ ـ انظر الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين ٢١٦ـ٢١٧.

٣ ـ انظر الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين ٢١٧.

٤ ـ انظر الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين ٢١٧.

وقال لما ترك الأزهر: «إن كانت جنة فقد دخلت فيها، وإن كانت ناراً فقد خرجت منها».[١]

وهكذا ترك مشيخة الأزهر في ١٣٧٣/٥/٢هـ.

وكانت سِنُّه إذ ذلك تقرب من إحدى وثمانين سنة، وبعدها انزوى بمنزله إلى كتبه المحببة إلى نفسه، وقد أنهكه الإعياء، ولم يبق له من المهام العلمية سوى عضوية المجمع اللغوي التي حافظ عليها، وواصل القيام بها إلى آخر يوم من حياته، وكذلك عضوية جمعية كبار العلماء.

ولم ينقطع عن كتابة البحوث، والمقالات في بعض المجلات، ولا عن مجالسه العلمية المفيدة من أصدقائه الأدباء والعلماء، كما أنه كان على اتصال بأبناء وطنه الأصلي تونس الذين كانوا يقيمون في مصر.[٢]

ثالث عشر: معاركه الفكرية: خاض الشيخ محمد الخضر حسين معارك فكرية كثيرة لفتت الأنظار إليه، وأبانت من سعة علمه، وقوة حجته، ونزاهته في عرض آراء خصومه، وموضوعيته في الرد عليها.

ولم تكن تلك المعارك مقتصرة على أحد بعينه، بل كانت كثيرة متنوعة يحدوه إليها غيرته الإسلامية، وقيامه بواجب الأمانة المناطة بالعلماء.

وأشهر تلك المعارك ما يلي[٣]:

١ـ رده على علي عبدالرازق في كتابه «نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم»، وعلى مقاليه «العظمة»، و «ملاحظات على مقال مولد النبيﷺ».

٢ـ رده على طه حسين في كتابه (نقض كتاب في الشعر الجاهلي)، ورد على بحثه «حقيقة ضمير الغائب في القرآن».

---

١ ـ انظر أحاديث في رحاب الأزهر ص٢٤٠.

٢ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١١٦ـ١١٨.

٣ ـ سيأتي مزيد بيان لتلك المعارك في الأبواب التالية.

٣ـ رده على الشيخ محمود شلتوت[١] حول «الهجرة وشخصيات الرسول».

٤ـ رده على الدكتور محمد خلف الله في بحثه «الفن القصصي في القرآن».

٥ـ رده على محمد أبو زيد الدمنهوري في كتابه «الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن»، وعنوان بحث الإمام الذي رد به عليه: «كتاب يهذي في تأويل القرآن المجيد».

٦ـ وله ردٌ تحت عنوان: «كتاب يلحد في آيات الله» حيث رد فيه على كتاب «امرأتنا في الشريعة والمجتمع» تأليف الطاهر حداد من تونس.

٧ـ «تحريف آيات الحدود عن مواضعها» وهو رد على مقال (التشريع المصري وصلته بالفقه الإسلامي) لـ: عبدالمتعال الصعيدي.

٨ـ «نقد اقتراح ببعض الإصلاح في متن اللغة» رد به على أحمد أمين[٢].

٩ـ «ملاحظات على البحث المقدم عن موقف اللغة العامية من اللغة العربية الفصحى» ردَّ على الأستاذ فريد أبو حديد، وله نقد آخر لآرائه.

---

١ ـ هو الشيخ محمد شلتوت ١٣١٠ـ١٣٨٣هـ، ١٨٩٣ـ١٩٦٣م، مفسر مصري، ولد في منية بني منصور بالبحيرة، وتخرج بالأزهر ١٩١٨م، وتنقل في التدريس، واشتغل بالمحاماة، وعين مدرساً في الأزهر، ثم وكيلاً لكلية الشريعة، ثم كان من أعضاء كبار العلماء ١٩٤١م، ومن أعضاء مجمع اللغة العربية ١٩٤٦م، ثم شيخاً للأزهر ١٩٥٨م إلى وفاته، وكان خطيباً موهوباً، جهير الصوت، له ستة وعشرون مؤلفاً مطبوعاً منها (التفسير) و (حكم الشريعة في استبدال النقد بالهدي) و (الفتاوى) و(الإسلام وأصول الحكم) و (الإسلام عقيدة وشريعة). انظر الأعلام ١٢٦/٦، ومن أعلام العصر ص٦٠ـ٦٥.

٢ ـ هو أحمد أمين بن الشيخ إبراهيم الطباخ، ١٢٩٥ـ١٣٧٣هـ، ١٨٧٨ـ١٩٥٤م، عالم بالأدب، غزير الاطلاع على التاريخ، من كبار الكتاب، اشتهر باسمه (أحمد أمين) وضاعت نسبته إلى (الطباخ) ومولده ووفاته بالقاهرة، قرأ مدة قصيرة في الأزهر، وتخرج بمدرسة القضاء الشرعي، ودرس بها إلى سنة ١٩٢١م، وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية، ثم عين مدرساً بكلية الآداب بالجامعة المصرية، وانتخب عميداً لها سنة ١٩٣٩م، وعين مديراً للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية سنة ١٩٧٤م، واستمر إلى أن توفي، ومنحته جامعة القاهرة سنة ١٩٤٨م، لقب دكتور فخري، وهو من أكثر كتاب مصر تصنيفاً، ومن مؤلفاته (فيض الخاطر) و (فجر الإسلام) و (ضحى الإسلام) و(ظهر الإسلام). انظر الأعلام ١٠١/٨.

١٠ـ «حول تبسيط قواعد النحو والصرف والرد عليها» رد فيه على اللجنة المؤلفة من: طه حسين، وأحمد أمين، وعلي الجارم، ومحمد أبي بكر إبراهيم في (مجمع اللغة العربية بالقاهرة).

١١ـ له ردود أخرى على الشيخ رشيد رضا، ومحمد فريد وجدي[١]، وغيرهم.[٢]

وفاة الشيخ الخضر: أتعب المرض الرجل المسن في آخر أيامه، ولكن ذلك لم يمنعه من حضور جلسة المجمع اللغوي التي انعقدت في تلك المدة، ولم يثنِه عن كتابة مقال في مجلة لواء الإسلام.

وبعد ظهر يوم الأحد ١٣/رجب/١٣٧٧هـ انتقل الشيخ إلى جوار ربه؛ فتلقى العالم الإسلامي ذلك النبأ بالحزن الشديد على ذلك العلم الذي قضى حياته في نشر الإسلام، والدعوة إليه، والذب عن حياضه[٣].

وقد صلي عليه في الجامع الأزهر، ومشى في جنازته علماء الأزهر، وأعيان الأمة، والمنتسبون إلى العلم، حتى بلغ النعش (باب الخلق) والموكب متصل فيما بينه وبين الأزهر، ودفن في مقبرة آل تيمور؛ حيث أوصى أن يدفن هناك حذو صديقه أحمد تيمور باشا، فدفن كما أوصى، وما زالت كلماته تتردد في قاعات المجمع اللغوي، كما شرع القراء في قراءة آخر مقال كتبه، وهو «فساحة الصدر ونزاهة اللسان عن المكروه».[٤]

---

١ ـ هو محمد فريد بن مصطفى وجدي ١٢٩٥ـ١٣٧٣هـ، ١٨٧٨ـ١٩٥٤م، مؤلف (دائرة المعارف) ولد ونشأ بالأسكندرية، وأقام زمناً في (دمياط) وكان أبوه وكيل محافظٍ فيها، وانتقل معه إلى السويس، فأصدر بها مجلة (الحياة) ونشر رسالة له سماها (الفلسفة الحقة في بدائع الأكوان) سنة ١٨٩٩م، وكتاب (تطبيق الديانة الإسلامية على نواميس المدنية) و (المرأة المسلمة) في الرد على (المرأة الجديدة) لقاسم أمين، و (نقد كتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين) وتولى تحرير مجلة (الأزهر) نيفاً وعشر سنين، واعتزلها قبل وفاته بنحو عامين، وتوفي في القاهرة. انظر الأعلام ٦/٣٢٩.

٢ ـ انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص٤١ـ٤٢.

٣ ـ الغريب في الأمر توافق وفاته في اليوم والشهر مع وفاة صديق عمره العلامة ابن عاشور الذي توفي يوم الأحد ١٣/رجب ١٣٩٣هـ.

٤ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١١٩ـ١٢٠، و الإمام محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر ص١٢٦، وملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١٠٧ـ١٠٨.

المبحث الثالث: أخلاقه وصفاته

لقد تحلى الشيخ الخضر بأخلاق عالية، وصفات حميدة قل أن يدانيه فيها أحد في العصور المتأخرة، بل لقد كان على طراز الأسلاف الأوائل في ذلك الشأن.

فلقد كان رحمه الله معروفاً في تونس، وفي البلاد الشرقية بمكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم يشهد له بذلك كل من عرفه، أو خالطه، أو سمع عنه، أو ترجم له.[1]

لقد كان متصفاً بالزهد، والعفة، والحلم، والكرم، والعدل، والإنصاف، والوفاء، وثبات الود، والتواضع، وعزة النفس، وإباءة الضيم، والغيرة على المصالح، والشجاعة النادرة، والهيبة الوافرة.

وكل هذه المعاني الرفيعةِ الشأن كتب عنها الشيخ الخضر، وفَصَّل في مفهومها وحدودها أحسن تفصيل، واتصف بها، وتمثَّلها خير تمثيل؛ فجمع بين القول والعمل؛ فكان حياته مرآة صادقة لما كان يقرره، ويدعو إليه.

يقول الأستاذ محمد مواعده في نهاية دراسته عن الشيخ الخضر: «وأهم ما يمكن استنتاجه من التعرف على مراحل حياة الرجل وآثاره أن هناك انسجاماً، وترابطاً متيناً بينهما، فكانت مؤلفاته النثرية والشعرية صورة صادقة لما كان يؤمن به من أفكار، ويعتقده من آراء في حياته.

وهذا ما يجعل الرجل شخصية ثقافية متميزة لها عناصره الأصلية، ومضمونها الجلي، ومركباتها البارزة».[2]

---

١ ـ انظر تفاصيل ذلك في كتاب الإمام محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر.

٢ ـ محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٩٢.

ويقول الكاتب الكبير محمد عبدالله السمان رحمه الله متحدثاً عن الشيخ الخضر أول ما تولى الأزهر: «الشيخ الجديد ليس من خلفه أشياع ولا أتباع حتى يهرجوا له؛ لأن وقاره يسمو به عن أن يتخذ حوله أشياعاً أو أتباعاً، ولأن اعتزازه بنفسه يربآن به عن اتخاذ هؤلاء الأشياع والأتباع».

إلى أن قال: «والشيخ الجديد أكبر وأجل من أن يزهد في ذرة من كرامته؛ فهو مستعد لأن يبذل روحه وما يملك في سبيل كرامته، وليس مستعداً لأن يبذل ذرة منها في سبيل الإبقاء على حياته، ولا في سبيل الدنيا».[1]

ويقول عنه الدكتور أحمد الشرباصي رحمه الله: «الشيخ محمد الخضر حسين رجل أهم ما يتصف به الهدوء، والاتزان، والعمق؛ فهو يفكر طويلاً، ويستقصي في بحثه، ويستوعب، ويدير الفكرة في ذهنه أياماً، ويأخذ لها زادها من إحساسه ومعارفه، ومطالعاته واستنتاجاته، ثم إذا جلس ليكتب كتب في هدوء واناة، يزن لفظه قبل أن يخطه، ويتدبر عبارته قبل أن يصوغها، فإذا ما جئت بعد ذلك لتقرأ ما كتب أعجبك أن ترى عقلاً واسعاً نيّراً، وتفكيراً عميقاً سليماً، ونظرة بعيدة صحيحة، وأسلوباً رزيناً محكماً».[2]

إلى أن قال: «وأنت حين ترى الأستاذ الخضر حسين، أو تجلس إليه، تعجب لهذه الشخصية النبيلة التي تفيض خلقاً وأدباً، وتطيل الصمت والسكوت، ولا تتكلم إلا بقدر، ولا تنطق إلا بحياء، وقد تقول: كيف استطاع ذلك الشيخ الكبير أن يصبر لمتاعب التفكير والتأليف والكتابة والطباعة؟.

---

١ ـ كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين ٦٧ .

٢ ـ رسائل الإصلاح ص٢٨٢ـ٢٨٣ .

ولكنك لو علمت أن في هذه الأثواب الرهيبة أسداً إسلامياً طالما ضحى وجاهد، وطالما دعا إلى الله، وعمل لله.

ولو علمت ما يجب أن تعلمه من تاريخ الخضر حسين ـ لأدركت أن وراء هذا الهدوء ثورة، وأن هذا الشخص يَحْكُمُه عقل جبار، وتزيِّنه روح مؤمنة لا تعرف هوادة ولا ليناً، ولا راحة في سبيل العمل للعلم والدين».[١]

وقال عنه الدكتور محمد عمارة: «الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين: عقل إسلامي مجدد ومناضل في سبيل النهضة العربية والإحياء الإسلامي»[٢].

وقال: «لقد جمع إلى وَعْيِهِ بتراث أمته، وكنوزها الحضارية وعياً بالتحديات المعاصرة التي تحول بينها وبين النهضة والإحياء؛ فكان لسان الأصالة المعبر عن المشكلات المعاصِرَة، وضروراتها، يذود عن فكر الإسلام، و مجد العروبة، ويدعو إلى النهضة الحديثة المرتكزة على المعارف والصناعات»[٣].

ويحدثني الشيخ المقرئ الكبير إبراهيم الأخضر ـ حفظه الله ـ عن الهيبة التي كان يتمتع بها الشيخ الخضر حسين؛ فيذكر أن شيخه الشيخ العلامة عبدالفتاح القاضي رحمه الله كان مقرباً لدى الشيخ الخضر، وكان يذكر من هذا القبيل الشيء الكثير، ومن جملة ما ذكره أن أحد مشايخه ـ وهو الشيخ إبراهيم الجبالي[٤] ١٨٧٨ـ١٩٥٠م ـ وكان عالماً من كبار العلماء والمدرسين في الأزهر ومعاهده، وكان مهيباً يهابه الطلاب، والمعلمون في وقته هيبة شديدة.

---

١ ـ رسائل الإصلاح ص٢٨٥.

٢ ـ الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين ص٣٤١.

٣ ـ المرجع السابق ص٣٥٤.

٤ ـ انظر ترجمته في كتاب: من أعلام العصر ص ١٢١ـ١٢٧.

وكان -أي الجبالي- مع وفور هيبته لا يجرؤ أبداً على مقابلة الشيخ الخضر، بل كان ينأى عنه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، بل كان لا يصطف معه في صف واحد في المسجد، بل يتأخر عنه كثيراً.

وإذا قيل له في ذلك قال: هذا -يعني الشيخَ الخضرَ- رجل تُتَعلم منه المهابة.[1]

ومع هذه الهيبة العظيمة فقد كان ذا تواضع جم، وبعد عن التظاهر، وتزكية النفس.

ومن مظاهر تواضعه أنه كان يجيد اللغة التركية، والألمانية، والفرنسية.

ولكنه لم يكن يتظاهر بذلك، ولا يقول: إنه يتقنها، بل حكى مترجمه محمد فهمي عثمان التونسي سفير الأفغان في برلين عاصمة ألمانيا وقتئذ أن الشيخ الخضر لما كان في ألمانيا كان يعرف الألمانية، ولا يتظاهر بمعرفتها، بل كان يتخذ أحد المترجمين كدليل له ظاهرياً.[2]

ومن أعظم صفات الشيخ الخضر أنه كان رحمه الله ذا ثقة بالله، وتوكل عليه؛ حيث كان في مصر وحيداً لا قرابة له، ولا أشياع، ومع ذلك كان يواجه أعتى الصراعات الفكرية -كما مر وكما سيأتي-.

وكان ذا أنس بالله، وطمأنينة به - عز وجل - وقد سأله أحد الصحفيين قائلاً: «لقد طال تنقلكم شرقاً وغرباً، ولم يستقر بكم المقام فترة طويلة من حياتكم، فهل كنتم تحسون أثناء ذلك باضطراب أو قلق أو وحشة؟.

فأجاب الشيخ في هدوئه المألوف: إن الذي يؤمن بعقيدة أو مبدأ، لا يحس بغربة مهما تنقل وارتحل، ما دام وفياً لعقيدته، متمكناً من مبدئه.

---

١ - حدثني الشيخ إبراهيم الأخضر بهذا مراراً، وآخرها كان يوم الثلاثاء ١٤٣٣/٨/٦هـ.

٢ - انظر جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية ص١٦.

ولقد طال تطوافي في جهات عديدة من أفريقيا وآسيا وأوربا، ومرت بي فترات كنت أصبح فيها في مكان، وأمسي في مكان غيره، ومرت بي لحظات فيها سجن وقسوة، وعنف، واتهام، وتهديد، وحرمان، ومطاردة، ومع ذلك كله كان للمرء أنيس أي أنيس من ربه وإيمانه.

ولقد كنت سجيناً في الشام، ومع ذلك كله كنت أرى في النوم أحلاماً أرضى بها وأستبشر، وبعض هذه الأحلام تحقق مفهومها، أو ما يقرب منه.

وليس معنى هذا أنني كنت حريصاً على حياة التنقل والاضطراب من مكان إلى مكان، بل كنت أطمح إلى أن استقر يوماً من الأيام في دار لا يحتمل الإنسان فيها مذلة أو هواناً، وقد وجدت طلبتي في مصر؛ فجعلتها داري ومستقري منذ قرابة أربعين عاماً».[1]

ولقد عبر رحمه الله عن أنسه بالله شعراً بقوله:

لست ممن يفقد الأنس إذا ... أصبح الروض كئيباً أغبرا
لست آسى إن مضى ليلٌ وما ... صاحب زار ولا طيف سرى
هو ذا الفكرُ يناجيني متى ... رمت أنساً ضحوةً أو سحرا
لي يراعٌ كلما استهديته ... جال في الطِّرس وأهدى درّرا
فليكن في الناس بخل إنني ... لست ممن يشتكي بخل الورى[2]

ومن صفاته البارزة: ورعه، وتنزهه عن المحارم والمكروهات، ومن مظاهر ذلك أنه كان يأبى أن يوقّع على الساعة التي يدرسها إلا إذا امتلأت من أول دقيقة

---

١ ـ انظر كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين ٨٠ـ٨١.

٢ ـ خواطر الحياة ص١٢١.

فيها إلى آخر لحظة بالتعليم والإفادة.

ومعنى ذلك أن الساعات التي تذهب ببعضها فوضى الطلاب بسبب الشؤون العامة أو الخاصة لم يكن يرضى أن يأخذ عليها أي أجر[1].

وكان ﷺ محل ثناء العلماء، وتقديرهم، وإجلالهم، وقد مر شيء من ذلك، **ويقول عنه العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي** ﷺ في بيان رأيه في كتب ستة قرأها للشيخ الخضر، وهي: تونس وجامعة الزيتونة، وبلاغة القرآن، ورسائل الإصلاح، والشريعة صالحة لكل زمان ومكان، ومحمد رسول الله ﷺ وخاتم النبيين، والخيال في الشعر الجاهلي.

يقول الشيخ عبد الرزاق ﷺ: «بيان عن هذه الكتب جملة في أمور مشتركة بينها:

أ- تشترك هذه الكتب الستة في قوة الأسلوب، وعلوه، مع سلاسة العبارة، ووضوحها، وسمو المعاني، ودقتها، وإصابة الهدف من قرب بلا تكلف فيها، ولا غموض، ولا حشو، ولا تكرار.

ب- تشترك في الدلالة على سعة علم المؤلف، وتضلعه في العلوم العربية، والاجتماعية، والدينية، واستقصائه في بحثه، وفي نقاشه لآراء مخالفيه، وأدلتهم، واعتداله في حكمه، وفتاويه.

ج- يتمثل فيها نزاهة قلم المؤلف، وحسن أدبه، ونبل أخلاقه.

لكن لم يمنعه ذلك أن ينقد الملحدين، ومَنْ انحرفَ به هواه عن الجادة، والصراط المستقيم نقداً لاذعاً لا يخرج به عن الإنصاف، ولا يتجاوز حد الأدب في المناقشة؛ رعاية لحق مخالفيه، وصيانة لعلمه ولسانه عما يشينه، وسيراً مع الكتاب والسنة وآدابهما في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؛ فلا جهل،

---

١ ـ انظر الإمام محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر ص ١٢٩.

ولا سفاهة، إنما يقابل سيئةَ خَصْمِه وسبَّه بالحسنة، وغض الطرف عنها.

د- ويتمثل فيها الصدع بالحق، والكفاح عنه بحسن البيان، وقوة الحجة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، لا يخشى في ذلك لَومة لائم، عماده في ذلك كتاب الله، وسنة رسوله، ودليل العقل، وشاهد الحس، والواقع مع ذكر الشواهد من اللغة، والقضايا التي جرت في العالم»[١].

ولقد حدثني مراراً الشيخ العلامة الدكتور بكر أبو زيد ﷺ أن من أعظم العلماء إفادة له هم المشايخ الثلاثة: محمد الخضر حسين، ومحمد الطاهر بن عاشور، ومحمد البشير الإبراهيمي - رحمهم الله -.

وقال عنه العلامة الشيخ أحمد رشيق بكيني الأستاذ بالزاوية الحملاوية والمعهد الإسلامي بالتلاغمة بالجزائر: «ولقد كان ﷺ كما حدثني شيخنا العلامة سيدي أحمد إدريس عبده عن شيخنا العلامة إبراهيم أبو الخشب: خير رجل تولى مشيخة الأزهر»[٢].

ويقول عنه الأستاذ الشيخ عبدالمنعم خلاف: «إن السيد الخضر طراز نادر في هذا الزمن! فهو -على امتلائه بقدر من العلوم والمعارف قلّما يتيسر لغيره من معاصريه، وعلى نباهة شأنه بين أهل زمانه، حتى إنه ليعدّ حجة من حجج الإسلام- هو - على هذا كله - خافض الجناح، مصفى الخلق، متواضع، يسير في طريقه كما يقف في صلاته.

وناسُ هذا الزمان أعلى رؤوسهم أفرغُها، وأرفُع أصواتهم أنكرُها، فهم كالطبول تملأ الدنيا ضجيجاً، ولكنك إذا غمزتها بإبرة تكشَّفت لك عن تجويف وفراغ»[٣].

---

١ - انظر الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي - حياته - وجهوده العلمية والدعوية وآثاره الحميدة، تأليف محمد بن أحمد سيد أحمد ١/٢٤٥ - ٢٥٣

٢ - الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين ص١٦١ .

٣ - المرجع السابق ص٣٣٠ .

ويكشف الأستاذ علي الرضا الحسيني عن بعض المشاهد الخاصة في حياة عمه الشيخ محمد الخضر حسين التي تُبين عن شيء من تواضعه، وزهده، وكرمه، فيقول: «ـ الكتاب رفيقه وجليسه، يضعه إلى جانبه إذا خاض في حديث، ويمسك به للمطالعة إذا خلا بنفسه.

ـ كان مهداءً لكتبه، يقدمها إلى كل زائر، ويبعث بها إلى معارفه من الشيوخ والعلماء في المعاهد الدينية، ولم يستفد مالاً من عائداتها، ولقد وجدْتُ كتبه المهداة في كل بلد عربي زرته.

ـ لم يكن يتقاضى من (جمعية الهداية الإسلامية) بصفته رئيساً لتحريرها، ولا عن محاضراته في الجمعية أيَّ أجر، وهذا مبلغ علمي.

ـ كان مشَّاءًا يحب السير على قدميه، فينتقل من سكناه في حي السيدة زينب إلى دار الجمعية في شارع مجلس النواب بالقاهرة ماشياً.

ـ سكناه بسيطة، يتجلى فيها زهد الإمام وورعه، شقة بالكراء من غرفتين، وفسحة بينهما، وفرش متواضع؛ لذا نراه يستقبل كبار زوّاره في دار (جمعية الهداية) لا لسبب إلا لضيق داره.

وذكرت لي زوجته أن الحبيب بو رقيبة عندما لجأ إلى تونس[1]، نام ليلته الأولى في مطبخ دار الشيخ، حتى هيأ له غرفة في اليوم التالي لدى إحدى الجمعيات.

ـ فُطوره قطعة من الخبز، وكوب من الحليب، ووجباته لا تتعدى لقيمات من لون واحد من الطعام.

ـ يغتسل بالماء البارد طوال السنة، وهي عادة اتخذها منذ أن كان في برلين.

ـ راتبه الضئيل لم يتجاوز ثلاثين جنيهاً، يقتطع نصفه لمعاشه، والنصف الآخر يرسله مجزَّأً إلى أقاربه في دمشق وتونس مساعدة لهم.

---

١ ـ هكذا في الأصل ولعل الصواب: عندما لجأ إلى مصر.

ـ لم يَقْتَنِ سيارة في حياته، ولم يمتلك عقاراً، وعند وفاته لم يترك إلا مكتبته التي أهداها إلى دار الكتب المصرية، وآثاره العلمية التي ينتفع بها الناس».[١]

فهذه العيشة البسيطة المتواضعة تذكرك بحال الأسلاف الأوائل الذين طالما تغنى الشيخ الخضر بذكر مآثرهم، وشَحَذَ الهمم للسير على منوالهم.

فهذه البساطة ـ في الحقيقة ـ هي العظمة الحقة؛ إذ إن أجمل ما تراه العين عظمة حقة مع تواضع ولين جانب.

وأحسنُ مقرونين في عين ناظر جلالةُ قدرٍ في خمول تواضعِ[٢]

ولو أدرك بعض معاصريه ما أدرك من علم، وحظوة لربما تعاظم في نفسه، ولما رأى لغيره فضيلة.

أما الشيخ فرضي بهذه السيرة الحميدة مع أنه العالم النحرير، والمناضل الكبير، والمفكر الإسلامي، والمفسر، والمحدث، والخطيب المصقع، والشاعر المُفْلِق، والداعية المسدد، واللغوي الضليع، والقاضي النزيه، والمصلح، والرحالة، وعالم الاجتماع، وإمام مشيخة الأزهر إلى غير ذلك من الصفات التي وهبها الله إياها، فأحسن الشيخ لها، وأخلص.[٣]

وبالجملة فإن أخلاق الشيخ ومناقبه كثيرة جداً، والمقام لا يتسع إلا للقليل من ذلك.

ولعل الصفة البارزة فيه من هذه الناحية هي أن يحسن وضع الأشياء في مواضعها؛ فاللين في موضعه، والشدة في موضعها، والتواضع في موضعه، والعزة في موضعها.

كما أنه كان يعرف مكانه، ومنزلته، ويدرك ما يراد منه، وما يليق به؛ فذلك مما زاده حكمة، وبصيرة رفعته في أعين الناس، وجعلته في المحل الأسنى.

---

١ ـ ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص٤٧ـ٤٨ .

٢ ـ انظر رسائل الإصلاح، طبعة دار الإصلاح ص١٢٨ .

٣ ـ انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ٤ .

وإليك هذا المثال على ما ذكر؛ وهو أن الشيخ الخضر كان على درجة عالية من الشجاعة، بل كانت شجاعته نادرة.

ومع ذلك فقد كانت تلك الشجاعة مقرونة بالحكمة، والروية، وتدبر العواقب، وتقليب الرأي، والنظر في المصالح والمفاسد.

كيف لا، وهو الذي يؤكد على أن الأمة لا تحوز مكانة يهابها خصومها، وتقرُّ بها عين حلفائها ـ إلا أن تكون عزيزة الجانب، صلبة القناة، ويقرر أن عزة الجانب، وصلابة القناة لا ينزلان إلا حيث تكون قوة الجأش، والاستهانة بملاقاة المكاره، وذلك ما يسمى شجاعة.

ويؤكد على أن الحكماء ينصحون الناس ألا يقدموا على مواقع الخطر إلا حيث تكون فائدة الإقدام أكبر من خسارته[١] على حد قول أبي الطيب المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفسٍ مرَّةٍ بلغت من العلياء كل مكان[٢]

وقوله:

وكل شجاعة في المرء تغني ولا مثل الشجاعة في الحكيم[٣]

ويؤكد على عظم خصلة الشجاعة فيقول: «ومن ذا الذي يرتاب في أن الموت في مواطن البطولة أشرف من حياة يغمرها الذل والهوان».[٤]

ولهذا كانت سلسلة حياته تسير على هذا النحو من الشجاعة الأدبية المقرونة بالحكمة، ومعرفة ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي، وبالقدر الذي ينبغي؛ فمذ

---

١ ـ انظر رسائل الإصلاح للشيخ محمد الخضر طبعة دار الإصلاح في الدمام ١/٧٧ـ٧٨.

٢ ـ شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي البقاء العكبري، دار المعرفة، بيروت، لبنان ٤/١٧٤.

٣ ـ شرح ديوان أبي الطيب المتنبي للعكبري ٤/١٢٠.

٤ ـ الهداية الإسلامية للشيخ محمد الخضر حسين ص٣٩.

كان في تونس في بواكير حياته أنشأ مجلة السعادة، فكانت أول صوت ارتفع ينادي بوجوب الإصلاح الاجتماعي.

ولا ريب أن إنشاءها في ذلك الوقت يحتاج إلى شجاعة نادرة؛ إذ كيف يُقْدِمُ على ذلك إنسان في أوائل حياته العلمية؟ وهو يرى فريقين من مشايخه وأساتذته على طرفي نقيض: فريق المحافظين، وفريق الإصلاحيين، فَيُنْشأ تلك المجلة في معمعة تلك الخلافات، فيكون ظهورها كطلوع الحكم العادل الذي تنزهت به المجادلات عن الفحش، وتطهرت من الهمز واللمز، وتسامت عن التشهير والأذى الشخصي ـ كما يقول العلامة الفاضل بن عاشور ـ.[1]

وهكذا سارت معه تلك الشجاعة الحكيمة طيلة عمره، وفي أثناء مواقفه، ومنازلاته الفكرية.

وإذا طويت سيرته طيَّ السجل للكتب، وأتيت على آخر أيام عمره، رأيت تلك الشجاعة النادرة تسير معه حتى حين بلغت شَمْسُهُ رأسَ الحائط؛ فعندما أُسقط الملك فاروق، وقامت الجمهورية في مصر عام ١٩٥٢م كان أول شيخ للأزهر في ذلك الوقت مع أنه من أصل تونسي، ولم يكن له حزب أو أشياع؛ فقبل رئاسة الأزهر، وتعاون مع رجال الثورة.

ولكن عندما اصطدمت قناعاته مع بعض الأعمال التي قام بها رجال الثورة مثل الإصلاحات على مستوى الأزهر، أو حول قضية المحاكم الشرعية، وقضية الإصلاح الزراعي في مصر ـ لم يرضَ الشيخ الخضر حسين عن هذه الإصلاحات، فقدم استقالته.[2]

يقول الدكتور مولود عويمر الأستاذ في جامعة الجزائر: «وهذه الاستقالة ـ كما فسرها ـ هي استقالة سياسية تختلف عن الاستقالات التي عرفها الجامع الأزهر، وقليل من علماء الأزهر الذي استقالوا في تاريخه، ولكنها كانت استقالات علمية أكاديمية مرتبطة بإصلاحات الأزهر.

وكان التعيين في مشيخة الأزهر من قِبَلِ هيئة كبار العلماء، وأصبح قراراً سياسياً.

---

١ ـ انظر الحركة الأدبية والفكرية بتونس ص٧٨.

٢ ـ انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١١٣ .

وقلما نجد عالماً يأخذ هذا الموقف السياسي، ويرفض هذه المشاريع السياسية التي طرحها رجال الثورة في مصر.

وأضاف الشيخ الخضر حسين ميزة عندما قال: (إن شيخ الأزهر لا ينتقل إلى الحاكم) عندما طلب منه الذهاب لمقابلة الرئيس محمد نجيب، وأعتقد أن هذه ميزة نقلها الشيخ محمد الخضر حسين إلى مصر». [1]

ولعل من أعظم المعالم البارزة في حياة الشيخ العلامة محمد الخضر حسين ثباته على الودّ، ووفاؤه المنقطع النظير لأصدقائه، ومحافظته على علاقاته بهم.

ولا ريب أن الصداقة الفاضلة المتينة الطويلة لا تنبت إلا في صدور الأوفياء العقلاء من الرجال.

ولعل صداقته للشيخ العلامة محمد الطاهر بن عاشور من خير ما يمثل ذلك؛ فلقد انعقدت بينهما صداقة يعز نظيرها.

---

١ ـ ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ص١١٣، وقد ذكر لي الشيخ إبراهيم الأخضر عن شيخه الشيخ عبدالفتاح القاضي ـ وكان مقرباً لدى الشيخ الخضر ـ أن الرئيس محمد نجيب لما قدم إلى الأزهر طلب الشيخ الخضر من سكرتيره، ومن الشيخ عبدالفتاح القاضي أن يستقبلا الرئيس محمد نجيب عند باب المصعد، يقول الشيخ عبدالفتاح: فاستقبلنا الرئيس عند باب المصعد ومعه مجموعة من الضباط والعسكر، وقلنا له: تفضل، وسرنا معه حتى وصلنا مكتب الشيخ الخضر، فاسرع الرئيس نجيب إلى الشيخ الخضر قبل أن يخرج من مكانه، فقبل يد الشيخ الخضر عدة مرات، ثم جلس الرئيس نجيب أمام الشيخ الخضر كما يجلس العسكري أمام الضابط، وظلا يتحدثان، ونحن واقفان.

ولما هم الرئيس بالتوديع قال للشيخ الخضر: هل تأمرون بشيء؟ فقال له الشيخ: نعم، ثم أخرج ورقة فيها عدد من المطالب، وأعطاها الرئيس محمد نجيب، ومن ضمنها طلب افتتاح معهد القراءات وتأسيسه، فوضعها محمد نجيب في جيبه، وقال: كلها ستكون محل التنفيذ، وبالفعل نُفِّذت، وافتتح معهد القراءات فيما بعد.

ولما انتهت الجلسة قام الشيخ مع الرئيس محمد نجيب إلى باب المصعد وودعه، ثم لما رجع الشيخ صاح مرة أخرى قائلاً: يا سيد نجيب، يا سيد نجيب، فالتفت إليه الرئيس قائلاً: نعم يا مولانا أهلاً وسهلاً، فقال له الشيخ الخضر: قل لهذا الأفندي لا يكتب في الدين مرة أخرى، فقال الرئيس نجيب: حاضر، حاضر، وهو لا يعلم من المقصود بذلك، ولكنه لم يجرؤ أن يسأل الشيخ عنه؛ فالتفت إلينا وقال: من يقصد الشيخ بالأفندي، فقلنا له: إن الوزير الفلاني يكتب فتاوى كثيرة في الجريدة، ولا يجرؤ أحد يرد عليه إلا الشيخ، والشيخ تعب منه، وبعد ذلك لم يعد ذلك الوزير إلى الكتابة. اهـ

حدثني بذلك الشيخ إبراهيم الأخضر ـ حفظه الله ـ مراراً، وآخرها عصر يوم الجمعة ١٤٣٣/٨/٩هـ في مكالمة هاتفية.

ولقد مرت الإشارة إلى شيء من تلك الصداقة التي استمرت ما يزيد على ستين عاماً، فقامت على صدق المودة، ورعاية الحقوق، ورقة الشعور، وحسن التذمم والوفاء، وحرارة الأشواق، والسلامة من المكدرات، ونحو ذلك من المعاني الجميلة؛ فصارت تلك الصداقة مضرب المثل.

ولقد تعرفا على بعض في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، إذ كانا قرينين في طلب العلم بجامع الزيتونة، وتوطّدت تلك العلاقة عام ١٣١٦هـ، واستمرت إلى أن فارق الخضر الدنيا عام ١٣٧٧هـ.

وأما الطاهر فعاش إلى عام ١٣٩٣ هـ حيث عُمِّر سبعاً وتسعين سنة[1].

ولقد فَرَّق الاستعمار بينهما؛ حيث حكم على الشيخ الخضر بالإعدام والجلاء، فخرج من تونس عام ١٣٣١ هـ وتقلّب في عدد من البلاد ومات في مصر.

وكان كثيراً ما يكاتب الطاهر، ويرد على كتاباته، ويبعث إليه أشواقه، وتحاياه، وتهانيه إذا ما تقلد منصباً.

ومما جرى بينهما في هذا السياق أنه بعد هجرة الشيخ الخضر من تونس عام ١٣٣١ بعث إليه صديقه محمد الطاهر بن عاشور وهو كبير القضاة بتونس رسالة مصدرة بالأبيات التالية:

بَعُدْتَ ونفسي في لقاك تصيدُ ... فلم يُغنِ عنها في الحنان قصيد

وخلّفت ما بين الجوانح غصة ... لها بين أحشاء الضلوع وقود

وأضحتْ أمانيْ القرب منك ضئيلةً ... ومرُّ الليالي ضعفها سيزيد

أتذكر إذ ودَّعْتنا صبحَ ليلةٍ ... يموج بها أنسٌ لنا وبرودُ

وهل كان ذا رمزاً لتوديع أنسنا ... وهل بعد هذا البين سوف يعود

---

١ ـ انظر كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين ص٢٥ـ٢٨ .

ألم ترَ هذا الدهر كيف تلاعبت ... أصابعه بالدر وهو نضيد

إذا ذكروا للود شخصاً محافظاً ... تجلى لنا مرآك وهو بعيدُ

إذا قيل: مَنْ للعلم والفكر والتقى ... ذكرتُك إيقاناً بأنكَ فريد

فقل لليالي: جَدِّدي من نظامنا ... فحسبكِ ما قد كان فهو شديد

ثم كتب تحت هذه الأبيات: «هذه كلمات جاشت بها النفس الآن عند إرادة الكتابة إليكم، فأبثها على عِلاتها، وهي - وإن لم يكن لها رونق البلاغة والفصاحة - فإن الود والإخاء والوجدان النفسي يترقرق في أعماقها»[1].

ولما وصلت تلك الرسالة إلى الشيخ محمد الخضر حسين أجاب بالأبيات التالية:

أينعم لي بالٌ وأنت بعيد ... وأسلو بطيف والمنام شريد

إذا أجَّجتْ ذكراك شوقيَ أُخْضِلَتْ ... لعمري بدمع المقلتين خدود

بَعُدْتُ وآمادُ الحياة كثيرةٌ ... وللأمد الأسمى عليَّ عهود[2]

بعدت بجثماني وروحي رهينةٌ ... لديك وللودِّ الصميم قيود

عرفتُك إذ زرتُ الوزير وقد حنا ... عليَّ بإقبال وأنت شهيد[3]

فكان غروبُ الشمس فجْرَ صداقةٍ ... لها بين أحناء الضلوع خلود

لقيت الودادَ الحرَّ من قلب ماجدٍ ... وأصدق من يُصْفي الوداد مجيد

ألم تَرْمِ للإصلاح عن قوس نافذٍ ... درى كيف يُرعى طارفٌ وتليدُ

---

١ - خواطر الحياة ص٦٣.

٢- يعني بالأمد الأسمى: خدمة الدين، والقيام بالدعوة، ومحاربة الاستعمار.

٣ - الوزير: هو محمد العزيز بو عتّور (١٢٤٠ - ١٣٢٥) جد ابن عاشور لأمه، من كبار رجال السياسة والعلم في تونس، والبيت إشارة إلى أول لقاء بين الخضر وابن عاشور.

وقمتَ على الآداب تحمي قديمها مخافةَ أن يطغى عليه جديد
أتذكر إذ كنا نباكر معهداً حُميَّاه عِلْمٌ والسقاة أسود[١]
أتذكر إذ كنا قرينين عندما يحين صدورٌ أو يحين ورود
فأين لياليا وأسمارها التي تُبلُّ بها عند الظماء كبودُ
ليالٍ قضيناها بتونسَ ليتها تعود وجيش الغاصبين طريد[٢]

وهذه مقطوعة عنوانها (الوفاء بعهد الصداقة)، وقد قالها الشيخ الخضر عندما سأله بعض الأدباء: كيف كانت صلتكم بالشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تونس؛ فأجابه بهذه الأبيات:

أحببتُه ملءَ الفؤاد وإنما أحببت من ملأ الودادُ فؤادَهُ
فظفرتُ منه بصاحبٍ إن يدرِ ما أشكوه جافى ما شكوتُ رقادَه
ودريت منه كما درى مني فتىً عرف الوفاء نجاده ووهادَه[٣][٤]

وهذه مقطوعة عنوانها (برقية الشوق)، قالها الشيخ محمد الخضر أثناء رجوعه من الآستانة إلى تونس سنة ١٣٣٠ هـ، وقد مرت به الباخرة بالقرب من شاطئ (المرسى) حيث كان يقيم صديقه العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور:

قلبي يحيِّيك إذ مرت سفينتنا تُجاه واديك والأمواج تلتطم
تحيةً أبرق الشوق الشديد بها في سلكِ ودٍّ بأقصى الروح ينتظم[٥]

---

١ ـ نباكر: نأتي مبكرين، والمعهد: جامع الزيتونة، والحميا: شدة الغضب وأوله، ويعني به هنا: النشاط، ويريد بالسقاة: أساتذة المعهد وما كان لهم من مهابة وإجلال في قلوب المتعلمين.
٢ ـ خواطر الحياة ص ٦٤ـ٦٥.
٣ ـ النجاد: ما ارتفع من الأرض، والوهاد: ما انخفض منها.
٤ ـ خواطر الحياة ص٩٠.
٥ ـ خواطر الحياة ص٢٣١.

وهذه قصيدة عنوانها (تهنئة بالقضاء) قالها وهو في دمشق؛ لتهنئة صديقه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور عند ولايته القضاء بتونس:

بَسَط الهناءُ على القلوب جناحا ... فأعاد مسودَّ الحياة صباحا
إيهِ محيا الدهر إنك مؤنسٌ ... ما افتر ثغرك باسماً وضَّاحا
وتعُدُّ ما أوحشْتَنا في غابر ... خالاً بوجنتِك المضيئة لاحا
لولا سواد الليل ما ابتهج الفتى ... إن آنس المصباح والإصباحا
يا طاهر الهمم احتمتْ بك خُطَّةٌ ... تبغي هدىً ومروءةً وسماحا
سحبت رداء الفخر واثقة بما ... لك من فؤاد يعشق الإصلاحا
ستشد بالحزم الحكيمِ إزارها ... والحزم أنفس ما يكون وشاحا
وتذود بالعدل القذى عن حوضها ... والعدل أقوى ما يكون سلاحا
في الناس مَنْ ألقى قِلادتها إلى ... خَلفٍ فحرَّم ما ابتغى وأباحا
فأدِرْ قضاياها بفكرك إنه ... فكرٌ يرد من العويص جماحا
أنسى ولا أنسى إخاءك إذ رمى ... صَرْفُ الليالي بالنوى أشباحا
أسلو ولا أسلو علاك ولو أتت ... لبنان تهدي نرجساً فياحا
أو لم نكن كالفرقدين تَقَارَنا ... والصفو يملأ بيننا أقداحا[1]

وهذه مقطوعة قالها الشيخ محمد الخضر حسين في صديقيه العلامة أحمد تيمور باشا، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور، مبيناً عظيم محبته لهما، حيث قالها بعد موت أحمد تيمور، وفي وَقْتِ بُعْده عن ابن عاشور قال:

تقاسم قلبي صاحبان ودِدْتُ لو ... تَمَلَّتْهما عيناي طول حياتي
وعلَّلت نفسي بالمنى فإذا النوى ... تُعِلُّ الحشا طعناً بغير قناةِ

١ ـ خواطر الحياة ص٦٥.

فأحمد في مصر قضى ومحمد بتونس لا تحظى به لحظاتي

أعيش وملءُ الصدرِ وحْشَةُ مُتْرَفٍ رَمَتْهُ يَدُ الأقدارِ في فَلَواتِ[١][٢]

وبالجملة فإن أخلاق الشيخ الخضر، ومناقبه كثيرة جداً، وسيرة حياته حافلة بما يؤكد ذلك، والمقام لا يسمح بالتفصيل.

---

١ ـ معنى البيت يقول: إن حالي في بعدي عن هذين الصاحبين كحال رجل عاش في نعيم، ثم تحول عنه إلى صحراء جرداء لا نعيم فيها ولا خِصَب؛ فماذا ستكون حاله؟ إنها حال بؤس وشقاء.

ولو أنه عاش في أول أمره في شظف عيش لهان عليه الأمر؛ فحال هذا المترف الذي تقلب في النعيم ثم تحول عنه إلى الشقاء كحالي مع صاحبيَّ؛ فبينما أنا أعيش في أنس وسرور ونعيم بسبب قربي منهما، وأُنسي بهما إذا بي بعيد عنهما، حزين لفراقهما.

وهذا تشبيه بديع رائع.

٢ ـ خواطر الحياة ص٦٠.

الفصل الثاني: مؤلفات الشيخ محمد الخضر

تمهيد: ملحوظات حول علمية الشيخ ومؤلفاته

لقد قضى الشيخ محمد الخضر حسين جانباً كبيراً من حياته في التعلم، والمطالعة، والبحث.

ولما ملأ عيابه من العلم اتجه إلى التعليم، والتوجيه، والدعوة إلى الله، مع أنه لم يتوقف عن التعلم والتزود من المعارف بحسب ما يتيسر له.

ولقد اتخذ من كتابة المقالات، وإلقاء المحاضرات وسيلة أساساً للتبليغ، والدعوة، ونشر العلم؛ فأشرف ـ كما مر ـ على تحرير مجلات عديدة، وهي السعادة العظمى، والهداية الإسلامية، ونور الإسلام، ولواء الإسلام؛ فكان يكتب فيها البحوث والمقالات العلمية والأدبية، ويكتب ـ كذلك ـ في نقد بعض المقالات، ويتعقب بعض الكتاب بالرد.

ولم يقتصر على المجلات التي يرأس تحريرها، بل كان يكتب في عدد من المجلات، كالمنار، ومجلة البدر التونسية، ومجلة الفتح التي يشرف عليها صديقه محب الدين الخطيب.[1]

ولقد كان رحمه الله كثير المطالعة، كثير الكتابة.

وقد سأله صحفي مصري بعد أن أصبح شيخاً للأزهر: هل تهوى الكتابة؛ فأجاب الشيخ: «وهل هناك من يجيد القراءة ولا يكتب».[2]

---

١ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٢٢.

٢ ـ مجلة المصور المصرية عدد الأسبوع الأخير من شهر سبتمبر سنة١٩٥٢م.

ويكفي أن آخر مقال صدر له بمجلة لواء الإسلام كان في الشهر الذي أدركته فيه المنية.

كما أنه محاضر من الطراز الأول، وكان ينشر تلك المحاضرات في الصحف؛ لذا كان أغلب آثاره ناتجاً عن المحاضرات، والمقالات، والبحوث التي نشرت في مجلات مختلفة.

ويبدو أنه كان يقوم بذلك عن قصد؛ لأن الغرض الذي كان يرمي إليه من الكتابة هو توضيح معالم الدين، وتوجيه المسلمين وإرشادهم، والدفاع عن الإسلام من تهم الملحدين، والزائغين، والجاهلين.[١]

وهذا الأمر يقضي اتباع الوسائل الكثيرة الانتشار؛ حتى تعم الفائدة.

ولا أجدى؛ لتحقيق هذا الغرض من استعمال الصحف والمجلات؛ إذ كانت الطريقة المثلى لنشر العلم، والدفاع عن الإسلام في ذلك الوقت.[٢]

وهذا ما جعل الرجل لا يؤلف الكتب ابتداءًا، إلا عندما نَقَضَ كتابي (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبدالرازق، و (في الشعر الجاهلي) لطه حسين.

مع ملاحظة أن أسلوبه في التأليف، والكتابة، والمحاضرة واحد؛ من حيث القوة، والجزالة، وحسن العرض.[٣]

ولقد خرج أكثر تلك التآليف، والمقالات، والمحاضرات في كتب مطبوعة متداولة منذ أوائل حياته في تونس إلى حين وفاته في مصر.

---

١ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٢٢ـ١٢٣.

٢ ـ يقول العلامة القاسمي ت ١٣٣٢هـ: «مقالة في صحيفة خير من ألف درس للعامة». انظر الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي و محمود شكري الألوسي، جمع وتحقيق الشيخ محمد العجمي ص٥٦.

٣ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٢٣.

وهذه المؤلفات تُبِيْنُ عن شخصية علمية موسوعية فذة؛ حيث كتب في شتى علوم الشريعة من تفسير، وعلوم قرآن، وحديث، وأصول، وعقائد، ومقاصد، وسيرة، واجتماع، وتربية، ووعظ، ودعوة، ونحو ذلك.

كما كتب في اللغة، والأدب، والنقد، والتاريخ، والاجتماع، والطب.

وكان شاعراً مجيداً ينشر قصائده في المناسبات، والمجلات، وقد جمع أكثرها في ديوانه (خواطر الحياة).

ولئن كان الشيخ مُبرزاً في مجال التأليف والكتابة في شتى الفنون ـ فإن عبقريته الفذة، وشخصيته العلمية، ومواهبه المتنوعة تتجلى في مجال النقد، والنقض، والرد.[1]

وتأتي بعد ذلك بحوثه في فنون الشريعة، ثم بحوثه اللغوية التي كان فيها مرجعاً، وأستاذاً لا يجارى.

بل إن مجرد إلقاء نظرة على عنوانات كتبه، وبحوثه، ومحاضراته، ومقالاته تكفي لأن تعرف مدى ما يتمتع به من علمية نادرة، وقدرة فائقة على البحث، والكتابة.

وهذا ما سيتبين عند عرض مؤلفاته.

وقبل عرض مؤلفات الشيخ رحمه الله والتعريف بمحتواها يحسن إيراد الملحوظات التالية:

١ـ أن الشيخ رحمه الله بدأ في الكتابة منذ بواكير عمره، فبدأ بالكتابة في الصحافة سنة ١٣٢٢هـ، وربما كتب قبل ذلك، واستمر إلى سنة ١٣٧٧هـ أي قبيل وفاته بأيام؛ إذ إن آخر مقال كتبه هو (فساحة الصدر ونزاهة اللسان عن المكروه) كتبه في الشهر الذي توفي فيه.

وهذا يعني أن المدة التي استغرقها في الكتابة والمحاضرات، والتأليف عموماً أربع وخمسون سنة في الأقل.

١ـ انظر محمد الخضر حسين شيخ الأزهر السابق دراسة ـ مختارات، أبو القاسم كرو ضمن كتاب الإمام محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر ص١٠٣.

يضاف إلى ذلك أنه كان غزير الكتابة، مطواع القلم، كثير البحث، دائب النشاط، متنوع المعارف، قريب الصلة بالصحافة.

وهذا أمر نادر جداً بين أقرانه، ومعاصريه من الشيوخ الذين قل أن تجد لبعضهم أدنى كتابة، أو تأليف.[١]

٢ـ أن إنتاج الشيخ من بحوث ومحاضرات كان متناثراً في المجلات والصحف التي كان ينشر فيها، ومنها ما هو موجود عند بعض محبيه، وتلامذته، أو من يخصهم برسالة، أو جواب، أو نحو ذلك.

ولقد قام المحامي الأستاذ علي الرضا الحسيني بجمع تراث عمه، واعتنى بذلك ـكما مرـ عناية كبيرة غير أن الصعوبة تكمن في الجزم بأن تراث الشيخ قد خرج كاملاً حتى بعد خروج موسوعة الأعمال الكاملة للإمام.[٢]

ولا يزال ابن أخيه الأستاذ علي يتحف القراء بين الفينة والأخرى بما يستجد له من تراث عمه.

ولعل عنايته تتواصل، ولا تقف عند حدٍّ ما خرج في الموسوعة.

٣ـ أن بعض كتب الشيخ نشر منذ وقت مبكر من حياته، ككتاب (حياة اللغة العربية) الذي خرج عام ١٩٠٩م.

وكذلك كتاب (الحرية في الإسلام) الذي طبع أول مرة عام ١٩٠٩م وغيرها من المؤلفات.

---

١ ـ انظر الإمام محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر ص١٠٥.

٢ ـ وقد أخبرني الأستاذ محمد بن سعود الحمد أنه بصدد إخراج مجموعة من المقالات والبحوث التي لم تنشر بعدُ للشيخ الخضر، وكثيراً ما يكرر الأستاذ علي الرضا أنه يجد بين الفينة والأخرى آثاراً جديدة لعمه الشيخ الخضر.

وهذه الكتب التي طبعت في حياة الشيخ خرجت حاملة الاسم الذي ارتضاه الشيخ.

أما الكتب التي خرجت بعد وفاته، وأشرف عليها ابن أخيه المحامي علي الرضا فلم تكن ـ في معظمها ـ على النسق الذي وضعه مؤلفها؛ فقد تصرف الناشر في بعض العنوانات، واجتهد في إدخال كتبٍ إلى كتب، أو جَمْعِ مقالاتٍ ومحاضرات إلى كتاب سبق طبعه مستقلاً.

كما في كتاب (العظمة) حيث خرج مستقلاً، ثم خرج ضمن كتاب (محمد رسول الله وخاتم النبيين)، وكذلك كتاب (الحرية في الإسلام) خرج مستقلاً مراراً، وخرج ضمن كتاب (محاضرات إسلامية).

وقد نتج عن هذا ـ كما يقول الأستاذ أبو القاسم كرو ـ عسر هضم لدى الباحثين.[١]

ويقول الأستاذ أبو القاسم كرو بعد أن أبدى بعض الملحوظات على ما نشر من تراث الشيخ: «وكنا نفضل لو سلك حفيده[٢] مسلكاً آخر يقوم على ما يلي:

أ ـ نشر كتبه القديمة كما هي في طبعاتها الأولى.

ب ـ جمع المحاضرات والبحوث الصغيرة ما طبع منها وما لم يطبع في كتاب متعدد الأجزاء كما فعل المؤلف نفسه في كتاب (رسائل الإصلاح) وكما فعل الناشر ـ مشكوراً ـ في كتاب (دراسات في العربية وتاريخها).

ج ـ جمع المقالات في كتاب مستقل متعدد الحلقات، تُخَصَّص كل حلقة بموضوع عام ديني، أدبي، اجتماعي، وطني مع الإشارة دائماً إلى مكان النشر الأول، وتاريخه، وملابساته إن وجدت».[٣]

---

١ ـ انظر الإمام محمد الخضر حسين في أقلام نخبة من أهل الفكر ص١٠٥.

٢ ـ يعني ابن أخيه الأستاذ علي الرضا.

٣ ـ محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر ص١٠٥.

ولعل هذه الأمنية التي أوردها الأستاذ أبو القاسم كرو ـ وجدت أذناً صاغية من الأستاذ علي الرضا الحسيني، وذلك عندما قام بإخراج موسوعة الأعمال الكاملة لعمه الإمام محمد الخضر حسين، التي احتوت على ما نشر من تراث الشيخ، وعلى الجديد مما لم ينشر، كما احتوت على الدراسات، والتراجم، والكتابات التي كتبت حوله.

وقد اعتنى الناشر بتبويبها، وتقريبها، وإخراجها بطبعة فاخرة.

وهذا مما قرب علوم الشيخ، ويسر البحث في مؤلفاته، وإن كانت الموسوعة تفتقر ـفي مجملهاـ إلى الترتيب الموضوعي الذي يجمع كل فن على حدة.

ويُلتمس العذر للأستاذ علي بأنه يعثر ما بين حين لآخر على تراث جديد لعمه الشيخ الخضر، فيسارع إلى نشره، ثم يعثر على تراث آخر، وهكذا.

ومن هنا يصعب عليه أن يرتب ما يَجِدُه حسب الموضوعات، وقد يخشى ـأيضاًـ من التكرار والتداخل.

لذا فإن عرض مؤلفات الشيخ والتعريف بها سوف يسير ـ بإذن الله ـ حسب الترتيب الذي سارت عليه موسوعة الأعمال الكاملة.

مؤلفاته: عرض وتعريف ودراسة

الحديث ههنا سيتناول عرض مؤلفات الشيخ، والتعريف بها ودراستها بشيء من البسط غير المطوَّل؛ إذ لو كان ذلك على نحو مفصل لطال الكلام، والمقام ليس مقام تفصيل وإسهاب.

وسيكون هذا العرض والتعريف ـكما مرـ على نحو الترتيب الذي سارت عليه موسوعة الأعمال الكاملة للشيخ؛ فإلى بيان ذلك.

الأول: أسرار التنزيل: وهو كتاب جمع فيه الأستاذ علي الرضا الحسيني ما وجده من الآيات التي فسرها عمه الشيخ الخضر، وسماه ـأي الأستاذ عليـ بهذا الاسم.

وقد طبع هذا الكتاب مفرداً عام ١٣٩٦هـ، ونشره الأستاذ علي الرضا.

وفي موسوعة الأعمال الكاملة للإمام جاء كتاب (أسرار التنزيل) في المجلد الأول، واستغرقه كُلَّه بعد مقدمات الموسوعة، وجاء في أربعمائة واثنتين وثلاثين صفحة.

يقول الناشر الأستاذ علي مبيناً قصة تأليف ذلك الكتاب:

«ما إن ارتقى فضيلة الأمام الأكبر المرحوم محمد الخضر حسين ـرضوان الله عليهـ المرتبة العلمية الرفيعة التي انتهى إليها في قمة مجده العلمي، وفي أواخر حياته المليئة بالجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وما إن أضحى بحراً لا ساحل له في مختلف العلوم الإسلامية واللغوية ـ باشر في وضع تفسير محكم لكتاب الله العزيز ينبع من صفاء علمه، وعرفانه، وهدايته، وتقواه.

وبقلمه البليغ بدأ ﷺ نشر التفسير الذي وضعه في مجلة «لواء الإسلام» التي كانت تصدر بالقاهرة، وكان رئيساً لتحريرها، بدءاً من العدد الأول الصادر بتاريخ الأول من شهر رمضان المبارك لعام ١٣٦٦هـ الموافق التاسع عشر من شهر يوليو تموز ١٩٤٧م.

واستمر في هذا العمل الجليل حتى أثقلته السنون، وقد قارب عمره الطاهر على الثمانين عاماً.

وتحت وطأة الشيخوخة توقف عن متابعة هذا الجهد الرائع والإنتاج الفكري العظيم، وكانت آخر الصفحات من التفسير هي تلك التي نشرها في العدد الثاني عشر من السنة الرابعة لمجلة لواء الإسلام والصادر في شهر شعبان لعام ١٣٧٠هـ الموافق شهر مايو أيار لعام ١٩٥١م»[١].

ثم بيَّن الأستاذ علي الرضا الآيات التي قام الشيخ بتفسيرها، فقال: «قام المؤلف بتفسير القسم الأكبر من سورة البقرة حتى الآية ١٩٥ بالإضافة إلى سورة الفاتحة، وبتفسير آيات قرآنية كريمة من سور مختلفة وهي: آية من سورة آل عمران ـ آيات من سورة الحج ـ آيات الصيام ـ ثلاث آيات من سورة الأنفال ـ أربع آيات من سورة يونس ـ خمس آيات من سورة ص.

وقد ضممنا في هذا الكتاب تفسير آيات سورة البقرة من ١ـ١٩٥ والمنشور في أعداد مجلة لواء الإسلام، ودروس التفسير التي ألقاها في بعض النوادي والجمعيات الإسلامية ونشرت في مجلة «الهداية الإسلامية» التي كان يصدرها المؤلف في القاهرة».[٢]

---

١ ـ أسرار التنزيل ص٣.

٢ ـ المرجع السابق ص٣.

والآيات التي فسرها في هذا الكتاب على وجه التحديد هي ما يلي:

- تفسير سورة الفاتحة.
- تفسير آيات من سورة البقرة ١-١٨٢.
- تفسير آيات الصوم ١٨٣-١٨٥.
- تفسير آيات من سورة البقرة ١٨٦-١٩٣.
- تفسير آيات من سورة البقرة ٢١-٢٢.
- تفسير آيات من سورة البقرة ١١٩-١٢٠.
- تفسير آيات من سورة آل عمران ٥٢-٥٥.
- تفسير آية من سورة آل عمران ١٥٩.
- تفسير آيات من سورة الأنفال ٢٤-٢٦.
- تفسير أربع آيات من سورة يونس ٦٢-٦٥.
- تفسير آيات من سورة الحج ٢٧-٢٨.
- تفسير خمس آيات من سورة ص ٢١-٢٥.[1]

٢- ولقد سار في ذلك التفسير على منهج يمكن إجماله بما يلي:

١. أنه كتب بلغة عالية جزلة واضحة؛ ولا غرو في ذلك؛ فالمؤلف من أرباب البيان، وأمرائه.

٢. أنه سار في مسائل العقيدة -خصوصاً في باب الصفات- على منهج السلف؛ فإذا مر بشيء من ذلك أثناء تفسيره لم يتعرض لها بتأويل يصرفها عن ظواهرها، وإنما يسير فيها على وفق منهج السلف من حيث إثباتُها لله -عز

---

١ - انظر المرجع السابق ص٤٢٣.

وجل- على الوجه اللائق به دون نفي لها، أو تعرض لكيفيتها، وسيأتي أمثلة على ذلك في الفصل الثاني من هذا الباب عند الحديث عن منهجه في إثبات أصول العقيدة.

٣- أن هذا الكتاب حافل بالعلم الغزير، والفوائد الجمة، واللفتات البارعة، والاستنباطات الرائعة، والنكت البديعة، والإشارات التربوية والإصلاحية.

٤- أن المؤلف رحمه الله حرص على ربط تفسيره بواقعه الذي يعيش فيه؛ فلذا تراه يتعرض لهداية الآيات، وعلاجها لكثير من مشكلات العصر.

وتراه يَرُدُّ على بعض المعاصرين الذين تأولوا بعض الآيات على غير وجهها الصحيح.

٥- أنه كان يميل إلى الإيجاز، والبعد عن الحشو والتطويل في إيراد الأقوال؛ فتراه لا يستقصي، ولا يُفَصِّل، وإنما يبين ما يظهر له من معنى الآية، وربما استشهد بأقوال وآراء بعض أهل العلم السابقين كابن القيم وغيره.

ولعل الحامل له على ذلك أن كتابه كان -في أصله- مقالاتٍ أو محاضرات في التفسير، وذلك المقام لا يسمح بالاستقصاء.

٦- أنه كان يُعنى بتحليل الألفاظ وشرحها دون تطويل -كما سبق-.

٧- عنايته بجناب التوحيد، وتحذيره من الشرك ومظاهره المعاصرة، وذلك إذا مرَّ بآيات في هذا الشأن في تفسيره لقوله -تعالى-: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ البقرة: ٢٢[1].

---

١ - انظر المرجع السابق ص٤٥ .

٨ـ تَعَرُضه لبعض المسائل الفقهية كما في تفسيره لقوله ـتعالى ـ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ الآيةَ، البقرة: ١٨٠، وكما في تفسيره لقوله ـتعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ الآيةَ، البقرة: ١٨٣.

٩ـ تنويهه بمكارم الأخلاق، وأثرها في سيادة الأمة، والرقي بها.

١٠ـ أنه أفاد من المصادر الأصلية في تفسير القرآن وعلومه، والحديث وعلومه، واللغة، والنحو والأدب.

١١ـ اعتنى بمعاني الحروف والاشتقاق، والمزج بين المباحث النحوية والبلاغية.

١٢ـ كثافة المادة النحوية عنده، وحرصه على استخراج الأسرار اللغوية.

١٣ـ الاستشهاد بالشعر.

١٤ـ الاعتماد على التفسير بالمأثور، حيث يفسر القرآن بالقرآن، والقرآن بالحديث النبوي.

١٥ـ تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

١٦ـ تفسير القرآن باعتماد أسباب النزول، والقراءات.

١٧ـ الأخذ أحياناً عن التوراة والإنجيل، والأخذ بالتفسير بالرأي؛ مستخدماً الترجيح إما باللغة، أو الأثر، أو العقل.[1]

الثاني: بلاغة القرآن: وقد جاء هذا الكتاب في المجلد الثاني من موسوعة الأعمال الكاملة وقد بلغ عدد صفحاته مائتين وثماناً وسبعين صفحة[1].

---

١ ـ انظر بحث الإمام محمد الخضر حسين مفسراً للأستاذ أنور بن خليفة ضمن الإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي ص١٥١ـ١٩٧.

ويحتوي على بحوث، وردود، ومقالات كتبها الشيخ الخضر عن القرآن العظيم، وتفسيره، والدفاع عنه، وما جرى مجرى ذلك.

والشيخ الخضر لم يضع هذا العنوان، وإنما وضعه ابن أخيه علي الرضا الحسيني، وذلك عندما جمع تلك البحوثَ، والمقالاتِ، والردودَ، وجعل لها عنواناً سماه (بلاغة القرآن).

وهذا العنوان هو عنوان البحث الأول من هذا الكتاب، وإلا فإن الكتاب لا يختص ببلاغة القرآن ـ كما سيأتي بيانه عند عرض موضوعاته ـ.

وقد طبع هذا الكتاب مفرداً في المكتبة التعاونية بدمشق عام ١٩٧١م، وطبع كذلك في الدار الحسينية عام ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

ووضع عليه الأستاذ علي الرضا مقدمة بيَّن فيها محتوى الكتاب، وتسميته، ومصادره التي نقل عنها هذه البحوث في هامش كل صفحة.

والناظر في موضوعات الكتاب يرى أن تسميته بـ: (بلاغة القرآن) غير دقيقة؛ لأنه يحتوي أمور تتعلق بالبلاغة القرآنية وغيرها.

وإنما آثر الناشر هذه التسمية؛ لأنها عنوان البحث الأول ـ كما ذكر ـ.

ولو سمى الكتاب (بحوث في القرآن وعلومه) أو نحو ذلك لكان أدق.

وعلى كل حال فالكتاب يحتوي على موضوعات قيمة تمس الحاجة إليها، وقد تناولها المؤلف بقلمه البليغ، وبيانه المحكم، ونظره المستقل، وبحثه المستوعب.

وقد جاءت محتويات الكتاب على النحو التالي:

---

١ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٢/٤٣٩ـ٧١٦.

١ـ **بلاغة القرآن**: وهو بحث نشره المؤلف في مجلة الهداية الإسلامية في الجزء التاسع من المجلد العشرين الصادر في شهر ربيع الأول عام ١٣٦٧هـ.

وقد تكلم فيه على ناحية من نواحي إعجاز القرآن، وهي بلاغته التي تكمن في فصاحة ألفاظه، وإحكام نظمه، ودلالته على المعنى بانتظام ووفاء.

٢ـ **نقل معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية**: وقد نشر في مجلة نور الإسلام الجزء الثاني من المجلد الثاني صفر ١٣٥٠هـ، وقد أجاب فيه عن السؤال المطروح: هل في المستطاع ترجمة القرآن إلى لغة غير عربية؟ ففصَّل القول في ذلك، وذكر أقوال العلماء فيه[١]، وخلص إلى نتيجة ذكرها في خاتمة بحثه هذا؛ حيث قال: « وإذا كانت الترجمة بمعناها الحقيقي ـ ولو للمعاني الأصلية ـ لا تتيسر في جميع آيات القرآن، وإنما المتيسر الترجمة على معنى التفسير كانت الترجمة المعنوية أقرب إلى الصحة من الترجمة الحرفية، متى أفاد بها المترجم معنى الآية في أسلوب من أساليب اللغة الأجنبية لا زيادة فيه ولا نقصان.

فلو قامت جمعية ذات نيات صالحة، وعقول راجحة، وتولت نقل معاني القرآن إلى بعض اللغات الأجنبية، وهي على بينة من مقاصده، وعلى رسوخ في معرفة تلك اللغات، وتحامت الوجوه التي دخل منها الخلل في التراجم السائرة اليوم في أوربا ـ لفتحت لدعوة الحق سبيلاً كانت مقفلة، ونشرت الحنيفية السمحة في بلاد طافحة بالغواية قاتمة »[٢].

٣ـ **رأي في تفسير القرآن**: وقد نشر في مجلة لواء الإسلام العدد الخامس، من السنة الأولى في محرم ١٣٦٦هـ.

---

١ ـ انظر بلاغة القرآن ١٨١ .

٢ ـ المرجع السابق ص ٢٢ـ٢٣ .

٤ـ **أمثال القرآن الكريم**: وقد نشر في مجلة الهداية الإسلامية الجزء الثالث من المجلد السادس عشر الصادر في شهر رمضان ١٣٦٢هـ، وهو محاضرة في كلية اللغة العربية.

وقد تطرق فيه لمفهوم الأمثال، وتحقيق معنى المثل في القرآن، والنظر في كلام من بحثوا في أمثال القرآن، وفي استعمال القرآن لكلمة مثل، والآيات الجارية مجرى الأمثال، وفوائد ضرب المثل[١].

٥ ـ **المحكم والمتشابه في القرآن الكريم**: وقد نشر في مجلة الهداية الإسلامية، الجزء الحادي عشر، والجزء الثاني عشر من المجلد الثامن عشر الصادران في الجمادين ١٣٦٥هـ، وهو محاضرة ألقاها أمام طلاب السنة الثالثة (تخصص المادة) بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر.

٦ـ **اليمين في القرآن والحديث**: نشر في مجلة لواء الإسلام العدد التاسع، من السنة التاسعة الصادرة في جمادى الأولى ١٣٧٥هـ.

وقد تطرق في هذا البحث لمعنى اليمين، وصيغتها في القرآن، وأقسام اليمين، واختلاف الفقهاء في تفسير اليمين.

كما تطرق لتغليظ اليمين في الدعوى، ومسألة الحلف بالقرآن، وأنها تنعقد؛ لأنها بكلامِ الله، وكلامه صفة من صفاته، إلى غير ذلك من مسائل اليمين في القرآن[٢].

٧ـ **الرقية والاقتباس والاستخارة في القرآن**: نشر في مجلة لواء الإسلام من السنة التاسعة الصادرة في ربيع الأول ١٣٧٥هـ.

وقد تطرق فيه لمفهوم الرقية، وحكم الرقية بالقرآن، وكتابته في ورق؛ لتجعل حرزاً.

---

١ ـ انظر الموسوعة الكاملة ٢/٤٦٨ـ٤٨٢.

٢ ـ انظر بلاغة القرآن ص ٣ـ٦٠.

كما تطرق للاقتباس من حيث مفهومه، وآراء العلماء فيه، كما تحدث عن الاستخارة بالقرآن، وحكمها، وعن الاستخارة الشرعية المعروفة، وعن بعض الاستخارات البدعية[١].

٨ـ **إعجاز القرآن وبلاغته:** نشر في مجلة لواء الإسلام العدد الثامن من السنة الحادية عشرة الصادر في ربيع الثاني ١٣٧٧هـ.

٩ـ **ترجمة القرآن:** نشر في مجلة لواء الإسلام العدد الثامن من السنة الرابعة في ربيع الثاني ١٣٧٠هـ[٢].

١٠ـ **حقيقة ضمير الغائب في القرآن:** وهو رد على الدكتور طه حسين في محاضرة ألقاها في مؤتمر المستشرقين في السابع عشر بجامعة أكسفورد عنوانها (ضمير الغائب واستعماله إشارة في القرآن)، فرد عليه الشيخ بهذا البحث الذي نشر في مجلة الهداية الإسلامية العدد الثاني من المجلد الأول في رجب ١٣٤٧هـ.

وقد قال الشيخ الخضر في المقدمة: «وقد نشرت مجلة الرابطة الشرقية ملخص هذه المحاضرة، فإذا هي طائشة الوثبات، كثيرة العثرات؛ فرأينا من حق العلم علينا أن ننشر في هذه المجلة ما تراءى لنا من أغلاط...» [٣].

ثم شرع في تفنيد كثير من الآراء التي ذهب إليها الدكتور طه حسين.

١١ـ **القرآن لا يقول إلا حقاً:** وقد نشر في مجلة الهداية الإسلامية العددان الحادي عشر والثاني عشر في ذي القعدة وذي الحجة ١٣٧٣هـ.

---

١ ـ انظر المرجع السابق ص ٦١ـ٧٨ .

٢ ـ انظر المرجع السابق ص ٦١ـ٧٨ .

٣ ـ انظر المرجع السابق ص٧٩ .

١٢ـ الفن القصصي في القرآن: وهو رد على كتاب الدكتور محمد أحمد خلف الله (الفن القصصي في القرآن).

وقد نشر في مجلة الهداية الإسلامية الجزآن السابع والثامن من المجلد الحادي والعشرين في رجب وشعبان ١٣٦٧هـ.

وخلاصة رأي الكاتب في هذا الكتاب أنه يرى أن القصص عمل فنيٌّ خاضع لما يخضع له الفن من خَلْق وابتكار من غير التزام لصدق التاريخ والواقع، وأن محمداً فنان بهذا المعنى، وأن القصة في القرآن لا تلتزم الصدق التاريخي، وإنما تتجه كما يتجه الأديب في تصوير الحادثة تصويراً فنياً بدليل التناقض في رواية الخبر الواحد، مثل أن البشرى بالغلام لإبراهيم أو لامرأته، بل تكون القصة مخلوقة، كما في قوله ـتعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ المائدة: ١١٦.

هذا هو خلاصة رأي الدكتور محمد خلف الله في كتابه المذكور كما هو في تقرير الأستاذ أحمد أمين للرسالة[١].

وبعد أن اطلع الشيخ الخضر على ذلك التقرير، وعلى ما كتبه صاحب الرسالة، كتب كلمة فَنَّد من خلالها ذلك الرأي مستنداً على القرآن، والسنة، والإجماع، والعقل الصحيح، والفطرة السليمة[٢].

ثم ختم مقاله بقوله: «والواقع أن القرآن لم ينزل ليجاري الأدباء في أدبهم، ويذهب في المبالغات مذهبهم، ويستخف بحرمة بعض الحقائق استخافَهم.

---

١ ـ انظر بحث الفن القصصي في كتاب بلاغة القرآن ص ١٢٠ـ١٢١.

٢ ـ انظر بلاغة القرآن ص ١٢٠ـ١٣٤.

وإنما نزل القرآن ليهدي الأدباء وغيرَ الأدباء إلى ما يلائم الفطر السليمة من عقائدَ وآدابٍ وأعمال؛ فَوُجْهَتُه الدعوةُ إلى الإصلاح الشامل، وليست هذه الدعوةُ الإصلاحية وليدةَ الدخول في ميدان التجارب الخاصة، ولا النسخُ والتدرّجُ بالتشريع من مظاهر الدخول في تجارب، بل الدعوة هدايةٌ من خالق التجارب والمجربين، والنسخُ والتدرجُ بالتشريع من مظاهر علمه القديم، كما هو مفصل في أصول الشريعة» [١].

١٣ـ تحريف آيات الحدود عن مواضعها: وقد نشر في مجلة الهداية الإسلامية الجزء السابع من المجلد التاسع في محرم سنة ١٣٥٦هـ.

وهو رد على مقال (التشريع المصري وصلته بالفقه الإسلامي) لعبدالمتعال الصعيدي الذي أبدى في مقاله رأياً مفاده أنه الأمر في آية السرقة، وآية الزنا يُحْمَل على الإباحة لا على الوجوب.

وبعد أن اطلع الشيخ الخضر على ذلك المقال قام بالرد عليه، وفنَّده بحجة وبرهان، ثم ختم مقاله بقوله: «ليصرف صاحب المقال نظره عما يزعمه غير المؤمنين؛ من أن هذه الحدود عقوبات لا تلائم حال المدينة، ويذكر لنا مثلاً من مصالح الزمان والمكان التي تقتضي أن تكون عقوبة مرتكب جريمة السرقة، أو فاحشة الزنا غير ما ورد في الشرع، ويقول لنا: ما هي العقوبة المبتدعة التي تفعل في حفظ الأموال والأعراض ما يفعله القطع أو الجلد؟» [٢].

إلى أن قال: «بقيت آيات الحدود منذ عهد النبوة محفوظة من عبث المؤولين، لا يختلف العلماء في أن الأوامر فيها للوجوب، وأن من أضاعها، وهو قادر على

---

١ ـ المرجع السابق ص١٣٤ .

٢ـ بلاغة القرآن ص١٤٠.

إقامتها فهو فاسق أو جاحد، إلى ظهرت فئة خاسرة؛ مثل: زعيم طائفة القاديانية محمد علي؛ إذ حاول أن يفتح في حصن تلك الأوامر ثلمة، فقال ـ وتابعه في رأيه أبو زيد الدمنهوري ـ: أن السارق: من اعتاد السرقة، والزاني: من اعتاد الزنا.

وهو تأويل خرج به عن قانون اللغة العربية، بعد أن خرج به عن سنّة النبي القولية والعملية.

وجاء بعده كاتب المقال، فهجم على آيات الحدود بمعول ذلك التأويل الذي تنكره اللغة والسنّة وحكمة التشريع.

ولو جرى الناس على مثله من تفسير الكتاب المجيد لَكَفَوا خصوم الإسلام جانباً من العمل لِهَدْمِ أركانه، وطَمْسِ معالمه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر: ٩»[1].

١٤ـ كتاب يهذي في تأويل القرآن المجيد: وقد نشر في مجلة نور الإسلام العدد الثاني من المجلد الثاني الصادر في صفر ١٣٥٠هـ، وهو نقد لكتاب (الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن) تأليف محمد أبو زيد الدمنهوري.

وهذا الكتاب وقع في كثير من الانحرافات في تأويل القرآن، كانحرافه في تأويله لآيات المعجزات، ودعوته إلى الخروج عن أحكام الشريعة، وإنكاره للجن والشياطين، وزعمه أن المسلمين يروون الأحاديث النبوية عن اليهود ونحو ذلك.

فتناوله الشيخ الخضر بالرد والنقد، وافتتح ذلك في بيان تأويلات الباطنية، ومن نحا نحوهم كالبهائية، ومن ضاهاهم.

ثم تطرق لذلك الكاتب، فقال: «ومن هؤلاء النفر شخص سوَّلت له نفسه أن يخوض في آيات الله كالذين خاضوا فيها على عماية؛ فكتب جملاً قذف فيها شيئاً

١ـ المرجع السابق ص ١٤٠ـ١٤١.

من وساوسه، وسماها: تفسيراً.

بل تناهى في الافتتان بها؛ فسماها: (الهداية والفرقان).

والذي يقرأ هذه الجمل لا يرتاب في أن صاحبها جامد على المحسوسات، جاحد لكثير من أخبر به القرآن، منكر لأحكامٍ قررها القرآن، والسنة، وأجمع عليه الصحابة، وأئمة الإسلام من بعدهم جيلاً بعد جيل.

ولكنه يريد أن يدل على إنكاره بما يرتكبه في الآيات من سوء التأويل»[1].

ثم شرع الشيخ الخضر بعد ذلك بتنفيذ تلك الآراء، والتأويلات الباطلة فقرة فقرة، كما هي عادته في إيراد كلام المؤلف، ثم تعقّبه في ذلك بكل قوة، وإنصاف معتمداً في ذلك على أدلة الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة.

ومن جميل حُججه في ذلك قوله في معرض ردِّه على الكاتب في إنكار الجن: «وإنما ينكر الجن من جمد عقله في دائرة المحسوسات لا يتخطاها أنملة.

ونحن نعلم أن العقل وحده لا يصل إلى العلم بوجودهم، كما أنه لا يستطيع إقامة الدليل على نفيهم.

بل إذا سئل عنهم وهو صحيح النظر، مُجردٌ من كل تقليد أَقَرَّ بإمكان وجودهم؛ إذ ليس من شرط كل موجود أن يُدْرَك بإحدى الحواس الخمس؛ فقدرة الله تسع خلقاً ينشأ من عنصر لطيف؛ فلا يقع عليه النظر.

وإذا أقرَّت العقول إمكان شيء، وأخبر الدين القائم على البرهان بوجوده - تلقيناه بالقبول، ولم نفرق بينه وبين ما أدركناه بالمشاهدة، أو ثبت بالأدلة العقلية مباشرة»[2].

وهكذا يسير في إيراد حججه، وبراهينه في ترسُّل، وحسن عرض.

١ـ المرجع السابق ص١٤٤ـ١٤٥.

٢ـ المرجع السابق ص١٥٨ .

وبعد أن ساق أمثلة كثيرة على ضلال ذلك الكتاب: «هذه أمثلة من كتاب حَشْوُه الجحودُ والهذيان، نسوقها في هذه الرسالة؛ ليزداد المسلمون علماً بأن مؤلفه مهزول الفكر، منحرفٌ عن الرشد، ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَـٰفِلِينَ﴾ الأعراف: ١٤٦»[1].

١٥ـ **كتاب يلحد في آيات الله**: وقد نشر في مجلة نور الإسلام العدد الثامن من المجلد الأول الصادر في شهر شعبان ١٣٤٩هـ، وهو نقد لكتاب (امرأتنا في الشريعة والمجتمع) تأليف: الطاهر الحداد.

وقد تطرق ذلك الكاتب إلى التعرض إلى بعض الأحكام التي قررها الإسلام، كتعدد الزوجات، وجعل الطلاق في يد الرجل، وجعل نصيبها من الإرث نصف نصيب الرجل، ونحو هذه الأحكام مما قرره الإسلام.

فتناوله الشيخ الخضر رحمه الله بالنقد والرد على نحو عادته في ذلك، وقال في خاتمته: «وكان من رأينا صرف القلم عن ذكر هذا الكتاب؛ اكتفاء بما تناولته به أقلام أهل العلم في تونس من الرد المحكم.

ولكن الدعاية التي قام بها شركاء صاحب الكتاب في مصر دعتنا إلى أن نذكره، ونُري القراءُ مثلاً من باطله؛ ليحذروا فتنة، ويعلموا أن في الشرق نفوساً تقضي باسم الشريعة مآرب قوم يبتغون فساد ما بقي فينا من عقيدة سليمة، وأدب نُغبط عليه، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة: ٥٠»[2].

١ـ المرجع السابق ص١٦٧.

٢ـ المرجع السابق ص١٨٠.

١٦ـ قصة أيوب ـعليه السلامـ ونقض آراء حديثه في تفسيرها: وقد نشر الرد الأول منه في مجلة الهداية الإسلامية الجزء العاشر والثاني عشر من المجلد السابع لعام ١٣٥٤ ، والأجزاء الثاني والثالث والرابع من المجلد الثامن لعام ١٣٥٤هـ.

والرد الثاني في الجزء الثاني عشر من المجلد السابع الصادر في جمادى الثانية ١٣٥٤هـ، والرد الثالث في الجزء الثاني من المجلد الثامن في شهر شعبان ١٣٥٤هـ، والرد الرابع في الجزء الثالث من المجلد الثامن في رمضان ١٣٥٤هـ.

والرد الخامس في المجلد الثامن الصادر في شوال ١٣٥٤هـ[1].

قالﷺ في مقدمة المقال الأول: «اطلعت في إحدى المجلات التي تصدر في القاهرة على مقال تعرَّض فيه كاتبه لمفسري القرآن الكريم، وبالغ في نسبتهم إلى التقصير في التفسير، وساق ما فسَّروا به قصة أيوب ـعليه السلامـ مثالاً لذالك التقصير، وأورد وجوهاً زعم أنها تُبطل ما أجمعوا عليه من التفسير، ثم ذكر تأويلاً للقصة، مدعياً أنه هو الصواب، ووعد بأنه سينسج على هذا المنوال في بيان تقصير المفسرين.

وقد وقفت في هذا المقال على آراء لا تدخل تحت قوانين المنطق، وأخرى لا تتقبلها بلاغة القرآن، فأردت تنبيه طلاب العلم لما في تلك الآراء من نشوز؛ حتى يكونوا على بينة من أمرها»[2].

ثم شرعﷺ في بيان المعنى الحقيقي لقصة أيوب ـعليه السلامـ وأن القرآن يكتفي من القصة بذكر موضع العبرة، وأنه لم ينزل ليكون كتاب تاريخ، وأن موضع العبرة من قوله ـتعالىـ لأيوب ـعليه السلامـ: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا

---

١ ـ انظر المرجع السابق ص ١١٧ـ٢٧١ .

٢ ـ المرجع السابق ص ٢٢ـ٢٣ .

فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ﴾ ص: ٤٤ «هو أن أيوب ـعليه السلامـ رأى بعض أهله قد فعل، أو قال ما يستحق عليه العقوبة، فحلف وهو غاضب لله على أن يعاقبه على ذلك بأسواط معدودة، فأراه الله وجهاً يجمع بين رعاية حرمة اليمين، ورفع جانب من شدة العقوبة؛ فذلك من أثر الغضب لله، وهذا التخفيف من أثر رحمة الله بالمتقين من عباده»[١].

قال الشيخ بعد ذلك: «هذا صفوة ما يقوله أهل العلم في تفسير قصة أيوب ـعليه السلامـ وقد خالفهم في أصل تفسيرها كاتبُ ذلك المقال، وسنريك في آخر مقالنا هذا أن لرأيه صلة برأي محمد علي زعيم طائفة القاديانية الخارجة عن سبيل المؤمنين»[٢].

وبعد ذلك شرع في مناقشة آراء صاحب المقال بأسلوب علمي رصين هادئ، ثم بلغ السجال فيه بينه وبين كاتب المقال خمسة مقالات، نقض من خلالها آراء ذلك الكاتب بالحجج العقلية والنقلية، وتخلل تلك المقالات درر وغرر من العلم، والمحاجة القوية الرزينة[٣].

١٧ـ نزل القرآن على سبعة أحرف: وهي محاضرة ألقاها الشيخ الخضر لطلبة التخصص في التفسير والحديث بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر.

وقد وجدها الأستاذ علي الرضا مخطوطة في أوراق الشيخ المحفوظة في دار الوثائق القومية بالقاهرة[٤].

فهذا هو محتوى كتاب (بلاغة القرآن) بإيجاز شديد.

---

١ ـ انظر المرجع السابق ص١٥٨ .

٢ ـ المرجع السابق ص ١٨٥ .

٣ ـ المرجع السابق ص ١٨١ـ٢٧١ .

٤ ـ انظر المرجع السابق ص ٢٧٢ـ٢٧٦ .

الثالث: دراسات في الشريعة الإسلامية: ويقع في مائتين وثلاث وثلاثين صفحة، وذلك من المجلد الثاني من الموسوعة الكاملة[١].

وهذا الكتاب لم يسمِّه مؤلفه الشيخ الخضر، وإنما سماه الأستاذ علي الرضا الحسيني.

وهذا الكتاب يضم مجموعة من المقالات التي خطتها يراعة الشيخ الخضر في مجلة (لواء الإسلام) التي كان الشيخ الخضر يرأس تحريرها منذ أن صدر العدد الأول منها، وذلك في شهر رمضان ١٣٦٦هـ في القاهرة.

وهذه المقالات غير المقالات التي كان يكتبها الشيخ في التفسير، والتي خرجت في كتاب (أسرار التنزيل).

ومقالات هذا الكتاب (دراسات في الشريعة الإسلامية) تميل إلى القصر، والتنوع، ولا يجمعها باب واحد، فهي تشمل على العقائد، والأحكام، والعبادات، والأخلاق، والآداب، والتحذير من البدع، والمظالم وما جرى مجرى ذلك.

كما أنها تحتوي على مقال بعنوان (ملاحظات على مقال: مولد النبي) وهو رد على علي عبدالرازق في مقاله: (مولد النبي).

وعلى آخر مقال كتبه الشيخ وهو مقال (فساحة الصدر ونزاهة اللسان عن المكروه).

وفيما يلي مسرد عام لعنوانات تلك المقالات:

١ـ الله موجود ٢ـ الأحكام العادلة ٣ـ كيف تستنبط القواعد من الكتاب والسنة؟ ٤ـ الحديث الصحيح حجة في الدين ٥ـ الشهادة وأثرها في إقامة الحقوق ٦ـ الذرائع: سدها وفتحها ٧ـ مراعاة العرف ٨ـ حكمة الإسلام في العزائم والرخص ٩ـ موقف الإسلام

---

١ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٢/٧١٧ـ٩٤٩.

من الرؤيا وتأويلها ١٠ـ الكبيرة والصغيرة ١١ـ الذوق، وفي أي حال يعتد به؟ ١٢ـ النذر ١٣ـ المتعة ١٤ـ استحضار الأرواح ١٥ـ حكم الإسلام فيمن بلغته الدعوة ١٦ـ العدوى والطيرة ١٧ـ الزكاة وأثرها في نهوض الأمة ١٨ـ الغيبة وأثرها في النفوس ١٩ـ حقوق الزوجية ٢٠ـ صلاة الجماعة وأثرها في اتحاد الأمة ٢١ـ الدعوة القائمة على حق ٢٢ـ فساحة الصدر ونزاهة اللسان عن المكروه ٢٣ ـ مكافحة المظالم موجبة للسلام ٢٤ـ ما يلاقيه العلماء من المكاره ٢٥ـ ما يلاقيه العلماء من سماحة الأمراء ٢٦ـ المال المباح في الإسلام ٢٧ـ الطلاق في الإسلام ٢٨ـ تعدد الزوجات ٢٩ـ النظافة في الإسلام ٣٠ـ العلوم في دائرة الإيمان ٣١ـ الرفق بالضعفاء ٣٢ـ الأدباء العلماء ٣٣ـ زينة الإنسان حسن السمت ٣٤ـ المنافقون في عهد النبوة، والملاحدة بعده ٣٥ـ ملاحظات على مقال: مولد النبي ٣٦ـ تحقيق مذهب مالك في رفع اليدين عند الركوع والرفع منه ٣٧ـ تحقيق مذهب مالك في إشارة المصلي في التشهد بإصبعه ٣٨ـ نزول القرآن في رمضان ٣٩ـ صلاة التروايح ٤٠ـ رجم الزاني المحصن وشرعيته ٤١ـ بحث لفظي في آيتي السرقة والزنا ٤٢ـ عاشوراء ٤٣ـ عصمة الأنبياء ٤٤ـ ترجمة القرآن[١].

الرابع: محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ: وهذا الكتاب يقع في ثلاثمائة وخمس وثلاثين صفحة من الموسوعة[٢].

وقد طبع قبل ذلك في كتاب مستقل، بعناية الأستاذ علي الرضا الحسيني، وطبع الدار الحسينية عام ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

وهو يضم مجموعة من الرسائل، والمحاضرات، والبحوث حول السيرة النبوية، وما يتعلق بها، وما يثار حولها من مزاعم باطلة.

---

١ ـ انظر دراسات في الشريعة الإسلامية ص ٥ـ٢٣٠ .

٢ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٣/٩٥٥ـ١٢٩٣ .

وقد جمعها الأستاذ علي الرضا الحسيني، وأخرجها في كتاب، وسماه باسم إحدى الرسائل التي تضمنها الكتاب وهي (محمد رسول الله وخاتم النبيين).

وقد تناول الشيخ الخضر رحمه الله تلك الجوانب من السيرة، فصاغها بأسلوبه الماتع؛ فجاءت بصورة تحمل طابع الجدِّة، والطرافة، والملائمة لروح العصر.

هذا وقد خرج بعض تلك البحوث في رسائل مستقلة ـكما سيأتي عند عرض ما تضمنه هذا الكتاب.ـ

ولقد بين الشيخ الخضر رحمه الله في مقدمة الكتاب شيئاً من أسباب تآليفه في السيرة النبوية، فقال: «فقد كثر ما وقع في أيدينا من صحف يضعها أولئك الذين سموا أنفسهم (المبشرين) ويتعرضون فيها لدين الإسلام بكلمات خبيثات، يبتغون بها إخراج أبنائنا وبناتنا من نور الحق، وما ذا بعد الحق إلا الضلال.

ما أراه في تلك الصحف، ثم ما أذاعته الصحف السيارة في العهد القريب من قصص محاولة تلك الطائفة لتنصير بعض الفتيان والفتيات ـ قد دعياني إلى تحرير رسالة في سيرة رسول الإسلام ﷺ ودلائل نبوته السنية»[1].

إلى أن قال: «وغير خفي على من يقدر هذا الرسول الأعظم قدره أن ليس في طوق كاتب ـ ولو ألقت إليه البلاغة بأَعِنَّتها ـ تقصيْ المعاني التي في هذه السيرة العظيمة، أو تساق في دلائل هذه النبوة المباركة.

إنما القصد من تأليف هذه الرسالة: أن أصوغ من تلك السيرة النبوية، ودلائل النبوة المحمدية فصولاً وجيزة، ثم أعرضها عليك في صفحات يمكنك أن تأتي عليها في زمن قليل».[2]

---

١ ـ انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ص٥ .

٢ ـ محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ ص٥ .

أما الرسائل والبحوث التي جاءت في ذلك الكتاب فهي كالآتي:

١ـ **أديان العرب قبل الإسلام:** وقد نشرت هذه الرسالة تباعاً في مجلة الهداية الإسلامية في أشهر: ربيع الأول، وجمادى الثاني، ورجب، ورمضان عام ١٣٥٨هـ، وقد تضمنت حديثاً عن بعثة الأنبياء، هود، وصالح، وإسماعيل، وشعيب ـ عليهم السلام ـ.

كما تضمنت حديثاً عن الشرك في بلاد العرب، وعن عبادة الأصنام، والأشجار، وبعض الحيوان، والكواكب، والملائكة، والجن.

كما تحدث عن بعض الأديان عند العرب كالبرهمية، والصابئة، والمجوسية، والدهرية، واليهودية، والنصرانية، والموحدين في العرب[١].

٢ـ **محمد رسول الله وخاتم النبيين:** وقد نشر في مجلة الهداية الإسلامية الجزآن السابع والثامن من المجلد الثاني والعشرين رجب وشعبان ١٣٦٩هـ، والأجزاء من التاسع إلى الثاني عشر من رمضان إلى ذي الحجة ١٣٦٩هـ.

وقد طبعت هذه الرسالة في كتاب مستقل سنة ١٩٣٣م ثم أعيد طبعها عدة مرات، ومنها الطبعة الثالثة عن الدار الحسينية للكتاب، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، إعداد وضبط علي الرضا الحسيني.

وقد تضمنت هذه الرسالة حال العرب قبل بعثة النبي ﷺ ونشأته، وسيرته، ودلائل نبوته، والقرآن الكريم، وبشارات الأنبياء والرسل قبل مجيئه، والمعجزات المحسوسة، وعموم بعثته، ودوام شريعته، وختمه للنبوة، وخلقه، واجتهاده في عبادة ربه، وأثر دعوته في إصلاح العالم[٢].

---

١ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٣/٩٦٥ـ١٠٠٤.

٢ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٣/١٠٠٥ـ١٠٣٠.

٣ـ صبر محمد ﷺ ومتانة عزمه. ٤ـ الهجرة النبوية. ٥ ـ رفقه وحكمته البالغة في السياسة. ٦ـ نظرة في دلائل النبوة. ٧ـ عظمة رسول الله ﷺ وهدايته. ٨ـ شجاعته ـ عليه الصلاة والسلام ـ. ٩ـ منقذ العالم من الظلمات. ١٠ـ آداب الدعوة وحكمة أساليبها. ١١ـ رجاحة عقله ﷺ وحكمة رأيه. ١٢ـ هجرة الصحابة إلى الحبشة وأثرها في ظهور الإسلام. ١٣ـ إبادته للأصنام ﷺ. ١٤ـ حياة الدعوة الإسلامية بجزيرة العرب. ١٥ـ قضاء البعثة المحمدية على المزاعم الباطلة. ١٦ـ البلاغة النبوية. ١٧ـ الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية. ١٨ـ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة. ١٩ـ الهجرة مبدأ التاريخ العام في الإسلام. ٢٠ـ المعجزات الكونية. ٢١ـ من آداب خطب النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ. ٢٢ـ في الهجرة بركة.

وهذه المقالات ـفي مجملهاـ قصيرة، وأصل أكثرها محاضرات، أو كلمات للشيخ الخضر، ولم تطبع واحدة منهن مفردة.

٢٣ـ **العظمة**: وأصلها محاضرة للشيخ محمد الخضر حسين في دار جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية بالقاهرة يوم ١٢ ربيع الأول ١٣٤٦هـ، وقد تضمنت الرد على مقالة علي عبدالرازق التي نشرها في جريدة السياسة.

وقد نُشرت مقالة الشيخ الخضر في مجلة الفتح العدد ٦٨ من السنة الثانية ١٣٤٦هـ، وقد طبعتها المطبعة السلفية في رسالة مستقلة عام ١٣٤٦هـ، ثم طبعت ضمن موسوعة كتاب محمد رسول الله وخاتم النبيين، ثم طبعت في موسوعة الأعمال الكاملة، وتقع في عشرين صفحة من موسوعة الأعمال الكاملة[1].

---

١ ـ ٣/١١٦٥ـ١١٨٤.

ومضمون هذه الرسالة رد على علي عبدالرازق الذي كتب مقالاً تعرض فيه إلى معنى العظمة، وعبادة الناس للعظماء، وأشار إلى أن محمداً ﷺ لم يكن عظيماً حسب المفهوم المتعارف عليه؛ لأنه لم يكن ملكاً، ولا غنياً، ولا فيلسوفاً، ولا فاتحاً عظيماً، ولا مخترعاً، ولا مكتشفاً، وإنما تبدو عظمته في كلمة واحدة جاء بها وهي (لا إله إلا الله).

وقد ألقى الشيخ محمد الخضر المحاضرة المذكورة، ونشرها، وتحدث فيها عن معاني العظمة، وما يراد منها عامة، وبالنسبة إلى الرسول ﷺ خاصة.

وقد أورد أقوالاً لبعض الكتاب الغربيين في عظمة الرسول ﷺ وبيَّن نظرة المسلمين إلى النبي ﷺ وإجلالهم له.

ثم حصر نقاشه مع علي عبدالرازق في موضوعين، **الأول منهما**: تعرضه إلى مظاهر عظمة الرسول ﷺ ضمن الحديث عن مظاهر العظمة في ميادين مختلفة، مثل اللصوصية، وجمال الغواني.

أما الموضوع الثاني فهو اقتصار علي عبدالرازق في بيان عظمة رسول الله ﷺ على إتيانه بكلمة (لا إله إلا الله).

إذ يعتبر الشيخ الخضر أن هذه العظمة تتمثل بالإضافة إلى ذلك في علم النبي ﷺ وخلقه، وإخلاصه، وحسن بيانه.

ولم يخلُ النقاش من الإشارة إلى القضية الجوهرية التي هي سبب خصومة الرجلين، وهي أن الإسلام دين ودولة، وأن خليفة المسلمين هو المسؤول الأول عن رعاية شؤونهم الدينية والدنيوية.[1]

---

١ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٤٤ـ١٤٦.

٢٤ـ الهجرة وشخصيات الرسول ﷺ : وهو رد علمي محكم رصين على مقال للشيخ محمود شلتوت في مجلة الرسالة عنوانه (الهجرة وشخصيات الرسول).

وقد رد عليه الشيخ الخضر في مجلة الهداية الإسلامية الجزء الثاني عشر من المجلد الرابع عشر الصادر في جمادى الآخرة سنة ١٣٦١هـ، والجزء الأول من المجلد الخامس عشر الصادر في رجب سنة ١٣٦١هـ.

وقد جاء هذا الرد في ست وسبعين صفحة[١].

وخلاصة ما يرمي إليه مقال الشيخ شلتوت أن الذي يعد شرعاً دائماً هو ما يرجع إلى شخصيات الرسول ﷺ من العقائد، وأصول الأخلاق، والعبادات.

وما عدا ذلك مما يرجع إلى شخصية الإمام أو المفتي أو القاضي ـ فليس بشرع دائم، وإنما هو شرع مؤقت يمكن أن يتأثر بالاجتهاد، وأن يترك العمل به لسبب من الأسباب.[٢]

يقول الشيخ محمد الخضر رحمه الله في مقدمة ذلك الرد: «أحضرت ذلك المقال المنشور تحت عنوان (الهجرة وشخصيات الرسول) وقرأته قراءة خالي الذهن مما قيل فيه، فما لبثت أن لاقتني جمل صيغت في قالب ذي وجهين، وأطَلت عليَّ آراءٌ قلت لما لمحتها: أما وجدت هذه الآراء وادياً غير هذا الوادي، أو عهداً غير هذا العهد؟.

وأمسكت بالقلم ناقداً لها بعدل، مناقشاً لها بإنصاف.

---

١ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٣/١١٨٥ـ١٢٦٠.

٢ ـ انظر محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ ص٢٢٨ .

وسأسلك ـ بتوفيق الله تعالى ـ الطريقة التي اخترتها لنفسي في مناقشة ما يبدو لي أنه جدير بالمناقشة؛ فأنقل عبارات كاتب المقال بأعيانها؛ لأسير أنا والقارئ في النقد جنباً إلى جنب، ولا أظلم صاحب المقال، ولا أظلم الحق أو العلم».[١]

ثم شرع رحمه الله في نقد المقال على النحو الذي وعد به.

يقول الدكتور أحمد الشرباصي رحمه الله: «يذكر القراء أن الأستاذ الكبير الشيخ محمود شلتوت وكيل كلية الشريعة الإسلامية كتب في بعض أعداد مجلة (الرسالة) مقالاً عنوانه: «الهجرة وشخصيات الرسول» ذهب فيه مذاهب أهاجت عليه المسلمين في مصر وبعض الأقطار العربية، ورأى الأستاذ الخضر أن في هذا المقال من الآراء ما هو خطأ محض، ولا يصح السكوت عليه، أفتدري ما ذا فعل؟ لم يَثُرْ، ولم يغضب، ولم يَرُدَّ على مقالة الأستاذ شلتوت بمقال مثله في عجلة وتسرع؛ بل أقبل على موضوع المقال، فدرسه دراسة العالم الخبير، وجمع الدلائل والشواهد على ما فيه من أخطاء، ثم جلس إلى مكتبه الهادئ العامر بمكتبته العظيمة في دار جمعيته، وكتب كتابه القيم «نقد مقالة الهجرة وشخصيات الرسول» وطبعه فيما يزيد على تسعين صفحة، فعلى الذين قرؤوا مقالة الشيخ شلتوت، أو سمعوا بها: أن يحرصوا على قراءة هذا الكتاب الذي يعد مثلاً على الإنصاف في النقد، والعفة في المجادلة، والحكمة في الدعوة، حتى يتبين لهم الحق بعد أن يسمعوا كلام الفريقين».[٢]

---

١ ـ المرجع السابق ص٢٢٨.

٢ ـ انظر رسائل الإصلاح ص٢٨٣ـ٢٨٤.

٢٥ـ ملاحظات على مقال مولد النبيﷺ: وقد نشر في مجلة لواء الإسلام العدد الثامن من السنة الثامنة، الصادر في ربيع الثاني ١٣٧٤هـ.

ويقع في ثمان صفحات، وهو رد على مقال لعلي عبدالرازق نشر في جريدة الأخبار عنوانه: «مولد النبي»[١].

٢٦ـ أربع قصائد: وهي قصيدة تحية المقام النبوي، وقصيدتان في ذكرى المولد، وقصيدة: مشاهداتي في الحجاز[٢].

فهذا هو مجمل ما تضمنه كتاب (محمد رسول الله وخاتم النبيين).

الخامس: تراجم الرجال: وهذا الكتاب يقع في الصفحات ١٢٩٥/٣ـ١٤٢٦ من موسوعة الأعمال الكاملة.

وقد جمعه وسماه الأستاذ علي الرضا الحسيني، وقال في مقدمته: «في هذا الأثر الذي سميناه: «تراجم الرجال» ضممنا ما كتبه الإمام الأكبر العلامة محمد الخضر حسين من مقالات أعلام الإسلام، ونشر في مجلتي (الهداية الإسلامية) و (نور الإسلام) أو ما ألقاه من محاضرات في النوادي الإسلامية.

والهدف من هذه التراجم: أن تكون قدوة للحاكم والمواطن المسلم، ومناراً وهدياً لكل من ينشد حياةً ملؤها العزة والسعادة.

وقد رتبنا الأبحاث في هذا الكتاب وفق التسلسل التاريخي، واعتمدنا في ذلك تواريخ الولادة، دون النظر إلى تاريخ نشر المقال، أو إلقاء المحاضرة.

ولا بد من التنويه أن ثمة تراجم قيمة للمؤلف نشرت في كتاب (تونس وجامع الزيتونة) وهي تراجم الأعلام التونسيين لم نثبتها في هذا الكتاب»[١].

---

١ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ١٢٦١/٣ـ١٢٦٨.

٢ ـ انظر المرجع السابق ١٢٦٩/٣ـ١٢٨٧.

ولقد خرج هذا الكتاب مستقلاً قبل أن يخرج ضمن الموسوعة الكاملة، حيث أخرجه الأستاذ علي الرضا الحسيني في كتاب يقع في مائة وأربعة وعشرين صفحة، وطبع في المطبعة التعاونية عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

وقد احتوى هذا الكتاب على الموضوعات التالية:

١- نظرة في ناحية من خلافة عثمان. ٢- موسى بن نصير. ٣- علي زين العابدين. ٤- محمد الباقر، وزيد. ٥- نظرة في حياة عمر بن عبدالعزيز. ٦- نظرة في حياة الإمام مالك بن أنس. ٧- صقر قريش، وكيف تأسست الدولة الأموية بالأندلس. ٨- أبو داود وكتابه (السنن). ٩- صفحة من حياة أبي الحسن الأشعري. ١٠- القاضي أبو الحسن الجرجاني. ١١- حجة الإسلام الغزالي. ١٢- أبو بكر بن العربي. ١٣- أحمد تيمور باشا[٢].

السادس: الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان: وهذا الكتاب يقع في مائتين وتسعين صفحة من موسوعة الأعمال الكاملة.

ويحتوي على مباحث في أصول الدين، وأصول الفقه، ومقاصد الشريعة، والأحكام العملية، والفتاوى، والتحذير من البدع، ونحو ذلك.

وبعضها ألقي في محاضرات في قسم التخصص بكلية أصول الدين في الجامع الأزهر، أو في نوادٍ وجمعيات إسلامية مختلفة.

وبعضها نشر في مجلتي (نور الإسلام) و (الهداية الإسلامية).

---

١ - انظر تراجم الرجال ص٣.

٢ - انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٣/١٢٩٥-١٤٢٦.

وقد جمع الأستاذ علي الرضا الحسيني هذه المباحث تحت اسم (الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان) وهو البحث الأول من هذا الكتاب، والذي كان يؤلف القسم الأكبر من الجزء الثالث من كتاب (رسائل الإصلاح).

وخرج في كتاب مستقل يقع في مائتين واثنتين وعشرين صفحة، وذلك عام ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

ومباحث هذا الكتاب هي - كما قال الشيخ الخضر -: «في حاجة إلى أن تبحث بفكر لا يتعصب لقديم، ولا يفتتن بجديد، يعتمد الرأي حيث يثبته الدليل، ويتقبل الحكم متى لاحت بجانبه حكمة، ويثق بالرواية بعد أن يُسْلِمَها النقدُ إلى صدق».[1]

وهذا الكتاب يحتوي على الرسائل التالية:

١- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ٢- مدارك الشريعة الإسلامية وسياستها[2] ٣- النسخ في الشريعة الإسلامية ٤- صحيح البخاري وأثره في حفظ الشريعة ٥ - السنة والبدعة ٦- الرؤيا ليست طريقاً للأحكام الشرعية ٧- وجوب العمل بالحديث الشريف ٨- أسباب وضع الحديث ٩- الحديث المتواتر وحكم ما رواه البخاري ومسلم ١٠- اجتهاد ابن القاسم ١١- ليلة النصف من شعبان ١٢- نظرة في أحاديث المهدي ١٣- لا عدوى ولا طيرة ١٤- باب في حديث السحر

---

١ - انظر الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ص٣.

٢ - هذه الرسالة (مدارك الشريعة الإسلامية وسياستها) من أعظم ما كتبه الشيخ الخضر في باب: مقاصد الشريعة، والأصول، والسياسة الشرعية، وهي محاضرة ألقاها في بواكير حياته، في نادي (جمعية تلامذة المدرسة الصادقية) بتونس يوم السبت ١٨/جمادى الثانية ١٣٣١هـ.

وطبعت مفردة للمرة الأولى على نفقة أخيه محمد المكي بن الحسين، ونشرتها مجلة البدر التونسية في الجزأين الثامن والعاشر من المجلد الثاني عشر سنة ١٣٤٠هـ، وطبعها الأستاذ علي الرضا الحسيني ضمن كتاب (الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان) عام ١٣٩١هـ، ثم أعاد طبعها مستقلة عدة طبعات، ومنها الطبعة الثالثة عام ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، وقد تكلم فيها على حكمة التشريع، وكون الشرائع سماوية ووضعية، وعلى منابع الشريعة الإسلامية، واختلاف المذاهب، وانتشارها، وطبقات الفقهاء، والفقهاء والأمراء.

١٥ـ السنن والحكم النبوية ١٦ـ شرح مسألة الاقتداء بالمذهب المخالف ١٧ـ صنع الصور واقتناؤها ١٨ـ مكافحة الجشع والغش في المعاملات المالية ١٩ـ التصوف ٢٠ـ حكم تعدد الزوجات في الإسلام ٢١ـ الأخذ بالدَّين ٢٢ـ الفتاوى والأحكام[١].

السابع: محاضرات إسلامية: ويقع في مائتين وست وثلاثين صفحة وذلك من ١٧٢٩/٤ـ ١٩٦٤ من موسوعة الأعمال الكاملة.

ويحتوي على محاضرات ألقاها الإمام في عدد من الجمعيات الإسلامية سواء في تونس أو القاهرة.

ومنها ما نشر في رسائل صغيرة مطبوعة، ومنها ما نشر في مجلتي (نور الإسلام) والتي تعرف اليوم باسم مجلة (الأزهر) ومجلة (الهداية الإسلامية)[٢].

وقد جمعها الأستاذ علي الرضا الحسيني في كتاب سماه (محاضرات إسلامية).

وطبع هذا الكتاب بهذا المسمى، وخرج مفرداً عام ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م في مائتين وثلاثين صفحة، وقد طبعته المطبعة التعاونية.

كما أن بعض رسائل هذا الكتاب خرجت مفردة ـكما مر وكما سيأتيـ.

هذا وقد اشتمل كتاب (محاضرات إسلامية) على ما يلي:

١ـ **الحرية في الإسلام:** وقد طبعت مراراً، ومرت الإشارة إليها، وهي ردٌّ على المستبدين والمستعمرين، والمخالفين في مفهوم الحرية.

وتعد من أقدم محاضراته، وأعظمها، وأكثرها أثراً وسيرورة في الناس.

يقول الأستاذ علي الرضا الحسيني في مقدمة كتاب (محاضرات إسلامية): «وفاتحة هذه المحاضرات (الحرية في الإسلام) من أمهات المحاضرات الإسلامية

---

١ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ١٤٣٩/٤ـ١٧٢٨ .

٢ ـ محاضرات إسلامية ص٣ .

وأوائلها التي ألقاها الإمام الأكبر في مطلع حياته الدينية والسياسية، ألقاها بنادي (جمعية قدماء تلامذة الصادقية) في تونس، وذلك مساء يوم السبت الواقع في ١٧ ربيع الثاني من عام ١٣٢٤هـ.

وكان يشغل آنذاك منصب قاضي مدينة (بنزرت) وقد طبعت هذه المحاضرة عام ١٣٢٧هـ برسالة خاصة، وأعيد طبعها مرتين فيما بعد»[١].

وطبعت هذه المحاضرة بعد ذلك مراراً، ومن تلك الطبعات طبعة دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع في القاهرة، وجاءت في سبع وستين صفحة.

وطبعها الأستاذ علي الرضا في كتاب مستقل عدة مرات، ومنها الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م في الدار الحسينية في خمس وثمانين صفحة من القطع المتوسط.

ويواصل الأستاذ علي كلامه على تلك المحاضرة فيقول: «تعتبر محاضرة (الحرية في الإسلام) من الوثائق القومية والتاريخية التونسية الهامة، فقد ألقيت في عهد الحماية الفرنسية، وفي أوج غطرستها وشراستها، تلك الحماية الرهيبة التي كانت تعتبر تونس قطعة أرض ملحقة بفرنسا، وتكمم الأفواه عن النطق بالأحاديث المعتادة، فكيف الحال بصوت داوٍ يتحدث عن الحرية في آذان شعب مضطهد؟!.

تناقلت الأيدي المحاضرة من بيت إلى بيت، ومن معهد إلى معهد، يهمس بها المواطن التونسي إلى أخيه، فينتشر شعاعها في القلوب المؤمنة بحرية التراب التونسي.

وقد حدثني سيدي الوالد الشيخ زين العابدين التونسي -حفظه الله- أن العم الإمام رحمه الله عندما ألقى هذه المحاضرة أحدثت أثراً عميقاً في المجتمع التونسي ما زال يفعل فعله في الأوساط الشعبية كالنار في الهشيم، وكانت صوتاً من أصوات النضال التونسي السائر في الطريق إلى الحرية»[٢].

١- محاضرات إسلامية ص٣.

٢- المرجع السابق ص٣-٤.

ولم يقتصر أثر تلك المحاضرة على تونس، بل تعدت شهرتها إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث تناولها العلماء، والمثقفون، والقادة في البلاد العربية وغيرها بالقبول، والثناء والتقريظ، وقد مضى ذكر لشيء من ذلك.

وممن احتفى بها الأستاذ محمد كرد علي صاحب (جريدة المقتبس) التي نشرت تقريظاً مطنباً لرسالة (الحرية في الإسلام) وقالت في صدر ذلك التقريظ: «تنم معظم تآليف التونسيين الأخيرة على فضل علم وأدب، وإن خاصتهم لا يؤلفون ـفي الغالبـ إلا إذا اعتقدوا، واعتقد الناس فيهم الكفاءة العلمية».[1]

ويذكر الشيخ الخضر أنه لما كان في الشام واجه واليَها في ذلك الحين وهو ناظم باشا؛ للتفاهم معه في حاجة تخص العائلة.

يقول الشيخ الخضر: «فكانت التحيةُ بيننا أولاً إشارةً باليد، ثم تقدم الفاضل السيد محمد بن شطه الجزائري؛ ليترجم بيني وبينه، وكانت المخاطبة بينهما باللسان الفرنساوي؛ إذ كان لا يحسن النطق بالعربية، وذكروا أنه يقرأ بها، ويفهم جيداً.

وقال له السيد محمد بن شطه في التعريف بشأني: هذا مؤلف رسالة (الحرية في الإسلام) وأخبرني أنه كان قد اطلع عليها؛ فنهض قائماً، ومد يده لمصافحتي، وأعطى عبارة في الشكر على تأليفها».[2]

لذا أصبح الشيخ بعد تلك المحاضرة مطلوباً من السلطة، مراقباً من عيون الاستعمار الفرنسي الذي أعلن عليه حرباً تمثلت في عدد من الإجراءات الإدارية، وعلى رأسها مَنْعُه من الحصول على مَرْتَبة الطبقة الأولى للمدرسين في جامع الزيتونة.

ولقد استهل تلك المحاضرة بمقدمة تُلَوِّح إلى موضوع الحرية حيث قال فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحمد لله الذي خلق فسوى، وجعل التمايز في مقام الكرامة بالتقوى، وصلى الله

---

١ ـ الرحلات ص٨٦.

٢ ـ المرجع السابق ص٨٣.

على سيدنا ومولانا محمد الذي أنقذنا من ذلة الشقاء، وخلع علينا لباس العزة عند اللقاء، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً»[١].

ثم بيّن أن سبب تلك المحاضرة هو مخاطبة جرت بينه وبين صديقه السيد خير الله رئيس (جميعة قدماء تلامذة الصادقية) على أن يضع الشيخ الخضر مسامرة تنطبق على الخطة التي رسمتها الجمعية.

يقول الشيخ الخضر: «تلقيت ذلك الخطاب بواسطة صحيفة من صديقي النحرير الشيخ السيد محمد الطاهر بن عاشور رئيس هذه الحفلة الجامعة، أرسل بها إليَّ حيث طوَّحت بي طوائحُ القضاء المحتوم؛ فاستوقفتُ له خاطري وقفةَ المتردد، واستلفتُّ له نظري لفتةَ المتروي لما يرد على فكري من القضايا التي لم تبق لي مثقال ذرة من الوقت شاغراً.

والشواغل التي من شأنها إذا لبست فكرة ذهبت بها في جانب يبعد عن ناحية هذا الغرض بمراحل واسعة، فمتى قَلَّبْتُه في هذا الميدان أخشى أن تُقَيِّده حبسة، أو يثنيه جماح، ولا سيما حين يلجّ به الغوص في بعض المواضيع التي يبعد شأوها، ويعلو مرتقاها»[٢].

إلى أن قال: «لبثت في هذا التردد أمداً غير بعيد، فإذا أمنية تنازعني في نفسي، ولطالما نظرت إليها بعين المشوق المستهام؛ إن هي إلا ابتغاء الدخول في صف فتية من إخواني الأدباء، كنت أسايرهم إذا أعنقوا في الآداب، وأشد كفي بِعُرى مرافقهم التي ألفتها قديماً، ولبثت فيها من عمري سنين؛ فأكره شديداً أن أسل يدي من رابطتهم، وأحجم عن مجاراتهم ما اهتديت لذلك سبيلاً.

تحركت هذه الأمنية، وقويت داعيتها، فأرتني الأمر قريب المأخذ، سهل التناول، حتى تخيلته موضوعاً على طرف الثمام؛ فانقلب ذلك التردد من حينه حاديَ سمع ومطاوعة، وعند التفاهم مع الرئيس في موضوع المسامرة وقع الاختيار على مبحث:

---

١ ـ الحرية في الإسلام طبعة دار الإصلاح ص٧، وهذه المقدمة لا توجد في موسوعة الأعمال الكاملة.

٢ ـ محاضرات إسلامية ص٥.

الحرية في الإسلام»[١].

ثم شرع بمقدمة رائعة تحتوي على معانٍ عالية، وحكم بالغة، ثم تعرض لحال الأمة العربية قبل الإسلام، وبعد الإسلام من الظلم والعدل[٢].

ثم انتهى إلى التعريض بمظالم الاستعمار الفرنسي، والنظام الملكي للبايات المطلق[٣]، وذلك بقوله: «فالأمة التي بليت بأفراد متوحشة تجوس خلالها أو حكومية جائرة تسوقها بسوط الاستبداد، وهي الأمة نصفها بصفة الاستعباد، وننفي عنها لقب الحرية[٤].

ثم أفاض بعد ذلك في الحديث عن موضوع المحاضرة، فبين حقيقة الحرية، والشورى، والمساواة، والحرية في الأموال، والأعراض، والدماء، والدين، وخطاب الأمراء.

وتحدث عن آثار الحرية، والاستبداد، إلى غير ذلك من العنوانات الثائرة المؤلمة للمستعمرين وأعوانهم.

٢ـ **علماء الإسلام في الأندلس**: وهي محاضرة نشرت في رسالة عام ١٣٤٧هـ، وقد ألقاها الإمام في نادي جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة مساء الإربعاء ١٣٤٦/١١/١٨هـ.

٣ـ **السعادة عند بعض علماء الإسلام**: وهي محاضرة في نادي جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة في صفر ١٣٤٧هـ، ونشرت في رسالة عام ١٣٤٨هـ.

٤ـ **التصوف في القديم والحديث**: وهي محاضرة ألقيت في نادي جمعية مكارم الأخلاق يوم الجمعة ١٣٤٧/٨/٢٨هـ، ونشرت في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء الخامس من المجلد الأول.

---

١ ـ المرجع السابق ص٦.

٢ ـ المرجع السابق ص ٥ـ١١.

٣ ـ انظر الإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع ص١٤٠.

٤ ـ محاضرات إسلامية ص١١.

٥ـ **الدهاء في السياسة**: وهي محاضرة ألقيت في نادي جمعية الهداية الإسلامية، ونشرت في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء السادس من المجلد الخامس.

٦ـ **الزينة والرفاهية في الإسلام**: وهي محاضرة ألقاها الإمام في نادي جمعية الهداية الإسلامية يوم الخميس ١٣٥٣/١/١٣هـ، ونشرت في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء السابع من المجلد السادس.

٧ـ **الصداقة**: محاضرة ألقيت في نادي جمعية الهداية الإسلامية، ونشرت في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزآن الأول والثاني في المجلد الثامن، كما أنها موجودة في كتاب (رسائل الإصلاح) في طبعة دار الإصلاح في الدمام.

وهي من أحسن ما كتب في باب الصداقة.

٨ـ **مضار الإسراف**: وهي محاضرة في دار الإذاعة المصرية بالقاهرة بدعوة من وزارة الشؤون الاجتماعية، ونشرت في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء الأول والثاني من المجلد الرابع عشر.

٩ـ **تعاون العقل والعاطفة على الخير**: وقد نشرت في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزآن الثالث والرابع من المجلد الرابع عشر[1].

١٠ـ **حقوق الفقراء على الأغنياء في الإسلام**: وهي محاضرة ألقاها في دار الإذاعة المصرية بدعوة من وزارة الشؤون الاجتماعية، والنشر في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء الخامس والسادس من المجلد الرابع عشر.

١١ـ **السمو الخلقي في الإسلام**: مجلة الهداية الإسلامية، الجزآن السادس والثامن من المجلد السابع عشر.

---

١ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٤/١٧٣١ـ١٨٧٩.

١٢ـ المعتزلة وأهل السنة: وهي محاضرة في نادي جمعية الهداية الإسلامية، ونشرت في مجلة (الهداية الإسلامية) الأجزاء الرابع، والخامس، والسادس، والسابع، والثامن من المجلد الثامن عشر.

١٣ـ اختلاط الجنسين في نظر الإسلام: وقد نشر في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء السادس من المجلد الثالث عشر.

١٤ـ نقد آراء الأستاذ فريد وجدي من الناحية الدينية والاجتماعية: وهما محاضرتان: المحاضرة الأولى ألقيت بدار جمعية الهداية الإسلامية بالقاهرة مساء الخميس سنة ١٣٥٠هـ، ونشرت في الجزء الأول من المجلد العاشر لمجلة نور الإسلام.

والمحاضرة الثانية في نادي جمعية الهداية الإسلامية، ونشرت في الجزء التاسع من المجلد الرابع لمجلة (الهداية الإسلامية)[1].

فهذا هو مجمل ما احتواه كتاب (محاضرات إسلامية).

الثامن: رسائل الإصلاح: وهذا الكتاب يكاد يكون أنفع كتب الشيخ، وأعظمها، وأكثرها أثراً.

وقد صدر في حياة الشيخ؛ حيث اقترح عليه عدد من العلماء سنة ١٣٥٨هـ أن يجمع ما كتبه من مقالات في الدين، والأخلاق، والاجتماع في كتب حتى يسهل على القراء مطالعتها دون عناء، أو مراجعتها دون الرجوع إلى المجلات الكثيرة التي نشرت فيها أول مرة؛ فقبل الشيخ هذا الاقتراح، وأخذ في جمعها وإعادة النظر فيها، ثم نشرها في كتاب يتألف من ثلاثة أجزاء، وسماه (رسائل الإصلاح).

وأما الجزء الأول فطبع في مطبعة (الهداية الإسلامية) وهو يحوي أربعة وعشرين موضوعاً موزعة على مائتين وأربع وثلاثين صفحة.

---

١ ـ انظر المرجع السابق ٤/١٨٨٠ـ١٩٦٠.

وقد أعاد طبعه الأستاذ علي الرضا الحسيني بدمشق سنة ١٩٧١م، وأدخل عليه تحويراً في المحتوى؛ فحذف ثلاث مقالات من النسخة الأصلية، ثم أضاف اثني عشر مقالاً من الجزء الثاني من الكتاب، وجمع بذلك: الجزأين في نسخة واحدة.[١]

يقول الأستاذ محمد مواعده معلقاً على هذا التحوير: «وإذا لاحظنا أن ما قام به الناشر يغاير الأساليب العلمية إلا أنه يمكن اعتماد الطبعة الجديدة؛ نظراً إلى أنها لا تغاير الاتجاه الذي رسمه المؤلف نفسه عند جميع مقالاته».[٢]

أما الجزء الثالث من هذا الكتاب فقد صدر أيضاً سنة ١٣٥٨هـ، وطبع بمطبعة حسام الدين القدسي، وهو يتألف من مائة وإحدى وستين صفحة تشمل على ثلاث وعشرين مقالة.

وقد أعاد الأستاذ علي الرضا طبع هذا الجزء بالمطبعة التعاونية بدمشق سنة ١٩٧١م، جاعلاً اسمه (الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان)[٣].

وقد مر الحديث عن هذا الكتاب.

كما أن دار الإصلاح في الدمام في المملكة العربية السعودية أعادت طبع كتاب رسائل الإصلاح كاملاً في مجلدين، وقد جاء المجلد الأول في مائتين وأربع وستين صفحة، والمجلد الثاني في مائتين وسبع وأربعين صفحة.

وفي طبعة الموسوعة الجديدة جاء كتاب رسائل الإصلاح في المجلد الخامس في مائتين وتسع وثمانين صفحة[١]، واحتوى على ثلاث وثلاثين مقالة أو بحثاً، وهي كما يلي:

---

١ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٣٠.

٢ ـ انظر المرجع السابق ص١٣٠.

٣ ـ انظر المرجع السابق ص١٣٣.

١ ـ المروءة ومظاهرها الصادقة ٢ ـ الإلحاد: أسبابه، طبائعه، مفاسده، أسباب ظهوره، علاجه[٢] ٣ ـ في مفاسد البغاء ٤ ـ كلمة في المسكرات ٥ ـ الشجاعة ٦ ـ المساواة في الإسلام ٧ ـ إباءة الضيم وأثرها في سيادة الأمم ٨ ـ عظمة الهمة ٩ ـ الإسلام والمدنية الحديثة ١٠ ـ صدق اللهجة ١١ ـ فضيلة الإخلاص ١٢ ـ الأمانة في العلم ١٣ ـ القضاء العادل في الإسلام ١٤ ـ الإنصاف الأدبي ١٥ ـ العلماء والإصلاح ١٦ ـ المدنية الفاضلة في الإسلام ١٧ ـ أصول سعادة الأمة ١٨ ـ صدق العزيمة أو قوة الإرادة ١٩ ـ الغيرة على الحقائق والمصالح ٢٠ ـ الشجاعة وأثرها في عظمة الأمم ٢١ ـ كبر الهمة في العلم ٢٢ ـ الدهاء والاستقامة ٢٣ ـ الانحراف عن الدين: علله، آثاره، دواؤه ٢٤ ـ ضلالة فصل الدين عن السياسة ٢٥ ـ سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين ٢٦ ـ العزة والتواضع ٢٧ ـ المداراة والمداهنة ٢٨ ـ الرفق بالحيوان ٢٩ ـ محاكاة المسلمين للأجانب ٣٠ ـ الاجتماع والعزلة ٣١ ـ علة إعراض الشبان عن الزواج ٣٢ ـ النبوغ في العلم والفنون ٣٣ ـ متى تكون الصراحة فضيلة؟

وتحت كل عنوان من هذه العنوانات بحث ثري يأتي على الموضوع من أطرافه، مع وجازة لفظ، وروعة بيان، وجمال عرض، وحسن استشهاد، حتى إنه ليغني عن كثير من البحوث الطويلة.

---

١ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٥/١٩٧٥ـ٢٢٦٣ .

٢ ـ خرجت هذه المقالة في كتيب مستقل، عنوانه (الإلحاد ـ أسبابه ـ طبائعه ـ مفاسده ـ أسباب ظهوره ـ علاجه) تقديم وتعليق الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

يقول الأستاذ علي الرضا الحسيني عن هذا الكتاب: «ثمرت من ثمرات الجهاد العلمي الطويل والشاق كان هذا الكتاب (رسائل الإصلاح).

بذل فيه الإمام محمد الخضر حسين الكثير من الوقت والعمل، وخطه بحسن أسلوبه، وغزارة مادته، ودقة تحقيقه، وسعة اطلاعه، وسلاسة عبارته، وبلاغة بيانه وتبيانه، حتى كأن كل مقال في كتاب قائم بذاته، صيغ بموجز من الكلمات في صفحات، ومثله كمصباح يستضاء به في ظلمات الحياة.

لهذا الأثر القيم مكانة خاصة وشهرة لدى الفقهاء والأدباء ورجال الثقافة وأصحاب القلم، وكثيراً ما يشار إليه في المصادر والمراجع على أنه من أهم الكتب التي تضمنت مقالات الإمام الشرعية والأحوال الاجتماعية».[١]

ويقول الدكتور أحمد الشرباصي رحمه الله عن هذا الكتاب: «وهو من أمهات الكتب الإسلامية الحديثة التي تجب على كل مسلم يريد أن يصحح عقيدته، وأن يعرف دينه على حقيقته، أن يقرأها مثنى وثلاث».[٢]

إلى أن قال: «إنه مجموعة من المقالات الممتعة التي كان يزيِّن بها الأستاذ الخضر جِيْدَ مجلته (الهداية الإسلامية).

والجزء الأول من الكتاب يتحدث عن مسائل الأخلاق والاجتماع، فتقرأ فيه القولَ الفصلَ، والكلام الجزل، والحديث المؤيد بكتاب الله وسنة رسوله، وأقوال السلف الصالح، وتراه يتناول أبحاثاً لها أهميتها، فيجيد في الدراسة والعرض، والاستنتاج والحكم، مثل حديثه عن: العلماء والإصلاح،

---

١ ـ رسائل الإصلاح ص٣.

٢ ـ رسائل الإصلاح ص٢٨٢.

والإنصاف الأدبي، والدهاء والاستقامة، والرفق بالحيوان، والتعاون في الإسلام، والنبوغ في العلوم والفنون، وغير ذلك». [١]

وقال الأستاذ عبدالفتاح مصطفى رحمه الله عن كتاب رسائل الإصلاح: «تناول فيه كثيراً من المسائل الحيوية التي تتصل بحياة الإنسان اتصالاً وثيقاً، وبحثها بحثاً منطقياً غير متعصبٍ لآراء السابقين، أو مشايعٍ فيها جنوح المجددين المندفعين.

وإنما سار فيها مستضيئاً بنور اليقين، وكتاب الله وسنة سيد المرسلين، فجاءت البحوث آية من آيات البيان، دالة على صدق إخلاصه لرسالته، وإيمانه بدعوته، معتمداً على الله في سبيل نجاح غايته.

ويكاد يكون كلُّ مقالٍ من الكتاب موضوعَ رسالةٍ تؤلف فيها الكتب، ولكن توفيق الله للأستاذ هَيَّأ له من سلاسة العبارة، وحسن الأسلوب، وبلاغة البيان ما أقدره على إدماجه في مقال هو زبدة ما يكتب فيه، مدعم بالأسانيد والأدلة، فلا تفرغ من قراءته حتى تصدق ما فيه داعياً إلى سبيله، ولا تنتهي من مقال حتى تبدأ المقال الذي يليه». [٢]

التاسع: الدعوة إلى الإصلاح: ويعد هذا الكتاب من أعظم ما كتب في بابه؛ ولا غرو في ذلك؛ فلقد اهتم الشيخ الخضر منذ بواكير حياته بالدعوة إلى الله، وإصلاح المجتمع؛ فكتب المقالات، وألقى المحاضرات؛ منبهاً إلى العِلَل والأدواء التي تعاني منها المجتمعات، موجهاً إلى كيفية إصلاحها، والصعود بها إلى مراقي الفلاح.

---

١ ـ رسائل الإصلاح ص٢٨٤.

٢ ـ المرجع السابق ص٢٨٦.

وكان من أعظم ما قام به في ذلك الشأن تأليفُ رسالةٍ خاصةٍ عنوانها (الدعوة إلى الإصلاح) وقد طبعت سنة ١٣٢٨هـ بالمطبعة الرسمية في تونس على نفقة شقيقه محمد العروسي بن الحسين، وجاءت في إحدى وأربعين صفحة من الحجم الصغير.

ثم أعيد طبعها في القاهرة سنة ١٣٤٦هـ، بعناية المطبعة السلفية، ومكتبتها، وجاء في ثلاث وثمانين صفحة من الحجم الصغير، وذلك بعد أن أدخل عليها تحويراً في التوبيب، وتنقيحاً في بعض الفقرات، والفصول.[١]

وهذه الرسالة تحتوي على ثلاثة عشر عنواناً وهي كما يلي:

١ـ الحاجة إلى الدعوة ٢ـ الدعوة في نظر الإسلام ٣ـ المبادرة إلى الدعوة ٤ـ التعاضد على الدعوة ٥ـ من الذي يقوم بالدعوة؟ ٦ـ الإخلاص في الدعوة ٧ـ طرق الدعوة ٨ـ أدب الدعوة ٩ـ سياسة الدعوة ١٠ـ الإذن في السكوت عن الدعوة ١١ـ علل إهمال الدعوة ١٢ـ آثار السكوت عن الدعوة ١٣ـ ما يدعى إلى إصلاحه.[٢]

وقد بين الشيخ الخضر في مقدمة هذا الكتاب غرضه من تأليفه فقال: «يبحث الكتاب عن العلل التي لبست الأمم الإسلامية، وقعدت بها في خمول، حتى ضربت عليها الدول الغربية بهذه السلطة الغاشمة، ويوردون في نتيجة بحثهم أسباباً شتى.

وأنت إذا تدبرت هذه الأسباب، وجدت السبب الحق منها يرجع إلى تهاون هذه الأمم بتعاليم الشريعة، ونكث أيديهم من المشروعات التي عهدت إليهم بالقيام عليها.

---

١ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٧١.

٢ ـ انظر الدعوة إلى الإصلاح ص٦.

والعلة في ضعف هممهم، وقلة إقبالهم على ما أرشد إليه القرآن ـ من وجوه الإصلاح ووسائل المنعة والعزة ـ إنما هي تقصيرهم في التواصي بالحق، وعدم استقامة زعمائهم على طريقة الدعوة والإرشاد.

هذا ما استثار الهمة، وأخذ برأس القلم يجره إلى البحث في مشروع الدعوة إلى الإصلاح؛ لعله يبسط من حقائقه وآدابه جملاً كافية، ويملك بتأييد الله زمامه».[١]

يقول الأستاذ محمد مواعده عن هذا الكتاب: «وقد أظهر المؤلف في هذا الكتاب قدرة كبيرة على فهم نفسية الأفراد والجماعات، وكيفية التأثير عليها لإصلاحها إلى الهداية والرشاد، مما جعل علماء الإسلام يولونه اهتماماً خاصاً، ويكبرون صاحبه ويجلونه.

وقد قال له الشيخ عبدالفتاح المكاوي أحد علماء مصر بعد مطالعة هذه الرسالة: (علمت أن الإسلام لم يعدم أنصاراً، ولم يزل للإرشاد دعامة هي خير الدعامات، قُلْتَ فبرهنتَ، ودعوتَ فسددت .... ولا يسعني إلا تهنئة الحاضرة التونسية بك، بل الأقطار الأفريقية، بل الممالك الشرقية)».[٢]

وقد أخرج الأستاذ علي الرضا الحسيني هذه الرسالة في كتاب، وضم إليها مجموعة من المقالات، والبحوث التي وجدها من آثار عمه الشيخ الخضر، والتي تدور ـفي مجملهاـ حول الدعوة، وقد سمى ذلك الكتاب باسم الكتاب الأول (الدعوة إلى الإصلاح)، وطبعه في الدار الحسينية، وجاء في مائتين وتسع عشرة صفحة كما في الطبعة الثالثة عام ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

ثم ألحقه بموسوعة الأعمال الكاملة؛ فجاء في مائتين وسبعين صفحة[٣].

---

١ ـ الدعوة إلى الإصلاح ص٥.

٢ ـ محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٧٣.

٣ ـ انظر الموسوعة ٥/٢٢٦٥ـ٢٥٣٤.

هذا وقد خرجت رسالة (الدعوة إلى الإصلاح) عدة مرات دون إضافات الأستاذ علي الرضا الحسيني؛ حيث طبعتها دار الشريف في الرياض عام ١٤١٤هـ تحقيق وتخريج إبراهيم الحازمي.

كما طبعتها دار الراية في الرياض عام ١٤١٧هـ، بتعليق الشيخ علي حسن عبدالحميد، غير أنه زاد في العنوان فجاء عنده هكذا (الدعوة إلى الإصلاح على ضوء الكتاب والسنة وعبر تاريخ الأمة).

أما ما أضافه الأستاذ علي الرضا من الموضوعات التي وجدها من تراث عمه الشيخ فهو ما يلي:

١ـ أثر الدين في إصلاح المجتمع

٢ـ أثر أدب اللغة في نجاح الدعوة إلى الإصلاح

٣ـ حرية الدعوة دليل على رقي الأمة وعظمة الدعوة

٤ـ أصول الإصلاح الاجتماعي

٥ ـ من هو الواعظ بحق؟

٦ـ الإسلام والعلم

٧ـ التربية الدينية والشباب

٨ـ التعليم الديني في مدارس الحكومة

٩ـ العلماء وأولو الأمر

١٠ـ تعاون الدولة والأمة على انتظام الأمن

١١ ـ من هو الشاب المسلم؟

١٢ـ إلى شباب محمدﷺ أيها الشباب الناهضون

١٣ـ مقاصد الإسلام في إصلاح العالم

١٤ـ انتشار الإسلام في العالم وعوامل ذلك

١٥ـ نهوض الشباب بعظائم الأمور

١٦ـ جيل يؤمن بالأخلاق

١٧ـ مثل أعلى لشجاعة العلماء واستهانتهم بالموت في سبيل الله

١٨ـ شجاعة العلماء وإنصاف الأمراء

١٩ـ محاربو الأديان ونموذج من سلاحهم

٢٠ـ العلماء وحياتهم الاجتماعية

وهذه المقالات منشورة في مجلتي (الهداية الإسلامية) و (نور الإسلام).

٢١ـ العناية بالتعليم الديني (١).

٢٢ـ العناية بالتعليم الديني (٢).

وهما مجموع المذكرات الثلاث التي رفعها الإمام بصفته رئيساً لجمعية (الهداية الإسلامية) إلى الحكومة المصرية في طلب العناية بالتعليم الديني، والتربية الدينية في المدارس المصرية، ونشرت عام ١٣٥٠هـ في مجلة (الهداية الإسلامية)[١].

٢٣ـ مناهج الشرف: وهي رسالة خاصة، وقد طبعت مفردة أول مرة عام ١٣٣١هـ، ثم أعاد الأستاذ علي الرضا طبعها عدة مرات، ومنها الطبعة الرابعة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م في الدار الحسينية للكتاب في اثنتين وثمانين صفحة.

ثم أضافها إلى كتاب (الدعوة إلى الإصلاح) في موسوعة الأعمال الكاملة، فجاءت في إحدى وخمسين صفحة[٢].

---

١ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٥/٢٣٢٣ـ٢٤٧٨ .

٢ ـ انظر الموسوعة ٥/٢٤٧٩ـ ٢٥٣١.

وهذا الكتاب من أعجب وأبدع ما صنفه الشيخ الخضر؛ إذ هو غريب في عنوانه، وفي بابه، وفي أسلوبه.

وقد تحدث فيه عن أهمية معنى الشرف، ومناهجه، وأنه من أجملِ الوجوه التي ينظر فيها الباحث عن حقائق الأشياء، وأسرارها، وأعزِّ ما يباكر إلى اجتناء معرفته قبل أن يَدْرُج في حياته الاجتماعية، ويسابق في مضمارها.

وبيَّن أن الخوض في هذا الموضوع ليس بالأمر الهين، «فيتناولها كل باع، من غير أن يفتقر رسوخها إلى تحرير في العبارة واتساع».[1]

وبين أوضاع الشرف في عادات الأمم، واعتباره في نظر الإسلام.

وأوضح مفهوم الشرف، والتفاضل فيه، وشرف الإنسان، والقوة العاقلة، وفضيلة العلم، وأدب النفس، وفضيلة الإرادة، ومزية الاستطاعة، ودلائل الشرف.

وتخلل ذلك تحريراتٌ عاليةٌ في أسرار الاجتماع، وطبائع النفوس، وتفاوت العقول، وسيرة أرباب الولايات، والتمييز بين الفضائل والرذائل، وما إلى ذلك من المباحث النفيسة المدعمة بأدلة الشرع، والعقل، والواقع، والتجارب الإنسانية.

وقل أن تجد من تعرض لدراسة هذا الكتاب ممن تناولوا آثار الشيخ، مع أنه كتاب جدير بالدراسة، والتحليل، والكشف عن جماله، وأسراره.

العاشر: دراسات في العربية وتاريخها: وهذا الكتاب هو أول ما جمعه وطبعه الأستاذ علي الرضا الحسيني لعمه الشيخ الخضر؛ فهو من تسمية الأستاذ علي، ولم يسمه الشيخ الخضر بذلك.

---

١ ـ انظر الدعوة إلى الإصلاح ص٢١٥.

وإنما هو مجموعة كتب، ورسائل، ومحاضرات.

وقد سبق أن نشر بعضها في كتب خاصة ـ كما سيأتي بيان ذلك عند عرض هذا الكتاب ـ.

ولا غرو أن يكتب الشيخ الخضر في اللغة، فهو إمام من أئمتها، وفارس لا يشق له غبار في شتى علومها، وهو الذي وجه اهتماماً خاصاً إلى لغة القرآن، وذلك في المجلات التي أصدرها، أو ترأس تحريرها، حيث أفرد للغة أبواباً ثابتة، ودعا للكتابة فيها رجال اللغة والأدب.

وهو ممن نفض الغبار عن أساليب اللغة في العصور المتأخرة، وألبسها ثياباً جديدة رائقة.

وهو ـكذلكـ عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق، وعضوٌ مؤسسٌ جادٌّ في مجمع فؤاد الأول للغة العربية ـ مجمع اللغة العربية في القاهرة ـ.[1]

هذا وقد احتوى هذا الكتاب على تسع رسائل، وجاء في مائتين وتسع وتسعين صفحة[2].

ولقد عالج الشيخ الخضر في هذه الرسائل كثيراً من قضايا اللغة، والمشكلات التي تثار حولها، وتميزت كتابته في ذلك ـكعاتهـ بالعمق، والتحليل، والربط، والقوة، وجزالة الأسلوب، والغوص على المعاني البعيدة، والإلمام بالبحث من كافة وجوهه.

وتكاد تكون كتاباته في هذا الشأن أحسن ما كتب في العصر الحديث.

أما الرسائل التي احتواها هذا الكتاب فهي كما يلي:

١ ـ **القياس في اللغة العربية**: وقصة هذا الكتاب تبدأ عندما قام المؤلف إبان فترة إقامته بدمشق بتدريس كتاب (مغني اللبيب) لابن هشام في النحو، وذلك في

---

١ ـ انظر دراسات في العربية وتاريخها ص ٣ـ٤ .

٢ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٦/٢٥٤٣ـ٢٨٤١ .

المدرسة السلطانية بدمشق، فاجتمع لديه سواد كثير من الآراء التي تتعلق بالقياس في اللغة العربية، فقدمها إلى تلاميذه، وناقشها مع بعض أصدقائه العلماء خلال إقامته بالبلاد السورية؛ فاقترح عليه بعضهم ومنهم تلميذه الشيخ محمد بهجة البيطار عضو المجمع اللغوي بدمشق أن يجمع هذه الآراء في كتاب يساعد قراء العربية على معرفة هذا الموضوع المهم، ويعين المهتمين بقضايا اللغة على المزيد من درسه والتعمق فيه.[١]

فاستجاب الشيخ لهذا الطلب، وكتب بحثاً في القياس، ثم نشره تباعاً في مجلة المنار سنة ١٩٢٣، ثم أصدره في كتاب خاص يحوي مائة وعشرين صفحة، وذلك عام ١٣٥٣، وعني بنشره المطبعة السلفية في القاهرة.[٢]

وأعاد طبعه الأستاذ علي الرضا الحسيني ضمن كتاب (دراسات في اللغة العربية) الذي نشره المكتب الإسلامي، ومكتبة دار الفتح عام ١٣٧٩هـ.

وأعاد طبعه مفرداً، ونشرته الدار الحسينية للكتاب، عام ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، وجاء في مائة وخمس وخمسين صفحة.

ثم طبع أخيراً ضمن موسوعة الأعمال الكاملة للإمام، وجاء في مائة وأربع عشرة صفحة من الموسوعة[٣].

وهذا البحث هو نفسه الذي قدمه ـ بعد ذلك ـ إلى هيئة كبار العلماء المكونة من قساة المتحنين، فقبلت اللجنة البحث بالإجماع، وأصبح بعدها عضواً في

---

١ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٧٧.

٢ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٧٧ـ١٧٨، ودراسات في العربية وتاريخها ص٩ و١١.

٣ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٦/٢٥٥٠ـ٢٦٥٦.

هيئة كبار العلماء سنة ١٩٥٠م، وقال فيه رئيس اللجنة الشيخ عبدالمجيد اللبان رحمه الله كلمته المشهورة: «هذا بحر لا ساحل له؛ فكيف نقف معه في حجاج».[١]

وهذا الكتاب من أعظم ما كتب في بابه، فقد حوى أبحاثاً نفيسة، وتحريرات عالية قل أن توجد مجتمعة في غيره.

ومما تضمنه ذلك الكتاب من أبحاث: مقدمة في فضل اللغة العربية ومسايرتها للعلوم المدنية ـ اللغة ـ أصل نشأة اللغة ـ تأثير الفكر في اللغة ـ تأثير اللغة في الفكر ـ هل يمكن اتحاد البشر في لغة؟ ـ اللغة العربية لا تموت ـ اللغة في عهد الجاهلية ـ تأثير الإسلام في اللغة ـ فضل اللغة العربية ـ الحاجة إلى القياس في اللغة ـ أنواع القياس.

إلى غير ذلك من الأبحاث النفيسة التي لاقت استحساناً من العلماء في عصره.

٢ـ حياة اللغة العربية: وهي محاضرة ألقاها المؤلف سنة ١٣٢٧هـ في جمهور غفير من الأدباء، وأساتيذ اللغة العربية في (جمعية قدماء تلامذة الصادقية) عندما كان مدرساً بجامع الزيتونة، والمدرسة الصادقية.

وقد طبعت هذه المحاضرة في نفس السنة بالمطبعة التونسية بنهج سوق البلاط في كتاب يحوي ستين صفحة، ثم أعاد نشرها الأستاذ علي الرضا الحسيني في كتاب (دراسات في العربية وتاريخها) ثم جاءت كذلك ضمن موسوعة الأعمال الكاملة.[٢]

أما الغرض من إلقاء هذه المسامرة فيتمثل في أمرين: أولهما: البحث عن حال اللغة من حيث ألفاظها، والأطوار التي مرت بها، واتساع نطاقها، وارتقاؤها مع المدنية.

---

١ ـ انظر المرجع السابق ٣٧٣٧/١٥، وأحاديث في رحاب الأزهر ص١٩٩.

٢ ـ انظر ٢٦٥٧/٦ـ٢٧٠٩.

وثانيهما: دحض الشبه التي أوحى بها بعض المحاضرين القائلين بعجز اللغة العربية عن مسايرة العصر، وحاجات المدنية الحديثة.[١]

ويعني ببعض المحاضرين الفرنسي (شارل نويل) الذي كتب مقالاً اتهم فيه الإسلام ولغته بالعقم[٢].

وقد تحدث في هذا الكتاب عن دلالة الألفاظ، وتأثير اللغة في الهيئة الاجتماعية، وأطوار اللغة العربية، وفصاحة مفرداتها، وحِكَم تركيبها، وتعدد وجه دلالتها، وتعدد أساليبها، وطرق اختصارها، واتساع وضعها، وإبداع العرب في التشبيه، واقتباسهم من غير لغتهم، وارتقاء اللغة مع المدنية، واتحاد لغة العامة والعربية.

وفي ختام هذه الرسالة أورد الأستاذ علي الرضا الحسيني قصيدة أنشأها المؤلف في رمضان سنة ١٣٣٥هـ في أسلوب رواية خيالية، ونشرت في جريدة (الزهرة) ومنها قوله:

لغة أُودِعَ في أصدافها ... من قوانين الهدى أبهى دُرَرْ
أَقَلم ينسجْ على منوالها ... كَلِمُ التنزيلِ في أسمى سور
هي بحرٌ غُصْ على حليتها ... فلآليْ البحرِ ليست تنحصر
فاض من نهر مبانيها على ... فصحاء العرب سيلٌ منهمر
فاسأل التاريخ ينبئك بما ... أنجبت أرض قريش أو مضر
من خطيب مِصْقَعٍ أو شاعر ... مُفْلِقٍ يسحب أذيال الفخر[٣]

إلى أن يقول:

---

١ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٤٢ .
٢ ـ انظر الإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع التونسي ص٢٥٠ .
٣ـ خواطر الحياة ص١١١.

لغةٌ قد عقد الدينُ لها ذِمَّةً يكلؤها كل البشرْ[١]

أو لم ينسج على منوالها كلمُ التنزيلِ في أرقى سورْ

يا لقومي لوفاءٍ إن مَنْ نكث العهد أتى إحدى الكبرْ

فأقيموا الوجه في إحيائها وتلافوا عقد ما كان انتشرْ[٢]

٣ـ الاستشهاد بالحديث في اللغة: وهو بحث قدمه الإمام إلى مجمع اللغة العربية ونشر في الجزء الثالث من مجلة المجمع الصادر في شعبان ١٣٥٥هـ، ونشر في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء الثالث من المجلد العاشر الصادر في شعبان ١٣٥٦هـ.

وهو بحث قيم يعز نظيره، وقد عالج من خلاله قضية طال حولها الجدل عند اللغويين والنحاة، وهي حجية الاستشهاد بالحديث النبوي في اللغة.

قال الشيخ الخضر في مقدمة ذلك البحث: «يستند علماء العربية في إثبات الألفاظ اللغوية، وتقرير الأصول النحوية إلى القرآن المجيد، وكلام العرب الخُلَّص، وجرى بينهم الخلاف في الاحتجاج بما يروى من الأحاديث النبوية، وحقيق بمجمع اللغة العربية أن ينظر في هذه المسألة، ويقطع فيها رأياً؛ فإن الكتب المؤلفة في الحديث وغريبه كثيرة، ومنها ما يبلغ مجلدات ضخمة.

ومتى رأينا أن الحق في جانب من يراها حجة كافية في اللغة كان مجال البحث في علوم اللغة أوسع، ووجدنا من المساعدة على إعلاء شأن اللغة ما لا نجده عندما نقصر الحجة في القرآن الكريم، وما يبلغنا من كلام عربي فصيح.

وهذا ما دعاني إلى أن بحثت هذه المسألة، وبذلت جهداً في استقصاء ما كتبه

١ـ هكذا في الأصل، ولعل الصحيح: يكلؤها رب البشر.

٢ـ خواطر الحياة ص١١٤، ودراسات في العربية وتاريخها ص١٦٧.

فيها أهل العلم، ثم استخلصت من بين اختلافهم رأياً»[١].

ثم بين في ذلك البحث: المرادَ من الحديث النبوي، وهل في الحديث ما لا شاهد له في كلام العرب؟ وتطرَّق للخلاف في الاحتجاج بالحديث، وذكر المانعين للاحتجاج، وبين وجهة نظرهم، ثم انتقل إلى وجهة نظر المجوزين، ومناقشتهم لأدلة المانعين، وأطال الحديث في ذلك[٢].

ثم ختم بحثه بتفصيل وترجيح؛ فبين أن من الأحاديث ما لا ينبغي الاختلاف في الاحتجاج به في اللغة، وهو ستة أنواع، وهي ما يروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته ـعليه الصلاة والسلامـ وما يروى من الأقوال التي كان يتعبد بها، أو أمر بالتعبد بها، وما يروى شاهداً على أنه كان يخاطب كلَّ قومٍ بلغتهم، والأحاديث التي وردت من طرق متعددة، واتحدت ألفاظها، والأحاديث التي دوَّنها مَنْ نشأ في بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة كمالك، وابن جريج، والشافعي، وما عرف من حال رواته أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى كابن سيرين، ورجاء بن حيوة.

فهو يرى أن هذه الأنواع مما لا ينبغي الاختلاف فيه في الاحتجاج، وضرب لكل نوع عدداً من الأمثلة[٣].

وبعد ذلك انتقل إلى الأحاديث التي لا ينبغي الاختلاف في عدم الاحتجاج بها، وهي الأحاديث التي لم تدوَّن في الصدر الأول، وإنما تروى في كتب بعض المتأخرين.

ولا يُحتج بهذا النوع من الأحاديث، سواء أكان سندها مقطوعاً، أم متصلاً، أما مقطوعة السند؛ فوجه عدم الاحتجاج بها واضح، وأما متصلة السند؛ فَلِبُعْدِ مدوِّنها عن الطبقة التي يُحتج بأقوالها.

وإذا أضيفت كثرة المولَّدين في رجال سند الحديث إلى احتمال أن يكون بعضهم

---

١ ـ دراسات في العربية وتاريخها ص١٦٨ .

٢ ـ انظر المرجع السابق ص ١٦٩ـ١٨١ .

٣ ـ انظر المرجع السابق ص ١٨١ـ١٨٢.

قد رواه بالمعنى ـ أصبح احتمال أن تكون ألفاظ النبي ـعليه الصلاة والسلامـ أو ألفاظ رواية الذي يحتج بكلامه قاصراً عن درجة الظن الكافي لإثبات الألفاظ اللغوية، أو وجوه استعمالها[١].

ثم بين الحديث الذي يصح أن تختلف الأنظار في الاستشهاد بألفاظه، وهو الحديث الذي دوِّن في الصدر الأول، ولم يكن من الأنواع الستة المُنَبَّه عليها آنفاً، وهو على نوعين: حديث يرد لفظه على وجهٍ واحد، وحديث اختلفت الرواية في بعض ألفاظه[٢].

ثم فصَّل القول في ذلك، وأنهى بحثه بخلاصة قال فيها: «وخلاصة البحث: أننا نرى الاستشهاد بألفاظ ما يروى في كتب الحديث المدونة في الصدر الأول، وإن اختلفت فيها الرواية، ولا نستثني إلا الألفاظ التي تجيء في رواية شاذة، أو يغمزها بعض المحدثين بالغلط، أو التصحيف غمزاً لا مرد له.

ويشد أزرنا في ترجيح هذا الرأي: أن جمهور اللغويين، وطائفة عظيمة من النحويين يستشهدون بالألفاظ الواردة في الحديث، ولو على بعض رواياته»[٣].

٤ـ **موضوع علم النحو:** وهو نقد لكتاب (إحياء النحو) لمؤلفه الأستاذ إبراهيم مصطفى، مجلة الهداية، الجزآن السابع والثامن الصادران في المحرم وصفر ١٣٥٧هـ.

٥ ـ **التضمين:** وهو بحث لغوي ألقاه الإمام في (مجمع اللغة العربية) ونشر في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء الخامس من المجلد السابع الصادر في ذي القعدة ١٣٥٣هـ.

٦ـ **تيسير وضع مصطلحات الألوان:** وهو بحث قدمه الإمام إلى المؤتمر الطبي العربي الثالث المنعقد في القاهرة في ذي الحجة سنة ١٣٥٨هـ لمناسبة انتدابه لتمثيل

---

١ ـ انظر المرجع السابق ص١٨٢.

٢ ـ انظر المرجع السابق ص١٨٢.

٣ ـ المرجع السابق ص١٨٢.

المجمع اللغوي في المؤتمر، ونشر في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزآن السابع والثامن من المجلد الثاني عشر، الصادران في المحرم وصفر ١٣٥٩هـ.

وهو بحث طريف تحدث فيه عن أسماء الألوان، والقابل للتصريف منها وغير القابل، وعن أسماء هيئات الأشياء المركبة من ألوان، والأسماء المراعى في معانيها لون، وأسماء إيجاد الألوان.

ثم ختم البحث بملَخَّص انتهى فيه إلى أن اللغة تسع بغزارة مفرداتها، ومساعدة أصول صرفها كلَّ ما يُحتاج إليه من المصطلحات العائدة إلى الألوان[١].

٧ـ **طرق وضع المصطلحات الطبية وتوحيدها في البلاد العربية**: وهو بحث قدمه الإمام إلى المؤتمر الطبي العربي المنعقد في القاهرة سنة ١٩٣٩م بصفته مندوب المجمع اللغوي، ونشر في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء الثامن من المجلد الحادي عشر الصادر في صفر ١٣٥٨هـ.

٨ـ **حول تبسيط قواعد النحو والرد عليها**: وهو ملاحظات من الإمام محمد الخضر على تقرير لجنة النظر في تيسير قواعد النحو، والصرف، والبلاغة، وقد نشر في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزآن الثاني والثالث من المجلد الحادي عشر ـ في شعبان ورمضان ١٣٥٧هـ.

٩ـ **الإمتاع بما يتوقف تأنيثه على السماع**: وهو بحث نشره الإمام في رُسَيْلةٍ مطبوعة، ونشر في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء السادس من المجلد الثاني عشر الصادر في ذي الحجة ١٣٥٨هـ، والجزء الأول من المجلد الثالث عشر الصادر في رجب ١٣٥٩هـ[٢].

---

١ ـ انظر دراسات في العربية وتاريخها ص ١٦٨ـ٢٣٧ .

٢ ـ انظر المرجع السابق ص ٢٣٨ـ٢٩٤ .

الحادي عشر: دراسات في اللغة: ويحوي على اثني عشر بحثاً جمعها الأستاذ علي الرضا الحسيني، وهي متممة لكتاب (دراسات في العربية وتاريخها).

وقد جاء كتاب (دراسات في اللغة) في مائة واثنتين وخمسين صفحة من الموسوعة[1]، واشتمل على الرسائل التالية:

١ـ **المجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة العربية:** وهو بحث نشر في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، الجزء الأول، تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٤م.

٢ـ **ومن وثّق من علماء اللغة ومَنْ طُعِن فيه:** وهو بحث نشر في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، الجزء الثاني عشر عام ١٩٦٠م.

٣ـ **اللهجات العربية في هذا العصر:** مذكرة قدمها الإمام إلى مجمع اللغة العربية في القاهرة، ونشرت في الجزء الثامن من المجلد الثالث عشر من مجلة (الهداية الإسلامية).

٤ـ **نيابة بعض الحروف عن بعض:** وهو بحث طرحه الإمام في مجمع اللغة العربية في القاهرة، ونشر في الجزأين السادس والسابع من المجلد السابع من مجلة (الهداية الإسلامية).

٥ ـ **الأمثال في اللغة العربية:** نشر في مجلة نور الإسلام، الجزء التاسع من المجلد الرابع.

٦ـ **وصف جمع غير العاقل بصيغة فعلاء:** اقتراح قدمه الإمام إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة، ونشر في الجزء التاسع من المجلد العشرين لمجلة الهداية الإسلامية.

---

١ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٦/٢٨٤٣ـ٢٩٩٤ .

٧ـ اسم المصدر في المعاجم: وهو بحث ألقاه الإمام في الجلسة التاسعة لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة ١٨ يناير ١٩٥٠م، وحصلت الموافقة على إحالته إلى لجنة الأصول، ونشر في الجزء الثامن من مجلة (مجمع اللغة العربية) ١٩٥٥م[١].

٨ـ شرح قرارات المجمع، والاحتجاج لها، تكملة مادة لغوية ورد بعضها في المعجمات ولم ترد بغيتها: وقد نشر في مجلة (مجمع اللغة العربية) الجزء الثاني مايو ١٩٣٥م.

٩ـ نقد اقتراح بعض الإصلاح في متن اللغة: نشر في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزآن التاسع والعاشر من المجلد السادس عشر.

١٠ـ نقد إعرابين جديدين في صيغة التحذير: وهو منشور في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء التاسع من المجلد الرابع عشر.

١١ـ ملاحظات على البحث المقدم عن موقف اللغة العامية من اللغة الفصحى: وقد قدمها الإمام إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة بصفته عضواً في المجمع، ونشرت في مجلة (الهداية الإسلامية) الأجزاء الأول، والثاني، والثالث، والرابع من المجلد الحادي والعشرين.

١٢ـ الألفاظ المؤنثة من طريق السماع: وهي تشتمل على قصيدة لابن الحاجب في الأسماء المؤنثة من كلام العرب من غير أن تكون فيها علامة تأنيث، وقد نشر في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء الخامس من المجلد العاشر[٢].

---

١ ـ انظر دراسات في اللغة ص ٤ـ٦١ .

٢ ـ انظر المرجع السابق ص ٦٢ـ١٥١ .

الثاني عشر: الخيال في الشعر العربي، ودراسات أدبية: وهو كتاب يقع في مائة وسبع وتسعين صفحة من موسوعة الأعمال الكاملة للإمام[١].

وهذا الكتاب يضم سبعة مباحث، وسمي باسم البحث الأول منه، وهو (الخيال في الشعر العربي)، وزيد في العنوان، فأصبح عنوان الكتاب (الخيال في الشعر العربي، ودراسات أدبية).

والتسمية الأولى هي عنوان كتاب مستقل، وقد سماه المؤلف بذلك الاسم (الخيال في الشعر العربي) وسيأتي الحديث عنه بعد قليل.

أما التسمية الأخيرة ـ الخيال في الشعر العربي، ودراسات أدبية ـ فهي من وضع الناشر الأستاذ علي الرضا الحسيني الذي يقول في مقدمته: «للإمام الأكبر العلامة محمد الخضر حسين ـ رضوان الله عليه ـ نفحات أدبية من قلم بليغ، تناول فيها من عالم الأدب مواضيع أساسية، يقوم عليها صرح الأدب العربي.

وفي هذا الكتاب ضممنا الدراسات الأدبية التي وضعها الإمام في مختلف فنون الأدب، والعنوان: (الخيال في الشعر العربي) هو عنوان البحث الأول والأطول والأقدم في هذا الكتاب، لا سيما وأن بحث الخيال في الشعر العربي قد طبع برسالة صغيرة، وقد عرفت هذه الرسالة لدى رجالات الأدب والعلم منذ مطلع حياة الشيخ رحمه الله.

وإلى بحث الخيال هذا جمعنا مقالاتٍ ومحاضرات في الأدب، منها: ما كتبه في مجلة (نور الإسلام) التي كانت تصدر عن الأزهر الشريف، وقد رأس تحريرها فترة من الزمن، ومنها: محاضرات في جمعية الهداية الإسلامية، ومقالات نشرت في مجلة (الهداية الإسلامية) التي كان يصدرها في القاهرة.

---

١ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٧/٣٠٠٧ـ ٣٢٠٣.

والله نسأل أن نكون قد وفقنا لجمع تراث المؤلف الأدبي في هذا الكتاب».[١]

أما البحوث التي ضمها هذا الكتاب فهي ثمانية، وهي كما يلي:

١ ـ الخيال في الشعر العربي: وهو البحث الأول والأطول ويقع في ثمان وستين صفحة من الموسوعة[٢].

يقول الشيخ الخضر في مقدمة كتابه هذا: «أما بعد فيرتفع الشعر، ونقضي لصاحبه بالبراعة والتفوق على غيره بمقدار ما يحرز من بناء محكم، ومعنى بديع، وقد حدَّق فلاسفة الأدب أنظارهم إلى الوجوه التي تملك بها المعاني شرف منزلتها، وحسن طلعتها، أو تأخذ منها الألفاظ متانة نسجها، وصفاء ديباجتها.

ومن أجمل الفنون التي يرجع النظر فيها إلى جهة المعنى: صناعة التخييل، وهي الغرض الذي جرَّدْتُ القلم للبحث عنه في هذه الصحائف متحرياً أسلوباً لا يشتكي منه القارئ طولاً ولا قصراً».[٣]

إلى أن قال رحمه الله: «ولا أدعي أن هذا الفن مما ضل عن أولئك الفلاسفة، فلم يُعَرِّجوا على مكانه، أو صعب عليهم مراسه؛ فلم يسوسوه بفكر ثاقب، وبيان فاصل؛ فإن كثيراً من علماء البلاغة قد ولوا وجوهم شطره حتى توغلوا في طرائقه، وكشفوا النقاب عن حقائقه.

ومن أبعدهم نفوذاً في مسالكه الغامضة، وأسلمهم ذوقاً في نقد معانيه، وتمييز جيدها من رديئها: الإمام عبدالقاهر الجرجاني صاحب كتابي: (أسرار البلاغة)، و (دلائل الإعجاز).

---

١ ـ انظر الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية ص٣.

٢ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٣٠١٠/٧ـ٣٠٧٧.

٣ ـ الخيال في الشعر العربي ص٤.

وما كان لي سوى أن أعود إلى مباحثه المبثوثة في فنون شتى، فأستخلص بقدر ما تسمح به الحال لُبابها، وأؤلف بين ما تَقَطَّع من أسبابها.

ولا تجدني ـ إن شاء الله ـ أحكي مقالهم دون أن أعقد بناصيته، أو أبث خلاله، أو أضع في ردفه جملاً تلبسه ثوباً قشيباً، أو تنفخ فيه روحاً كانت هادئة».[١]

ولقد فرغ الشيخ من تأليف ذلك الكتاب في شعبان ١٣٤٠هـ.

وقد احتوى بعد مقدمة الشيخ على المباحث التالية:

ـ الشعر ـ التخييل عند علماء البلاغة ـ التخييل عند الفلاسفة ـ ماذا نريد من التخييل؟ ـ تداعي المعاني ـ لماذا تختلف الأفكار في تداعي المعاني؟ ـ التخييل التحضيري ـ التخييل الإبداعي ـ فنون الخيال ـ حال المعنى والتخييل ـ أسباب جودة الخيال ـ بماذا يفضل التخييل؟ ـ التفاضل في التخييل ـ الغرض من التخييل ـ أطوار الخيال ـ خاتمة.

وهذا الكتاب من أعظم ما ألف في بابه، يقول الأستاذ أبو القاسم محمد كرو متحدثاً عن هذا الكتاب: «وفي مجال البحث الأدبي القائم على التحليل والمقارنة كان له فضل السبق إلى موضوع طريف ومبتكر، وخاصة بشكل كامل ومستقل.

وحتى صاحبنا الشهير أبو القاسم الشابي في كتابه (الخيال الشعري عند العرب) كان متأخراً عنه، مترسماً خطاه، وإن لم يقلده، أو يجاريه مما ذهب إليه».[٢]

ويقول الأستاذ محمد مواعده متحدثاً عن هذا الكتاب وسبب تأليفه: «كان الشيخ محمد الخضر شديد الاهتمام بعلم البلاغة منذ تعلمه بجامع الزيتونة.

وقد قام بتدريسه في نفس المعهد؛ فكانت دروسه عن (المثل السائر) لابن الأثير مقصد التلاميذ لذلك العهد.

---

١ ـ الخيال في الشعر العربي ص ٤ـ٥.

٢ ـ الإمام محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر ص١٠٤.

كما قام بتدريس كتابي (أسرار البلاغة) و (دلائل الإعجاز) للشيخ عبدالقاهر الجرجاني بالمدرسة السلطانية بدمشق.

وقد تأثر شديد التأثر بنظريات هذا العالم الشهير؛ فظهر ذلك جلياً في محاضراته وبحوثه اللغوية والأدبية.

ولهذا فلا غرابة أن يهتم الرجل بالخيال الشعري، ويعتمد في بحثه على ما قاله القدماء وخاصة صاحب (أسرار البلاغة)».[١]

ولقد طبع كتاب (الخيال في الشعر العربي) بالمطبعة الرحمانية على نفقة وعناية المكتبة العربية في دمشق في شعبان عام ١٣٤٠هـ، وكان صاحبه قد نشره تباعاً في مجلة المنار، ثم أعاد طبعه الأستاذ علي الرضا الحسيني سنة ١٩٧٢م[٢] ثم ضمنه ـكما مرـ موسوعة الأعمال الكاملة للإمام.

٢ـ **الشعر البديع في نظر الأدباء**: وهو بحث منشور في مجلة (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) الجزء الحادي عشر عام ١٩٥٩هـ.

وقد تكلم فيه على حقيقة الشعر، والشعر عند البلغاء، وإدراك الشعراء لبراعة الشعر، والعلماء والشعر، وبراعة الشعر عند الخلفاء، وآثار الشعر.

٣ـ **أثر الشعر في الترويح عن النفس، وإثارة العواطف الشريفة**: وهو محاضرة للإمام في الإذاعة بالقاهرة يوم الثلاثاء ١٣٥٥/٨/١١هـ ونشرت في الجزء الثالث من المجلد التاسع، مجلة (الهداية الإسلامية).

---

١ ـ محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٧٣ـ١٧٤.

٢ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٧٤.

٤ـ **نموذج من نقد الشعر**: وهو محاضرة ألقيت بجمعية الهداية الإسلامية بالقاهرة، ونشرت في مجلة (نور الإسلام) العدد التاسع في المجلد الأول، رمضان ١٣٤٩هـ، واشتمل على تمهيد، ووجوه النقد، والنقد اللفظي، والنقد المعنوي.

٥ ـ **الشعر المصري في عهد الدولة الأيوبية**: وهو محاضرة للإمام في محطة الإذاعة في القاهرة، ونشرت في الجزء السادس من المجلد التاسع، مجلة (الهداية الإسلامية) لعام ١٣٥٥هـ.

٦ـ **نظرة في شعر حسان بن ثابت**: وقد نشر في مجلة (الهداية الإسلامية) الجزء الحادي عشر من المجلد الحادي عشر.

وقد تضمن الحديث عن سمو مكانة حسان في الشعر، والفخر، والمديح، والهجاء، والنسيب، والحكمة في شعره[١].

٧ـ **الخطابة عند العرب**: وهي محاضرة ألقاها الشيخ في نادي جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة مساء الأربعاء ١٣٤٦/١١/٥هـ، وطبعت في ثمان وثلاثين صفحة بالمطبعة السلفية في نفس العام، ونشرت في مجلة (الفتح) في العددين ٩٤ و ٩٥ لعام ١٣٤٦هـ.

وقد ضمنها الأستاذ علي الرضا الحسيني موسوعة الأعمال الكاملة، فجاءت في ثماني عشرة صفحة[٢].

وهذه المحاضرة من أبدع ما ألف في بابها، وهي ناتجة عن اهتمام الشيخ الخضر بفن الخطابة منذ شبابه؛ لأنها ـ في نظره ـ مظهر من مظاهر العظمة والإبداع، وعامل من عوامل الإصلاح.

---

١ ـ انظر الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية ص ٧٢ـ١٣٧ .

٢ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٣١٤٧/٧ـ٣١٦٥ .

وهو الذي نَظَّر لها، ومارسها؛ فكان لخطبه التأثير البالغ في مناسبات عدة، وخاصة عند تأسيس (الجمعية الزيتونية) سنة ١٩١٠م، أو عندما طالبَ تلاميذَ جامعِ الزيتونة بإصلاح التعليم وتطويره.[١]

ولقد تعرض في هذه المحاضرة لماهية الخطابة عند المناطقة، وعند الأدباء والبلغاء العرب، وقيمتها لديهم باعتبارها وسيلةً من وسائل السيادة والزعامة والشرف.

كما تحدث عن تأثير الخطابة، وأطوارها، وأسباب ارتقائها، وتعلمها، وإعطاء الحروف حقَّها، وحسنِ الإلقاء، والإشارةِ في الخطابة، والقيامِ بمكان مرتفع حال الخطابة، والإرتاجِ في الخطابة، والارتجال فيها.

فهذا هو خلاصة ما تعرض له في تلك المحاضرة الشهيرة[٢].

٨ـ نشأة علم البلاغة: وهما محاضرتان ألقاهما في جمعية الهداية الإسلامية، وقد نشرت الأولى في مجلة (الهداية الإسلامية) في الأجزاء العاشر، والحادي عشر، والثاني عشر من المجلد الأول لعام ١٣٤٨هـ.

وأما المحاضرة الثانية فنشرت في الجزأين الثاني والثالث من المجلد الثاني ـ مجلة الهداية الإسلامية ـ.

الثالث عشر: ديوان: خواطر الحياة: وهو ديوان شعر الشيخ محمد الخضر حسين الذي جمع فيه معظم قصائده، فالشيخ رحمه الله قد تذوق الشعر منذ صباه ـ كما مر عند الحديث عن حياته ببلدة نفطة ثم بتونس ـ.

وقد حاول نظم الشعر وسِنُّه لم تتجاوز الثانية عشرة، ثم انقطع إلى طلب العلم، وتغلب ارتياحُه له على ارتياحه للأدب حتى زهد في صناعة النظم.

---

١ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص ١٤٦ـ١٤٧.

٢ ـ انظر الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية ص ١٤١ـ١٥٩ .

ولقد مر في صفحات ماضية قِطعٌ تدل على شاعريته الفذة.

ولما انتقل إلى البلاد الشرقية صرف همته إلى العلم، والعمل لخدمة الإسلام.[١]

يقول رحمه الله في مقدمة ديوانه: «ولقلة إقبالي على نظم الشعر، أو لأنني كنت أرى أن ما أنظمه منه ليس أهلاً لأن يحتفظ به لم يصحبني منه عندما رحلت من تونس إلى الشام غير شذرات علقت بذاكرتي، أو شذرات وجدتها مبعثرة في كتب استصحبتها في رحلتي.

نزلت دمشق وللشعر فيها سوق غير كاسدة، ولكني آثرت أن أصرف القريحة في البحث العلمي، أو في العمل للقضية الإسلامية بقدر ما أستطيع.

وربما نزعت نفسي إلى أن أقول شعراً، فأرخي لها العنان، وأقول: هو فن من فنون الأدب الجميل، وللنفس فيه سلوة، ولا سيما شعراً أطرقُ به ناحية خُلُقِية، أو أشارك به العاملين إصلاح الحالة المدنية، أو أودِعُه صورةَ معنىً لا أَذْكُر أني لمحته فيما طالعته من المنشآت الشعرية أو النثرية.

ثم هبطتُ مصر وكانت صناعة القريض قد ارتقت فيها إلى ما يطمح إليه الشاعر العبقري؛ فازددت زهداً في النظم، وقلت يومئذ: أَجودُه ليس في متناول قريحتي، وغير الأجود تتسامى عنه همتي.

وربما خطرت لي صور من المعاني في أوقات أبتغي فيها راحة؛ فألبسها ثوباً من الكلام الموزون».[٢]

إلى أن قال: «ولم يلمَّ بخاطري في يوم أن أجمع ما نظمته، وأخرجه للناس، حتى اقترح علي طائفة من إخواني الفضلاء أن أجمعه من أوراقه المتفرقة، وأصدره إلى عالَم الأدب في صفحات متتالية، فما وسعني إلا أن تقبلت اقتراحهم، وقلت: هو كلام

---

١ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٨٢.

٢ ـ خواطر الحياة ص٧.

موزون، إن لم يجد فيه الأديب ما يروقه من لفظ أنيق، أو معنى رشيق ـ فقد يرى فيه المؤرخُ أشياء يهمه أن يتعرفها من مصادر متعددة.

وعمدت إلى ما نُشر في بعض الصحف، أو احتوته بعض المذكرات، وضممت بعضه إلى بعضه، مرتباً له على حروف المعجم، ومنبهاً على المناسبة التي دعت إلى نظم القصيدة أو المُقَطَّعة، ثم عَرَضْتُ على من اقترحوا عَلَيَّ جَمْعَه، فأطلقوا عليه اسم: ديوان، ولقبوه بـ: (خواطر الحياة)».[1]

ولقد طبع هذا الديوان أول مرة سنة ١٣٦٦هـ، وعلق عليه الشيخ محمد علي النجار الأستاذ بكلية اللغة العربية، وعنيت بنشره المطبعة السلفية.

ثم أعاد نَشْرَه، وعَلَّق عليه الأستاذُ علي الرضا الحسيني، وطبعه أكثر من طبعة، ولعل آخرها عام ١٤١٠هـ.

ثم طَبَعَهُ ضمن موسوعة الأعمال الكاملة، وجاء في مائتين وتسع وخمسين صفحة، واشتمل على مائة وتسع وتسعين قصيدة ومقطعة[2].

وأغلب هذا الديوان من المقطعات التي تحوي البيتين أو الثلاثة، أو الستة، أو نحوها.

والقصائد الطويلة في الديوان قليلة جداً.

وتدور أغراض شعره حول تمجيد الإسلام، وتاريخه، ولغة العرب، وتهنئة الأصدقاء، ورثاء الأقارب والأحباب، والشيوخ.

كما تناول في شعره الإخوانيات، والقضايا الوطنية والسياسية، والوصف، والوجدانيات، والاجتماعيات.

---

١ ـ خواطر الحياة ص٧ـ٨.

٢ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٧/٣٢٠٥ـ٣٤٦٣.

كما نظم كثيراً من القصائد في موضوع الصداقة والصديق، وضمنها جملة من آرائه في الصداقة، وأهميتها، وفضائلها، وما يعتريها، وتعرض إلى خصال بعض أصدقائه، وصلاته المتينة بهم كصديق عمره العلامة محمد الطاهر بن عاشور، وصديقه الحميم أحمد تيمور باشا وغيرهما.

ولم ينس وطنه السليب؛ حيث أودع ديوانه الحنين إلى تونس، وإظهار الألم للبعد عنها.

ولم يغب عن باله الاستعمار، فَصَبَّ عليه شواظاً من نيران شعره؛ فذمَّ من خلاله المستعمرين، وسياستهم المستبدّة الغاشمة.

ولطالما تغنى في ديوانه بالحرية، وبيَّن مفهومها الحق، وطالب بها.

كما نظم في الصدق، والإيثار، والعزة، والهمة، والتُّقى وغيرها من المحامد.

كما تعرض إلى ذم كثير من الأخلاق المرذولة كالكذب، والملق، والرياء ونحوها.

أما الهجاء، والغزل، ومديح الملق فقد خلا ديوانه منها.

وربما قال بعض القصائد في الهجاء في مطلع حياته، ولكنه لم يُوْدِعْ ما قاله في ديوانه، بل أعرض عن ذلك.[1]

كما أنه تناول الأغراض الاجتماعية، وانطوى شعره على التأمل، والحكمة، وتميز بالجزالة، والفخامة، وشدة الأسر، وقوة السبك.

---

١ ـ ومما أعرض عنه قوله في شيوخ النَّظارة الذين سعوا إلى إسقاطه في الامتحان لما كان في تونس؛ نتيجة وجود بعض العوامل الشخصية، والميول الخاصة التي جعلت الشيوخ لا يعتمدون على مقاييس الكفاءة العلمية مما أدى بالشيخ إلى قول البيتين المشهورين:

عجباً لهاتيك النظارة أصبحت ... كالثوب بين أنامل (القصَّار)

وأنامل (القصار) تعبث مثلما ... لاتٍ تحركها يد (النجار)

ويعني بهما الشيخ (القصار) والشيخ (النجار) من كبار شيوخ الزيتونة، وهما من هيئة نظارة الجامع الأعظم. انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص٥١ـ٥٢.

وعلى كل حال فإن ديوان (خواطر الحياة) زيادة على كونه إضافة أدبية هو ـفي الوقت نفسهـ وثيقة مهمة تفيد الباحث في التعرف على كثير من المعطيات التاريخية، والنظريات الثقافية، والاجتماعية، والسياسية التي تشغل بال هذا الإمام، وبال غيره من العلماء والمثقفين المعاصرين له، والمهتمين بشؤون العالم الإسلامي وقضاياه.

كما يتبين من خلال هذا الديوان قيمة صاحبه الشعرية، ومدى إجادته هذا الفن الأدبي من حيث الإطار، ومن حيث المضمون كما أجاد في مؤلفاته النثرية.[١]

وفيما يلي إيراد لبعض مقطوعاته وأبياته التي تؤكد شيئاً مما مضى ذكره:

قال في مقطوعة بعنوان (رفقاً بها)، وقد قالها في تونس مداعباً أستاذه الشيخ سالم بو حاجب بعد درس تَعَرَّض فيه إلى حكم التضحية بالظباء:

مدَّ في وجرةَ الحِبَالةَ يبغي ... قَنَصاً والظِّباء ترتع مرحى[٢]

صادها ظبيةً وهمَّ بأن يصـ ... ـرعَها كالخروف في عيد أضحى

قلت: رفقاً بها ولا تُرْهِقَنْها ... وهي ترنو إليك صرعاً وذبحا

ما أظن السكّين ترضى وفيها ... حِدَّةٌ أن تخط في الجيد جرحا

خلِّ عنها فَعَيْنُها أذكرتنا ... عين أسماء وهي بالبشر طفحى[٣]

٢ـ وقال في مقطوعة عنوانها (الصداقة والعزلة):

أريد أخاً كالماء يجري على الصفا ... نقياً فيصفو لي على القرب والبعد

وأرسلت لَحْظَ الفكرِ في القوم ناقداً ... وأوصيته ألا يبالغ في النقد

فلا ضير في ودٍّ تغاضيت فيه عن ... لواذعَ يأتيها الصديق بلا عمد

---

١ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٩٠.

٢ ـ وجرة: مرتع للوحش، والحبالة: المصيدة، والقنص: الصيد.

٣ ـ خواطر الحياة ص ٥٩ـ٦٠.

فعاد وكم لاقى لساناً مماذقاً ومن خلفه قلبٌ خليٌّ من الود
ولولا ارتياحي للنضال عن الهدى لفتَّشْت عن وادٍ أعيش به وحدي[١]

٣ـ وقال في مقطوعة عنوانها (الدعاء للميت خير من تأبينه) وقد قالها في مستشفى فؤاد الأول بالقاهرة في ربيع الآخر سنة ١٣٦٨هـ، وفي ضمنها معنى من معاني الوفاء، ألا وهو الدعاء للميت؛ فهو خير ما يقدمه الصاحب لصاحبه بعد موته.

وهذه المقطوعة من أجمل ما قيل في هذا المعنى من شعر؛ يقول رحمه الله :

تسائلني هل في صحابك شاعرٌ إذا متُّ قال الشعرَ وهو حزينُ
فقلت لها: لا همَّ لي بعد موتتي سوى أن أرى أخراي كيف تكون
وما الشعر بالمُغْني فتيلاً عن امرئٍ يلاقي جزاءً والجزاءُ مُهين
وإن أَحْظَ بالرُّحمى فماليَ من هوىً سواها وأهواء النفوسِ شجون
فَخَلِّ فعولنْ فاعلاتنْ تقال في أناس لهم فوق التراب شؤون
وإن شئت تأبينيْ[٢] فدعوةُ ساجدٍ لها بين أحناء الضلوع حنينُ[٣]

٤ـ وقال في قصيدة عنوانها: «القلب كالرحى»:

لا تُخْلِ نَفْسَكَ مِنْ فكر تجول به في الصالحات فَحَبْسُ الفكر يضنيها
والقلب إن لم يدر يوماً على رشد دارت عليه هموم عَزَّ راقيها
مِثْلُ الرحى إن تُدِرْها وهي خاويةٌ من الطعام فإن الطحن يرديها[٤]

---

١ ـ خواطر الحياة ص ٧٧ـ٧٨ .
٢ ـ التأبين: الثناء على الميت.
٣ ـ خواطر الحياة ص ٢٢٤ـ٢٢٥.
٤ ـ خواطر الحياة ص ٢٣٩ـ٢٤٠ .

وله أبيات شاردةٌ ضِمْنَ كثيرٍ من قصائده، ومن ذلك قول:

وما أبصرت عيناي أجمل من فتىً ... يخاف مقامَ اللهِ في الخلوات[١]

وقوله:

وإذا الخصمان لم يهتديا ... سنة البحث عن الحق غبر[٢]

وقوله:

ما زكا تفاح لبنان على ... حسك السعدان في ذوق مذرْ

واستوى في نظر الأعشى ضحىً ... زهر روض وهشيم المحتظرْ[٣]

وقوله عندما دخل القطار في بساتين دمشق لأول مرة عام ١٣٣١هـ:

لج القطار بنا والنار تسحبه ... ما بين رائق جنات وأنهار

ومن عجائب ما تدريه في سفر ... قومٌ يقادون للجنات بالنار[٤]

وقوله:

ولرب أمٍّ أملت في طفلها ... همم الملوك فقام يحدو العيسا[٥]

وقوله:

ونفاسة الأشياء في غاياتها ... فاحمد رماءك إن أصبت نفيسا[٦]

وبالجملة فالديوان حافلٌ بالقصائد والمقطعات التي تحتاج إلى مزيد بحث، ودراسة، وتحليل.

---

١ ـ خواطر الحياة ص ٤٨.
٢ ـ خواطر الحياة ص ٩٧.
٣ ـ خواطر الحياة ص٩٩.
٤ ـ خواطر الحياة ص١٠٨.
٥ ـ خواطر الحياة ص١١٧.
٦ ـ خواطر الحياة ص١٢٠.

الرابع عشر: نقض كتاب في الشعر الجاهلي: هذا الكتاب أحد روائعِ الشيخ محمد الخضر حسين، وكتبِهِ الخالدةِ التي ظهر فيها فضله، وتَجَلَّتْ عبقريته، وقوةُ عارضته، وتفننُه في العلوم.[١]

وقصة هذا الكتاب تبدأ ولا تكاد تنتهي؛ إذ هي قصة ذات ذيول طويلة لا تزال تثار إلى يومنا هذا، ولا يكاد يُذكر طه حسين إلا ويذكر كتابه (في الشعر الجاهلي)، ويذكر معه نقض الشيخ الخضر له.

وقصة هذا الكتاب تبدأ حين ألقى الدكتور طه حسين محاضرات (في الشعر الجاهلي) على طلاب كلية الآداب في الجامعة المصرية، ثم جمع تلك المحاضرات في كتاب يقع في مائة وثلاث وثمانين صفحة، ويحتوي على ثلاثة أبواب وستة عشر فصلاً، وذلك عام ١٣٤٤هـ.

وقد بحث فيه المؤلف شعر العرب الجاهليين من حيثُ تمثيلُه لحياتهم، وتقديم صورة واضحة للمظاهر العقائدية واللغوية، والاجتماعية لها.

وقد انتهى المؤلف طه حسين إلى أن أغلب الأشعار الجاهلية لا تعبر عن واقع مجتمعهم، وأنها منتحلة لأسباب دينية، وسياسية، واجتماعية.

وقد تخلل هذا الكتابَ طعنٌ في كثير من المسلمات، والحقائق الشرعية، والتاريخية، والأدبية.

واشتمل على خلل في المنهج، والاستشهاد، والتوثيق، كما احتوى على كثير من التناقضات والآراء الشاذة، إلى غير ذلك مما لا يسع المقام لذكره.[٢]

---

١ ـ انظر أحاديث في رحاب الأزهر ص٢٣٨.

٢ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٦٢ـ١٧٠.

ولقد آثار هذا الكتابُ ضجةً كبرى في مصر، وأهاج الرأي العام في العالم الإسلامي؛ فتناوله العلماء، والكتاب، والأدباء في شتى الأقطار الإسلامية بالرد والتفنيد، وأُلفت كتبٌ في نقده، وقُدِّمَتْ بلاغات إلى النيابة العمومية في مصر ضد مؤلفه.

وليس المهم ههنا بسط ما حصل إبان تلك الفترة مما صاحب صدور ذلك الكتاب؛ إذ المقام ليس مقام إطالة وتفصيل في هذا الشأن.

وإنما المقصود ههنا هو موقف الشيخ محمد الخضر حسين من الكتاب المذكور؛ فلقد ألف رحمه الله كتابه (نقض كتاب في الشعر الجاهلي) ونشرته المطبعة السلفية في القاهرة في ثلاث مائة واثنتين وستين صفحة تشتمل على ثلاثة أبواب، وستة عشر فصلاً -أي نفس التقسيم الذي اتبعه طه حسين- ثم أعادت طبعه: المكتبة الأزهرية للتراث[1].

وقد افتُتِحَ ذلك الكتاب بمقدمة للشيخ عبدالرحمن قراعة مفتي الديار المصرية الذي أبدى رأيه في الكتاب، وأشار فيه إلى أن الباطل ما برح يحارب الحقيقة الإسلامية بسيوفه المغلولة، وشبهاته الضئيلة.

إلى أن قال: «وقد عاد اليوم إلى جولة اليوم يدفعه إليها نفر من المتأثرين بكتب الداعين إلى معاداة دين سيد المرسلين سقطوا على ما فيها من أنظار قرائنا، وأسماع الطلاب من أبنائنا زاعمين أنه بضاعة جديدة هي ثمرات قرائحهم، ونتائج أفكارهم، محاولين بذلك تقويض بناء قامت فضائله الشامخة على أساس متين من الحقائق الراسخة؛ فاستاء من عملهم هذا أهل العلم الصحيح والأدب الصريح».[2]

---

١ ـ وقد صدر عام ١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٧م.

٢ ـ نقض كتاب في الشعر الجاهلي للشيخ محمد الخضر حسين، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ص: ج-د

ثم أشار إلى كتاب طه حسين فقال: «ومن هذه الكتب رسالة عنوانها (في الشعر الجاهلي) عرف صاحبها بالتعصب لكل ما فيه كيدٌ للإسلام، وحطٌّ من جلاله وفضائل عظائمه وآله.

وقد احتوت هذه الرسالة على مزاعم وأباطيل يجمعها وصف واحد، وهو الاستخفاف بالحقائق، والتعصب لعقيدة خاصة افتتن مؤلف الرسالة بها».[١]

ثم أشار إلى رد الشيخ محمد الخضر، وأثنى عليه فقال: «فانبرى له حضرة العالم المحقق، والفهامة المدقق السيد محمد الخضر حسين التونسي من علماء الجامع الأزهر بمصر، وجامع الزيتونة بتونس؛ فحلل هذه الرسالة تحليلاً علمياً نزيهاً رد فيه ما انتحله إلى أهله، وعاد به إلى أصله، ودحض الأباطيل بالأدلة الواضحة، ونبه إلى مغامز الكتاب المردود عليه، ودل على المرامي التي يرمي إليها، وأبان عن مواطن ضعفه، ومكامن سخفه».[٢]

ثم ختم كلمته بقوله: «ولعمري إنه قد خدم بهذا العمل الجليل العلم المتين، والأدب الرفيع خدمة تحول بها شرُّ الكتاب المردود عليه إلى خير».[٣]

ولا ريب أن هذا الرأي من مفتي الديار المصرية يعد وثيقة مهمة تُبَيِّن أن السبب الأول الذي دعا المؤلف إلى الرد على طه حسين هو سبب ديني أكثر منه أدبي ولغوي.

كما تبين قيمةَ الشيخِ الخضر العلمية، وتقديرَ أبرزِ شيوخ مصر لكفاءته، وسعة معارفه في اللغة، والأدب، والشريعة، وغيرها.[٤]

---

١ ـ المرجع السابق ص :د.

٢ ـ المرجع السابق ص :د.

٣ ـ المرجع السابق ص :د.

٤ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٦٢ـ١٦٣.

وبعد تقريظ الشيخ عبدالرحمن قراعة قَدَّم الشيخ الخضر لكتابه بمقدمة تليق بذلك الرد؛ إذ كان حاضراً في ذهنه خطورةُ ذلك الكتاب، وأنه ـ في نظره ـ مشروعٌ تنظيريٌّ للمد التغريبي، وطمس هُوية الأمة؛ فقدم الشيخ مقدمة تبين ما ينبغي أن يكون عليه مشروع الأمة الثقافي، وكيفية مواجهة ذلك المد التغريبي.

يقول رحمه الله في مطلع مقدمته: «نهضت الأمم الشرقية فيما سلف نهضة اجتماعية ابتدأت بطلوع كوكب الإسلام، واستوثقت حين سارت هدايته سيرها الحثيث، وفتحت عيون هذه الأمم في طريقة الحياة المثلى.

سادت هذه النهضة، وكان لها الأثر الأعلى في الأفكار والهمم والآداب.

ومن فروعها: نهضة أدبية لغوية جعلت تأخذ مظاهرها العلمية لعهد بني أمية، واستوت على ساقها في أيام بني العباس.

أمسِكْ بيدك كتب التاريخ والأدب ملتمساً الحقيقة بذكاء موزون، وقَلْب سليم؛ فلا أحسبك تصدر عنها إلا بنفس مطمئنة لإجلال أولئك الذين درسوا أدب اللغة، وخاضوا في فنونه، فأمتعوا البحث، وكانوا القدوةَ الحسنةَ في حسن التصرف وحكمة البيان»[1].

وبعد أن بيَّن ما كانت عليه الأمة من عز انتقل إلى ما أصابها من وهدة الخمول، وأسبابِ ذلك، فقال: «تمتع الشرق بنهضته الاجتماعية والأدبية حقباً، ثم وقف التعليم عند غاية، وأخذ شأناً غير الشأن الذي تسمو به المدارك، وتنمو به نتائج العقول؛ فإذا غفوةٌ تَدِبّ إلى جفون هذه الأمة، ولم تَكَدْ تستفيق منها إلا ويَدٌ أجنبيةٌ تقبض على زمامها»[2].

ثم انتقل بعد ذلك إلى أن بعض أولي الحكمة هبّوا «يُقَلِّبون وجوههم في العلل التي مست أمم الشرق؛ فقعدت بهم سنين عدداً، وبعثوا أقلامهم من مراقدها

---

١ ـ نقض كتاب في الشعر الجاهلي ص٦ .

٢ ـ المرجع السابق ص٦ .

تصف هذه العلل، وتنذر الناس موتة اليأس والجبن والخمول، وتلقي عليهم دروساً في أسباب الحياة، ووسائل الخلاص»[١].

ثم انتقل بعد ذلك إلى المعركة بين الشرق والغرب، والقديم والجديد، وما ينبغي أن تكون الحال عليه، فقال: «التفت الشرق إلى ما كان في يده من حكمة، وإلى ما شاد من مجد، وإلى من شبَّ في مهده من أعاظم الرجال، أخذ ينظر إلى ماضيه ليميز أبناؤه بين ما هو تراث آبائهم، وبين ما يقتبسونه من الغرب، وليشعروا بما كان لهم من مجد شامخ، فتأخذهم العزة إلى أن يضموا إلى التالد طريفاً، وليذكروا أنهم ذرية أولئك السراة، فلا يرضوا أن يكونوا للمستبدين عبيداً.

أنشأ أولو الأحلام الراجحة من الزعماء والكتّاب، يأخذون بما يظهر من جديد صالح، ولا ينكثون أيديهم من قديم نافع، فاستطاعوا بهذه الحكمة والروية أن يسلكوا قلوب الأمة في وحدة، ويَخْطُوا بها إلى حياة العلم والحرية والاستقلال»[٢].

إلى أن قال: «نظر إلى هذه النهضة الزاكية مَنْ لا يرغبون في تقدم هذه الأمم إلى خلاصها ولو خطوة، وعرفوا أن بأيدي هذه الأمم كتاباً فيه نظم اجتماعية، وآيات تأخذ في شرط إيمانهم به ألاّ يلينوا لسلطة شأنها أن تسوسهم على غير أصوله، فما كان من هؤلاء القوم الذين يَسْتَحِلّون إرهاق الأمم إلا أن يبتغوا الوسيلة إلى فتنة القلوب وصرفها عن احترام ذلك الكتاب.

والغايةُ تقويضُ بناءِ هذه الوحدة السائرة بنا إلى حياة سامية، وعزّ لا يبلى»[٣].

ثم تَخَلَّصَ من ذلك إلى الحديث عمن يريدون طمسَ هُوِيةِ الأمة باسم حرية الفكر، فقال: «فسقت طائفة عن أدب الإسلام، وأرهفت أقلامِها؛ لتعمل على هذه الخطة الخاذلة، غير مبالية بسخط الأمة، ولا متحرجة مما سينطق به التاريخ من

١ـ المرجع السابق ص٦ـ٧.

٢ـ المرجع السابق ص٧.

٣ـ المرجع السابق ص٧.

وضع يدها في يدٍ خفيةٍ، لا شأن لها إلا نصب المكايدِ لأمة كان لها العزمُ النافذُ، والكلمة العليا.

تلهج هذه الطائفة باسم حرية الفكر، وهي لا تقصد إلا هذا الفنَّ الذي أكبت عليه صباحها ومساءها، وهو النَّيل من هداية الإسلام، والغضُّ من رجال جاهدوا في سبيله بحجة وعزم وإقدام.

يكفي شاهداً على رياء هؤلاء الرهط: أنهم يقيمون مآتم يندبون فيها حرية الفكر، ثم ينصرفون ويقولون فيما يكتبون: للحكومة أن ترهق الشعب، وترغمه على ما تراه أمراً لائقاً.

ولو سبق ظنك إلى أن مؤلف كتاب (في الشعر الجاهلي) هو عينُهم الناظرة، وسهمهم الذي يرمون به في مقاتل أمتهم الغافلة ـ لخلَّيت بينك وبين هذا الظن؛ إذ ليس لي على هذه الظنون الغالبة من سبيل»[1].

وبعد ذلك بين الغاية من ذلك الرد، فقال: «فالقلم الذي يناقش كتاب (في الشعر الجاهلي) إنما يطأ موطئاً يغيظ طائفة احتفلت بهذا الكتاب، وحسبته الطعنة القاضية على الإسلام وفضل العرب.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا﴾ الأحزاب: ٢٥ »[2].

وبعد ذلك انتقل إلى مقدمة ثانية؛ فَلَعلَّه عَدَّ الأولى تمهيداً، وتوطئة.

وفي مقدمته الثانية بعد البسملة، والحمدلةِ قال معرفاً بكتابه: «هذا طَرْزٌ من نقد كتاب (في الشعر الجاهلي) طريفٌ، سيألفه الناس لهذا العهد، وسيألفه أبناء الأجيال القابلة من بعد، وأكاد أثق بأن الدكتور طه حسين سيلقاه ساخطاً عليه، وبأن فريقاً من أشياعه سَيَزْوَرّون عنه ازوراراً، ولكني ـ على الرغم من سخط ذاك، وازورار هؤلاء ـ أريد أن أذيع هذا النقد؛ فرِضا الحقيقة خيرٌ مِنْ رضا الناكب

١ـ المرجع السابق ص٧.

٢ـ المرجع السابق ص٨.

عنها، وإقبالُ مريدِها أجلّ من إقبال المظاهر عليها»[١].

وبعد ذلك أخبر أنه وقع نظره على كتاب (في الشعر الجاهلي) وأنه كان على خبرة من «حذق مؤلفه في فن التهكم -ولو بالقمر إذا اتسق- والتشكيك -ولو بالشمس الضاربة بأشعتها في واد-».

وأنه قرأه بنظر يزيل القشر عن لبابه، وينفذ من صريح اللفظ إلى لحن خطابه.

وما نفض يده عن مطالعة فصوله حتى رآها شديدة الحاجة إلى قلم ينبه على عِلاتها، ويرد كل بضاعة على مستحقيها[٢].

ثم بين منهجه الذي سيسير عليه، والطريقة التي سيتبعها في نقضه، وهي تختلف قليلاً عن طريقة نقض كتاب (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبدالرازق؛ إذ إنه لم يَقُمْ في رده على طه حسين بتلخيص الفصول كما فعل مع كتاب علي عبدالرازق -كما سيأتي- بل اقتصر على ذكر الفقرات ومناقشتها.[٣]

يقول رحمه الله في هذا «وقد ارتأيت ألا أنقد فقرة إلا بعد أن أنقلها بحروفها، وأحكيها كما صدرت من منشئها.

وإن كان موضع البحث يتوقف على جمل سلفت، ولم نتعرض لمناقشتها أتينا بها في تلخيص ضابط للمعنى الذي لا يتهيأ فهم المناقشة إلا به؛ حتى يكون كتابنا هذا قائم بنفسه، ويستقيم للقارئ أن يدخل في البحث وهو على استبانة من أمره».[٤]

ثم أورد بإشارة موحية خلاصة ما كان يأخذه على طه حسين من الغمز، والأخذ من الآخرين، فقال: «وإنا لا نغمض لذلك الكتاب من مقال يَنْهَبُه، أو غمزٍ في الإسلام يستعذبه؛ فإن وجدتنا نحاوره في نهب أو غمز فإنا لا نخرج عن دائرة نقده،

١- المرجع السابق ص١٠.

٢- انظر المرجع السابق ص ١٠-١١.

٣ - انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٦٣.

٤ - نقض كتاب في الشعر الجاهلي ص٢.

ولم نتجاوز حد الباحث عن مقتضيات لفظه؛ فإن كان في فمك ملامٌ فَمُجَّه في سمعه؛ فهو الذي ألقى على سمعك نحواً من حديث قوم لا يتدبرون»[١].

وهكذا احتوت تلك المقدمة على البراعة، والجمال، والإيجاز، والإيحاء بمضمون الكتاب.

وبعد ذلك شرع في نقض الكتاب بأسلوب علمي، ومنهج رائع قَلَّ أن تجد له نظيراً في باب الرد والنقض.

وبعد أن فرغ من كتابه قال في خاتمته: « إننا أمة بحث ونظر: نذهب مع العلم كل مذهب، ولا نقف لحرية الفكر في طريق، وإنما نحن بشر، والبشر تأبى قلوبهم إلا أن تزدري أقلاماً تثب في غير علم، وتحاور في غير صدق، وإنما نحن بشر، والبشر تأبى لهم أقلامهم إلا أن تطمس على أعين الكلمات الغامزة في شريعة محكمة أو عقيدة قيمة.

﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ القلم: ٤٤ ـ ٤٥ »[٢].

ولقد وقع هذا الكتاب موقع الرضا، والقبول، والإعجاب عند كافة الطوائف، وعُدَّ وثيقة مهمة مفيدة لدارسي الأدب الجاهلي، وخاصة المهتمين منهم بقضية الشك في شعر العرب الجاهليين؛ لما قدمه الشيخ الخضر من حجج قوية لغوية، وتاريخية، وأدبية خلال نقاشه لكتاب طه حسين، وما أبداه من نزاهة، واعتدال؛ فكان لهذا الكتاب ما كان من التقدير والمكانة عند علماء الإسلام المعاصرين، والأدباء العرب البارزين.

١ـ المرجع السابق ص ١١.

٢ـ نقض كتاب في الشعر الجاهلي ص٤٤٤ .

بل إن الدكتور طه حسين أسرَّ إلى الشيخ محمد الفاضل بن عاشور في إحدى لقاءاته معه «أن رد الشيخ محمد الخضر حسين من أهم الردود وأشدها حجة»[١].

هذا وقد أعاد الأستاذ علي الرضا الحسيني طبع كتاب في الشعر الجاهلي، وتصرف فيه بوضع عنوانات فرعية للبحوث التي تناولها الكتاب؛ تسهيلاً للقارئ ـ كما يقول ـ وراعى في انتقاء العنوان أن يكون مستمداً من المادة ذاتها.

كما تصرف ـ ولم ينبه على ذلك ـ بحذف مقدمة الشيخ عبدالرحمن قراعة ـمفتي الديار المصريةـ.

ولا ريب في أهمية وجودها؛ إذ هي مما ارتضاه الشيخ الخضر، كما أنها وثيقة مهمة من تاريخ ذلك الكتاب.

وقد طَبَع الأستاذ الحسيني هذا الكتاب طبعته الثالثة عام ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م في الدار الحسينية للكتاب، وأردفه بملحق يتضمن الأعلام، والأماكن التي وردت في الكتاب، ورتبها حسب حروف المعجم؛ فجاء في ثلاث مائة وثلاث وتسعين صفحة.

ولما طبع الأستاذ علي الرضا الحسيني موسوعة الأعمال الكاملة جعل كتاب (نقض كتاب في الشعر الجاهلي) في مجلد خاص حيث استوعب المجلد الثامن كاملاً؛ فجاء في أربعمائة وثلاث وتسعين صفحة[٢].

فهذه خلاصة موجزة لكتاب (نقض كتاب في الشعر الجاهلي)[٣].

الخامس عشر: نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم: وبعد هذا الكتاب وكتاب (نقض كتاب في الشعر الجاهلي) أهم ما كتبه الإمام محمد الخضر حسين، فلقد كان

---

١ ـ المرجع السابق ص٤.

٢ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٣٤٨٧/٨ـ ٣٩٩٤.

٣ ـ في الرسالة الأصل مزيد بيان وتفصيل لهذا الكتاب، وما يحتوي عليه من كنوز وأساليب.

لهما الدور العظيم في الرد على الكتابين المذكورين، وفي إبراز قيمة الشيخ محمد الخضر حسين؛ حيث قفزا به إلى الصف الأول بين علماء مصر وأدبائها، فارتفعت شهرته ومكانته بسرعة فائقة ـكما يقول الدكتور مجاهد توفيق الجنديـ[١].

ولقد كان موقفه من كتابي طه حسين وعلي عبدالرازق موقفَ الرفض؛ لذا استعمل كلمة (نقض) التي تفيد الهدم والإبطال لما جاء في الكتابين عِوضَ كلمة (نقد) التي تفيد التمييز بين المحاسن والعيوب، وذلك لاعتقاده خطرَ هذين الكتابين على القراء، وضرورةَ تجنيب المسلمين ـ والشبان منهم خاصة ـ التأثر بما فيهما من تحريف وضلال.[٢]

أما كتاب (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) فقد مرت الإشارة إليه، وأما الحديث عنه ههنا فسيكون من خلال تعريف موجز به؛ فالشيخ علي عبدالرازق أحد علماء الأزهر أصدر كتاب (الإسلام وأصول الحكم) وذلك في شهر رمضان سنة ١٣٤٣هـ، وجاء في مائة وثلاث صفحات، واشتمل على ثلاثة كتب وتسعة أبواب، ودار حول موضوع الخلافة في الإسلام وعلاقة الدين بأسلوب الحكم في العالم الإسلامي، وما ينبغي أن يكون عليه هذا الأسلوب في العصر الحديث.

وقد ذهب إلى أن نظام الخلافة لا يمت إلى الدين الإسلامي بصلة؛ وادعى أن القرآن الكريم والسنة النبوية لم ينصا على ذلك، وأن نظام الخلافة في هذا العهد غير ضروري لقيام حكومات إسلامية، وأن رسالة النبيﷺ رسالة روحية لا علاقة لها بالحكم.

---

١ ـ انظر محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع التونسي ص٦٦ .

٢ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٥١.

فهذا هو خلاصة ما يدعو إليه كتاب الشيخ علي عبدالرازق.[١]

أما على وجه التفصيل فالكتاب يحتوي على إشكالات ومغالطات كثيرة.

ولما خرج ذلك الكتاب أثار ضجة كبرى لدى أهل العلم، والسياسة؛ فوقع حجزه من الأسواق، وأُبعد صاحبه من جامع الأزهر، وأُخرج من هيئة كبار العلماء، وقام عدد من العلماء بنقده والرد عليه كالشيخ محمد الطاهر بن عاشور في كتابه (نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم).

وكشيخ الإسلام مصطفى صبري في كتابه: (النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة).

وكالدكتور محمد ضياء الرَّيس في كتابه (الإسلام والخلافة في العصر الحديث)[٢].

أما أعظم من تصدى لذلك الكتاب فهو الشيخ محمد الخضر حسين في كتابه (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم).

وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٣٤٤هـ بالمطبعة السلفية بالقاهرة، واحتوى على مائتين واثنتين وخمسين صفحة، واشتمل على ثلاثة كتب، وتسعة أبواب، وهو نفس التقسيم الذي استعمله الشيخ علي عبدالرازق.

ثم طبعه الأستاذ علي الرضا الحسيني مفرداً في الدار الحسينية للكتاب عام ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، وتصرف فيه بوضع عنوانات وتعليقات من أجل التسهيل على القارئ ـكما يقولـ حيث أخذ العنوانات من فهرس الكتاب في طبعته الأولى[٣].

---

١ ـ محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٥١ـ١٥٢.

٢ ـ العنوان بتمامه (الإسلام والخلافة في العصر الحديث نقد كتاب الإسلام وأصول الحكم) منشورات العصر الحديث، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

٣ ـ انظر نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ط الدار الحسينية للكتاب ص٨.

وقد جاء الكتاب في هذه الطبعة في ثلاث مائة وثلاث وثلاثين صفحة، ثم طبع ضمن موسوعة الأعمال الكاملة، وجاء في ثلاثمائة وسبع صفحات[١].

والدارس لهذا الكتاب ـنقض كتاب الإسلام وأصول الحكمـ يتبين له قدرة الشيخ الخضر العلمية، والعقلية على إقامة الحجة، وتقديم الدليل المقنع مما يجعل هذا الكتاب وثيقة علمية يرجع إليها المهتمون بقضايا الخلافة وشؤون الحكم الإسلامي.[٢]

ولا زالت أصداء هذا الكتاب تتردد إلى يومنا الحاضر.

وهذا الكتاب ـكما أنه يدل على موسوعية الشيخ، وتمرسه في الردـ يدل ـكذلكـ على إخلاصه، ونزاهته، وطهارة ساحته، وتجرده للحق؛ يشهد لذلك أن علاقته الحميمة بأسرة آل عبدالرازق لم تمنعه ـوهو الغريبـ من الرد على علي عبدالرازق لما طَبَع كتابه (الإسلام وأصول الحكم) أو تجعله يجامل فيه.

بل ضحَّى بتلك العلاقة في سبيل إحقاق الحق.

ولقد كان لذلك الشأن قصة عجيبة يرويها الشيخ محب الدين الخطيب صديق الشيخ الخضر؛ حيث يقول: «كان السيد محمد الخضر صديقاً حميماً لآل عبدالرازق ويزورهم، ويُسر بلقائهم.

فلما كاد الكتاب[٣] ينتهي طبعه، وكان لا يعرف مذهب مؤلفه فيه طلبوا منه أن يمدهم بعناوين كبار العالم العربي والإسلامي؛ ليهدوا الكتاب إليهم، فطلب الشيخ هذه العناوين مني، وكتبت له بها قائمة طويلة، ثم صدر الكتاب، وأهدوا نسخة منه إلى الشيخ، ونسخة أخرى لمجلة (الزهراء) التي كنتُ أصدرها؛ فراعنا من الكتاب أنه ينكر كونَ الإسلام دينَ حكم، فانتقدته أنا في (مجلة الزهراء) وكتب

---

١ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٣٩٩٩/٩ـ٤٣٠٥ .

٢ ـ محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٥١ـ١٦١.

٣ـ يعني كتاب (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبدالرازق .

الشيخ علي مقالة افتتاحية في جريدة (السياسة) يجيب بها على نقدي، وتفرغ فقيدُنا لنقد الكتاب فقرةً فقرة، وفي أقرب وقت صدر كتاب (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) وفي شهر واحد نفدت طبعته؛ لشدة الإقبال عليها»[١].

وهذا مما يدل على إخلاص الشيخ الخضر، وإيثاره الحقَّ على الخلق؛ إذ لم يمنعه وجاهة أولئك، وحظوته عندهم من نقض الكتاب، وتفنيده[٢].

ولقد قدم الشيخ الخضر لكتابه هذا بصفحتين ونصف، واستهل كلامه بافتتاحية تشير إلى موضوع الكتاب، وهي مسألة الحكم في الإسلام، فقال: «أحمد الله على الهداية، وأسأله التوفيق في البداية والنهاية، وأصلّي وأسلّم على سيدنا محمد المبعوث بأكمل دين وأحكم سياسة، وعلى آله وصحبه وكل من حرس شريعته بالحجّة أو الحسام وأحسنَ الحراسة»[٣].

ثم بين بعد ذلك وقوفه على الكتاب المردود عليه، وقراءته له، وإحسانه الظن بمؤلفه في بداية الأمر إلى أن اتضح له يقيناً ما يرمي إليه ذلك الكتاب -كما مر في المطلب الماضي-.

ثم انتقل بعد ذلك إلى بيان موجز لخلاصة ما تضمنه ذلك الكتاب من باطل، فقال: «فوَّق المؤلف سهامه في هذا الكتاب إلى أغراض شتى، والتوى به البحث من غرض إلى آخر، حتى جحد الخلافة، وأنكر حقيقتها، وتخطى هذا الحد إلى الخوض في صلة الحكومة بالإسلام.

وبعد أن ألقى حبالاً وعِصِيّاً من التشكيك والمغالطات زعم أن النبي -عليه السلام- ما كان يدعو إلى دولة سياسية، وأن القضاء وغيره من وظائف الحكم

١- محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر ص٥٧.

٢- في الرسالة الأصل مزيد تفصيل لما احتوى عليه ذلك الرد من العبقرية الفذة، والمواهب العلمية، وفيه مزيد إيضاح لملابسات تأليف كتاب (الإسلام وأصول الحكم)، وما أعقب ذلك من ردود أفعال.

٣- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص٨.

ومراكز الدولة ليست من الدين في شيء، وإنما هي خطط سياسية صِرْفة لا شأن للدين بها.

ومسَّ في غضون البحث أصولاً لو صدق عليها ظنَّه لأصبحت النفوس المطمئنة بحكمة الإسلام وآدابه مزلزلة العقيدة، مضطربة العنان»[1].

ثم انتقل بعد ذلك إلى بيان أن خطورة ذلك الكتاب تَكْمُن في كونه قد صدر من ذي علم، وانتساب للقضاء الشرعي، فقال: «كنا نسمع بعض مزاعم هذا الكتاب من طائفة لم يتفقهوا في الدين، ولم يحكموا مذاهب السياسة خبرة، فلا نقيم لها وزناً، ولا نحرك لمناقشتها قلماً؛ إذ يكفي في ردها على عقِبها صدورُها من نفرٍ يرون الحطّ في الأهواء حرية، والركض وراء كل جديد كياسة.

كنا نسمع هذه المزاعم، فلا نزيد أن نعرض عمّن يلغطون بها حتى يخوضوا في حديث غيرها.

أما اليوم، وقد سرت عدواها إلى قَلَمِ رَجُلٍ ينتمي للأزهر الشريف، ويتبوأ في المحاكم الشرعية مقعداً ـ فلا جرم أن نسوقها إلى مشهد الأنظار المستقلة، ونضعها بين يدي الحجّة، وللحجّة قضاء لا يستأخر، وسلطان لا يحابي ولا يستكين»[2].

ثم بين ـ بعد ذلك ـ مراده من ذلك الرد، فقال: «لا أقصد في هذه الصحف إلى أن أعجم الكتاب جملة، وأغمز كل ما ألاقيه فيه من عوج؛ فإن كثيراً من آرائه تحدثك عن نفسها اليقين، ثم تضع عنقها في يدك، دون أن تعتصم بسند، أو تستتر بشبهة.

وإنما أقصد إلى مناقشته في بعض آراء يتبرأ منها الدين الحنيف، وأخرى يتذمر عليه من أجلها التاريخ الصحيح، ومتى أميط اللثام عن وجه الصواب في هذه المباحث

١ـ المرجع السابق ص٨ـ٩.

٢ـ المرجع السابق ص٩.

الدينية التاريخية بقي الكتاب ألفاظاً لا تعبر عن معنى، ومقدمات لا تتصل بنتيجة»[١].

ثم بين بإيجاز شديد خطته في الرد، فقال: «والكتاب مرتب على ثلاثة كتب، وكل كتاب يحتوي على ثلاثة أبواب، وموضوع الكتاب الأول: الخلافة والإسلام، وموضوع الكتاب الثاني: الحكومة والإسلام، وموضوع الكتاب الثالث: الخلافة والحكومة في التاريخ»[٢].

ثم بين بإيجاز وبلاغة طريقتَهُ في النقد، فقال: «وطريقتنا في النقد أن نضع في صدر كل باب ملخصَ ما تناوله المؤلف من أمهات المباحث، ثم نعود إلى ما نراه مستحقاً للمناقشة من دعوى أو شبهة، فنحكي ألفاظه بعينها، ونتبعها بما يزيح لَبْسها، أو يحل لُغزَها، أو يجتثها من منبتها»[٣].

وهكذا أفصح من خلال هذه المقدمة البليغة المحكمة عما يريده من تأليف ذلك الرد.

ثم مضى بعد ذلك في نقض كتاب: (الإسلام وأصول الحكم) في سطوع حجة، وروعة بيان، واستجماع ثقافة.

ثم ختم كتابه بقوله مقارناً بين صنيع أتاتورك الذي طبق العلمانية عملياً، وقام بهدم الخلافة، وبين صنيع علي عبدالرازق الذي نَظَّر لها علمياً: «قام في زمن قريب بعض مَنْ تخبطه الجهل والغرور، وصاح في وجه حكومة شعب مسلم صيحة المعربد، منكراً عليها ما قررته في قانونها الأساسي؛ مِنْ جَعْلِ الإسلام ديناً رسمياً للدولة.

وقد ردّد المؤلف في نتيجة أبوابه التسعة هذه الصيحة؛ إذ حاول أن يقطع الصلة بين الدين والسياسة، ويحارب آداب الإسلام القاعدة للإباحية الفاسقة في كل مرصد.

١ـ المرجع السابق ص ٩ـ١٠.

٢ـ المرجع السابق ص ١٠.

٣ـ المرجع السابق ص ١٠.

ولكن الفرق بين ذلك الصائح وهذا الصدى: أن الأول وثب على المسألة وثوبَ أَهْبَلَ لا يعرف يمينه من شماله.

أما المؤلف، فقد أدرك أن الأمة مسلمة، وأن الإسلام دين وشريعة وسياسة، وأن هاتين الحقيقتين يقضيان على الدولة أن تضع سياستها في صبغة إسلامية؛ فبدا له أن يعالج المسألة بيد الكيد والمخاتلة، ويأتيها باسم العلم والدين؛ فكان من حذقه أن التقط تلك الآراء الساقطة خلطها بتلك الشبه التي يخزي بعضها بعضاً، وأخرجها كتاباً يحمل سموماً لو تجرعها المسلمون لتبدلوا الكفر بالإيمان، والشقاء بالسعادة، والذلّة بالعزّة، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون: ٨ »[1].

السادس عشر: جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية: وهذا الكتاب لم يسمه الشيخ الخضر، ولم يؤلفه ابتداء، وإنما هو من جمع الأستاذ علي الرضا الحسيني الذي قال في مقدمته: «في هذه المقدمة لكتاب (جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية ـ صفحات من جهاد الإمام محمد الخضر حسين) الذي نخصه للوثائق التي ارتبطت بأعمال الجبهة ونشاطها، والتي نشرت في مجلة (الهداية الإسلامية) على صفحات أجزاء متعددة، رأينا أن في جمعها خدمة للتاريخ ولتاريخ المغرب العربي خاصة».[2]

ثم قال موضحاً ما يحتوي عليه هذا الكتاب: «نستعرض في هذا الكتاب بإيجاز يفي بالغرض:

---

١ ـ نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ص٣٠١.

٢ ـ جبهة الدفاع عن إفريقيا لشمالية ص٤ـ٥.

ـ الحرية في الإسلام ـ أول دعوة ومحاضرة نهض بها الإمام في تونس.

ـ في معتقل جمال السفاح في دمشق.

ـ جهاد الإمام في برلين.

ـ جمعية تعاون جاليات أفريقية الشمالية.

ـ جبهة الدفاع عن أفريقية الشمالية.

ـ الإمام محمد الخضر حسين والرئيس الحبيب بو رقيبة.

ـ وثائق جبهة الدفاع عن أفريقية الشمالية.

ـ تصريحاته في مشيخة الأزهر بتأييد قضايا المغرب العربي وتنديده بالاستعمار». [١]

وهذا الكتاب يقع في مائة صفحة من موسوعة الأعمال الكاملة[٢].

السابع عشر: القاديانية والبهائية: وهذا الكتاب كشفٌ لضلال هاتين الفرقتين. وأصله مقالات نشرها الشيخ في مجلة (نور الإسلام) التي كان يصدرها الأزهر، ويرأس تحريرها الشيخ الخضر.

كما أن بحث (القاديانية) سبق أن نشر في رسالة مطبوعة عام ١٣٥١هـ، وبحث البابية والبهائية نشر في الطبعة الأولى من كتاب رسائل الإصلاح.[٣]

هذا وإن كتاب (القاديانية والبهائية) يقع في تسعين صفحة من موسوعة الأعمال الكاملة[٤].

---

١ ـ جبهة الدفاع عن إفريقيا لشمالية ص٥.

٢ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٩/٤٤٠٧ـ٤٤٩٦ .

٣ ـ القاديانية والبهائية ص٣ـ٤ .

٤ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ٩/٤٣٠٧ـ٤٤٠٦ ، وفي الرسالة الأصل مزيد بيان لموقفه ومواجهاته لهاتين الطائفتين.

الثامن عشر: الهداية الإسلامية: وهو كتاب جمع فيه الأستاذ علي الرضا الحسيني بحوث الشيخ الخضر ومقالاته التي كان ينشرها في مجلة (الهداية الإسلامية).

وقد طبع الأستاذ علي الرضا الحسيني هذا الكتاب مستقلاً عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، فجاء في مائتين وأربع وخمسين صفحة، ثم ضَمَّنه موسوعة الأعمال الكاملة فجاء في مائتين وثمان وتسعين صفحة[١].

وقد احتوى على مقدمة الناشر، ومقدمة الشيخ الخضر وهي فاتحة مقالاته في مجلة (الهداية الإسلامية).

كما احتوى على مقالات كثيرة، تدور حول الدين، والاجتماع، والسياسة، والأخلاق، والسير، والعلم، والطب، والقضاء.

وأول ما جاء في هذا الكتاب بحث عنوانه (آداب الحرب في الإسلام).

ويقع في سبع وثلاثين صفحة[٢].

وهذا البحث قد خرج في كتيب خاص، يقع في ستين صفحة، وقد نشره الأستاذ علي الرضا الحسيني في الدار الحسينية للكتاب ١٤١٣هـ.

وهو بحث طريف تحدث فيه المؤلف بعد المقدمة والتمهيد عن أسباب الحروب، والاستعداد لها، والتدريب عليها، ومحاكاة العدو في وسائل الدفاع، وكتابة أسماء من يدعون إلى الحرب، وإعلان الحرب، ورفع راياتها، وشعارها، وتعهد الجند بالموعظة، والنشيد الحماسي، والزحف في صفوف منظمة، والإقدام في الدفاع، والثبات في مواقعه، والإخلاص في الحرب، وأثر

---

١ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ١٠/٤٥٠٩ـ٤٨٠٨ .

٢ ـ انظر المرجع السابق ١٠/٤٥٢٠ـ٤٥٥٦ .

الاستقامة في الانتصار، والدهاء في الحرب، وكيف يكون قائد الجيش، واستكشاف حال العدو، والتكتم في الحرب، والاحتراس فيها، وحكم الجاسوس في الإسلام، والرفق بالجند ومعاملتهم بالعدل، وتلقي أوامر القائد بحسن الطاعة، وتحامي الاختلاف المؤدي للشقاق، والتخلف عن الدفاع، والفرار من صفوف القتال، ومجاملة رسل العدو، وتجنب قتل من لا يقاتل، ومعاملة الأسرى، والدفاع في البحر، وعقد الصلح، وتخليص الأسرى من أيدي العدو، وتقدير البطولة.

هذا وإن البحث مُمَتَّعٌ بالجوانب العلمية، والفقهية، والتاريخية، والأدبية.

ومن عنوانات الموضوعات التي احتوى عليها كتاب الهداية الإسلامية:

١ـ الروح العسكرية في الإسلام ٢ـ الطب في نظر الإسلام ٣ـ حقوق الزوجية في الإسلام ٤ـ القضاء العادل ٥ـ مكانة القضاء ٦ـ صفات القاضي في الإسلام ٧ـ شريك قاضي الكوفة وموسى بن عيسى أميرها ٨ـ أَكُلَّ الجيش أسلفه؟ ٩ـ السياسة الرشيدة في الإسلام ١٠ـ الدين والفلسفة والمعجزات ١١ـ حقوق الجار ١٢ـ السخاء وأثره في سيادة الأمة ١٣ـ الحلم وأثره في سيادة الأمة ١٤ـ حالة الأمة في هذا العصر ١٥ـ اليد العليا خير من اليد السفلى ١٦ـ خير نظام للحكم ١٧ـ سعيد بن جبير والحجاج ١٨ـ استعمال الألفاظ في غير مواضعها ومضاره الاجتماعية ١٩ـ فضل شهر رمضان ٢٠ـ بحث موجز في أشهر الفرق الإسلامية ٢١ـ إصلاح المعاهد الدينية والدكتور طه حسين ٢٢ـ الأدوية المفردة بين دسقوريدس وابن البيطار.

٢٣ـ كلمات وخواطر وتحته: عنوانات كثيرة في موضوعات شتى[1].

---

١ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ١٠/٤٥٥٠ـ٤٨٠١ .

التاسع عشر: أحاديث في رحاب الأزهر: وهذا الكتاب جمعه الأستاذ علي الرضا الحسيني من أحاديث الشيخ الخضر، وقال في مقدمته: «وهذا صفحات الكتاب تضم أحاديث الإمام محمد الخضر حسين في رحاب الجامع الأزهر، تلك التي نشرتها الصحف والمجلات ـ وخاصة جريدة (الأهرام) القاهرية التي أَوْلَتْ أحاديثَ الإمام عنايةً خاصة ـ بالإضافة إلى أقوال وتعليقات الصحافة من خلال اختياره للمشيخة.

وقد رُتِّبت حسب تاريخ صدورها، واختيرت العناوين المثبتة في مجلة الأزهر مع الإشارة إلى نص العناوين الواردة في الصحف إن كان هناك اختلاف».[١]

وقد أصدر الأستاذ علي الرضا هذا الكتاب مستقلاً في كتاب خاص، ونشرته الدار الحسينية للكتاب عام ١٤١٤هـ، ووقع في مائتين وثماني عشرة صفحة.

ثم جاء في موسوعة الأعمال الكاملة في مائتين وست وخمسين صفحة[٢].

ويحتوي هذا الكتاب على مقالات في العلم، والدين والأخلاق، والسياسة، والمرأة، وأحوال المسلمين.

كما يحتوي على مواقف للشيخ الخضر، ومقابلات صحفية أجريت معه، وكلمات، وقصائد، ومراثي قيلت فيه.

العشرون: تونس وجامعة الزيتونة: وقصة هذا الكتاب أن الشيخ محمد الخضر حسين كان شديد الحب والاهتمام بوطنه تونس، فكان يتابع أخباره، ويسعى إلى التعريف بقضيته، وبرجاله العظماء، وتاريخه المجيد، حتى إنه لا يخلو عدد من أعداد مجلة الهداية الإسلامية التي أصدرها في القاهرة في ثلاث وعشرين سنة

---

١ ـ أحاديث في رحاب الأزهر ص٤ـ٥.

٢ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ١٠/٤٨٠٩ـ٥٠٦٤.

من مقال يتحدث فيه عن هذه البلاد، أو أحد علمائها، أو أن يفتح صفحات المجلة أمام كبار علماء تونس وكتابها الكبار أمثال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ومحمد البشير النيفر، وغيرهما.

وقد جمع الأستاذ علي الرضا الحسيني عدداً من المقالات والمحاضرات التي حررها الشيخ أو ألقاها عن البلاد التونسية في هذا الكتاب الذي سماه (تونس وجامع الزيتونة) وأصدره عام ١٩٧١م.[١]

يقول الأستاذ محمد مواعده: عن تقسيم مقالات الكتاب: «ويمكن تقسيم هذه المقالات إلى نوعين: مقالات تتحدث عن الجوانب التاريخية، والعلمية، والأدبية، والسياسية بتونس.

ومقالات ـ وهي أكثر عدداً من القسم الأول ـ تتناول بعضَ الشخصيات العلمية الذين أنجبتهم هذه البلاد، وعدداً من الشيوخ والعلماء الذي كانوا يدرسون بجامع الزيتونة في ذلك العهد»[٢].

ولقد حاول الشيخ محمد الخضر من خلال هذه المقالات التأكيد على مكانة رجالات تونس، وعدِّهم في مقدمة العلماء والأدباء في تاريخ الحضارة الإسلامية.

كما تعرض إلى التعليم بجامع الزيتونة من حيثُ تطورُه العلميُّ الكبير منذ الشروع في تأسيسه على يد حسان بن النعمان سنة تسع وسبعين للهجرة، وكذلك من حيث البرامج التعليمية التي كانت متبعة، ونوع الكتب.

كما تحدث عن بعض أعلام تونس في الماضي والحاضر.

---

١ ـ محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٣٧ـ١٣٨.

٢ ـ المصدر السابق ص١٣٨.

وبالجملة فالكتاب يحتوي على أربعة وعشرين موضوعاً يتضح من خلالها مضمونه، وسعة معارف مؤلفه، وحسن اختياره لموضوعاته[١].

وفيما يلي ذكرٌ لعنوانات الكتاب:

١ـ فقهاء تونس ٢ـ شعراء تونس ٣ـ الحالة العلمية بجامع الزيتونة ٤ـ الدولة الحسينية في تونس ٥ـ الشعر التونسي في القرن الخامس ٦ـ حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية[٢] ٧ـ حياة أسد بن الفرات ٨ـ نظرة في أدب الشيخ محمود قبادو التونسي ٩ـ نظرة في حياة وزير تونسي ١٠ـ الشيخ محمد ماضور من علماء تونس وأدبائها ١١ـ الشيخ محمد النجار من أفاضل علماء تونس ١٢ـ أحمد بو خريص ١٣ـ الشيخ محمد بيرم الثاني نسبه، ولادته، نشأته ١٤ـ الشيخ محمد الخضار من علماء تونس الأجلاء ١٥ـ السيد محمد النيفر من كبار علماء جامع الزيتونة في القرن الماضي ١٦ـ السيد محمد الطاهر بن عاشور ١٧ـ عمر بن الشيخ من أعاظم أساتذتي بجامع الزيتونة في تونس ١٨ـ أحمد كريم ١٩ـ محمد بن الخوجة من أركان النهضة العلمية بجامع الزيتونة ٢٠ـ أحمد الورتاني ٢١ـ محمد الطاهر بن عاشور شيخ جامع الزيتونة الأعظم في تونس ٢٢ـ علي الدرويش ٢٣ـ من علماء تونس الفضلاء ٢٤ـ تونس ٢٥ـ سالم بو حاجب آية من آيات العبقرية[٣].

---

١ ـ انظر المصدر السابق ص١٣٨.

٢ ـ طبعت هذه المحاضرة التي ألقيت مساء الجمعة ٥/صفر ١٣٤٣هـ للمرة الأولى في المطبعة السلفية في نفس العام، وأعاد الأستاذ علي الرضا الحسيني طبعها مفردة عام ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م الطبعة الثالثة في الدار الحسينية.

٣ ـ انظر تونس وجامع الزيتونة ص ١٩١ـ١٩٢.

وقد جاء كتاب (تونس وجامع الزيتونة) في المجلد الحادي عشر من موسوعة الأعمال الكاملة في مائة واثنتين وتسعين صفحة[١].

الحادي والعشرون: من أوراق ومذكرات الإمام محمد الخضر حسين ـ رسائل الخضر ـ: وهو كتاب جمعه الأستاذ علي الرضا الحسيني، ونشره في الدار الحسينية للكتاب، عام ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م في مائة وأربع وخمسين صفحة، ويحتوي على رسائل من الشيخ الخضر إلى بعض إخوانه، وأحبابه.

ثم أودعه الأستاذ علي موسوعة الأعمال الكاملة، وجاء في مائة وإحدى وخمسين صفحة[٢].

وأكثر هذه المكاتبات نثر، وبعضها شعر، وغالبها كانت رسائل بينه وبين صديقه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور؛ حيث بلغت خمس عشرة رسالة.

ثم ما كان بينه وبين أخيه محمد المكي بن الحسين حيث بلغت ثلاث عشرة رسالة.

وهناك رسائل أخرى بينه وبين الشيخ محمد الصادق النيفر، وأحمد تيمور باشا، وأخيه زين العابدين، وخليل مردم بك وغيرهم.

وهناك كتاب موجه إلى وزير المعارف المصرية، وكتاب مفتوح للشيخ محمد رشيد رضا.

وهذه المكاتبات تدور حول بث الأشواق، والسؤال عن الحال، وتدور حول التهنئة، وحول بعض المسائل العلمية، والواقعية وما جرى مجرى ذلك.

---

١ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ١١/٥٠٧٩ـ٥٢٧٠.

٢ ـ انظر المرجع السابق ١١/٥٢٧١ـ٥٤٢١.

الثاني والعشرون: الرحلات: وهو كتاب جمعه الأستاذ علي الرضا الحسيني مما كتبه عمه الإمام محمد الخضر حسين في شأن الرحلة عموماً، وما دوَّنه في رحلاته من مشاهدات، ونظرات، وعبر.

وقد نشر الأستاذ علي هذا الكتاب مفرداً، عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م في مائة وأربع وثلاثين صفحة.

ثم ضمنه موسوعة الأعمال الكاملة، فجاء في مائة وثلاث وتسعين صفحة [١].

وهذا الكتاب -على صغره- من أمتع كتب الرحلات، وذلك من ناحية مضمونه، وحسن عرضه، وسلاسة أسلوبه، وتفصيله في شأن الرحلة، وصدوره عن فطنة مستيقظة تعتبر بالحوادث، وتنظر في مجاري الأمور، وتبحث في أسرار الاجتماع.

وقد تضمن ذلك الكتاب الرسائل التالية:

١- أثر الرحلة في الحياة العلمية والأدبية ٢- النهضة للرحلة ٣- الرحلة الجزائرية ٤-خلاصة الرحلة الشرقية ٥- حديث عن رحلتي إلى دمشق ٦- رحلتي إلى سورية ولبنان ٧- مشاهد برلين.

هذا وإن الرسالة الأخيرة -مشاهد برلين- قد خرجت في كتاب مستقل؛ حيث أعدَّه للنشر الأستاذ علي الرضا الحسيني، وصدر عن الدار الحسينية للكتاب عام ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، وجاء في إحدى وستين صفحة، ولم تكن ضمن كتاب الرحلات الذي خرج مستقلاً، وإنما أضافه إليه الأستاذ علي ضمن كتاب الرحلات في الموسوعة.

و (مشاهد برلين) كتاب لطيف تحدث فيه الشيخ الخضر عن فترة إقامته في ألمانيا، وعن بعض ملاحظاته، ومشاهداته هناك.

---

١ - انظر المرجع السابق ١١/٥٤٢٣-٥٦١٥.

ومما ذكره في ذلك الكتاب قوله: «وأذكر أني ذات يوم في مقعد في أحد المنازه، فوقف علي أحد الأساتيذ ـ الألمان ـ فسألني عما أكتب، فقرأت عليه من حديث تلك الصحيفة الجمل الآتية[١]:

ثم ذكر ما دوَّنه من خواطر مختصرة تحمل معاني عظيمة في صياغة بليغة، ومنها قوله:

ـ يقولون: تَفَرُّق الأمة يفضي إلى موتها، وأقول: التفرقُ أثرُ الموت؛ فإن الجسم يموت، فتفرقُ أجزاؤه.

ـ لا تثق في نفسك فيما تدعي من الإخلاص لأمتك حتى يلذ لك أن تصلح الخلل في نظامهم وهم لا يشعرون.

ـ إذا أغلق المحيط أعين رقبائك، وختم على أفواه عُذَّالك، ثم راودك على أن تنزع حلية أدبك ـ فقل: ليس للفضيلة وطن.

ـ إذا وثقت بعرى التوكل على الله لم تَحْتَجْ إلى أن تمر إلى الحق على جسر من الباطل[٢].

الثالث والعشرون: هدى ونور: وهذا الكتاب جمعه وسماه الأستاذ علي الرضا الحسيني، ثم أصدره في كتاب مستقل طبع عام ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، في الدار الحسينية للكتاب، وجاء في مائة وتسع وأربعين صفحة.

ومادة هذا الكتاب وجدها الأستاذ علي في مجلات البدر التونسية، و (نور الإسلام) و(الهداية الإسلامية) و (لواء الإسلام) و (الفتح) المصرية، وأشار في حاشية كل بحث ومقال إلى مصادرها في المجلات المذكورة.

---

١ ـ الرحلات ص ١٧٦، وانظر مشاهد برلين ص٤٢.

٢ ـ الرحلات ص ١٧٦.

وهذا الكتاب كغيره من الكتب التي جمعها الأستاذ علي من تراث عمه، فكان إذا توافر عنده شيء منها نشره في حينه.[١]

هذا وقد أضاف الأستاذ علي هذا الكتاب إلى موسوعة الأعمال الكاملة؛ فجاء في مائة وثمان وسبعين صفحة[٢].

وقد تضمن مقالاتٍ، وبحوثاً متنوعةً ما بين علمية، ودينية، وأخلاقية، واجتماعية، وفلسفية، وسياسية، وأدبية إلى غير ذلك من الموضوعات.

وفيما يلي مسرد بعنوانات تلك المقالات:

١ـ خواطر ٢ـ الحكمة العربية ٣ـ التعاون في الإسلام ٤ـ الرحلة والتعارف في الإسلام ٥ـ الشعور السياسي في الإسلام ٦ـ العاطفة والتسامح في الإسلام ٧ـ الشورى في الإسلام ٨ـ الدعوة الشاملة الخالدة ٩ـ طرق الصوفية والإصلاح ١٠ـ الخلافة الإسلامية ١١ـ الإسلام والفلسفة ١٢ـ التراويح ١٣ـ رسائل إخوان الصفا ١٤ـ الجمعيات الإصلاحية ١٥ـ العرب والسياسة ١٦ـ لهجة بلاد الجزائر ١٧ـ إلى كل مسلم يحب العمل في سبيل الله ١٨ـ تعقيب على حديث ١٩ـ مناظرة البطريرك الماروني ٢٠ـ طريق الشباب ٢١ـ الحكمة وأثرها في النفوس ٢٢ـ العمل للكمال ٢٣ـ أسباب سقوط الأندلس ٢٤ـ الجزائر واستبداد فرنسا ٢٥ـ مكانة الأزهر وأثره في حفظ الدين ورُقي الشرق ٢٦ـ مَنْ لَم يَرَ مصر لم يَرَ عِزَّ الإسلام ٢٧ـ تكريم جمعية الهداية الإسلامية لرجل من عظماء الإسلام ٢٨ـ تأسيس جمعية الشبان المسلمين ٢٩ـالشعر: حقيقته وسائل البراعة فيه الارتياح له تحلي العلماء به التجديد فيه ٣٠ـ قوة التخيل وأثرها في العلم والشعر والصناعة والتربية ٣١ـ البراعة في الشعر:

---

١ ـ انظر هدى ونور ص٣.

٢ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ١٢/٥٦٥١ـ٥٨٠٦.

مظاهرها مهيئاتها آثارها ٣٢ـ كتاب الأدب التونسي في القرن الرابع عشر ٣٣ـ رثاء عمر بن الشيخ[١].

الرابع والعشرون: السعادة العظمى: مرت الإشارة إلى مجلة (السعادة العظمى) عند الحديث عن حياة الشيخ الخضر، وتأسيسه لتلك المجلة التي صدر العدد الأول منها في السادس عشر من محرم عام ١٣٢٢هـ بقطع من الورق الجيد، مقاس ١٧ـ٢٤سم، وبعدد من الصفحات لا تتعدى ١٦ صفحة.[٢]

وقد جاء عنوان المجلة هكذا (السعادة العظمى).

وجاء تحت هذا العنوان إضاءة وهي (مجلة علمية أدبية إسلامية تصدر غرة كل شهر عربي وفي سادس عشره).[٣]

وما إن صدرت المجلة حتى استقبلها أهل العلم والأدب بحفاوة بالغة، ولا أدل على ذلك من كثرة التقاريض التي يطالعها القارئ في تضاعيف تلك المجلة.[٤]

كما كانت في الوقت نفسه وخزاً للمستعمر الفرنسي الذي دأب منذ صدورها على محاربتها، وملاحقة صاحبها حتى تم إغلاقها ولما يَمْضِ عامٌ واحد على صدورها، فكان عددها الأخير في الحادي والعشرين من ذي القعدة عام ١٣٢٢هـ.[٥]

وكان الشيخ الخضر يصدر تلك المجلة في داره في العاصمة تونس ـنهج رحبة الغنمـ فكانت داره منتدى علمياً وأدبياً يؤمُّه رجالُ العلم والأدب من تونسيين وعرب.

---

١ ـ انظر هدى ونور ص ١٧٧ـ١٧٨.

٢ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٢٨، والسعادة العظمى ص٣.

٣ ـ انظر السعادة العظمى ص١ الشركة التونسية للتثقيف والترفيه.

٤ ـ كتقريض الشيخ محمد النخلي، والشيخ عبدالعزيز المسعودي، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور، والشيخ محمد المكي بن عزوز وغيرهم كثير. انظر السعادة العظمى ص٢٥.

٥ ـ انظر السعادة العظمى ص٥.

وهذا هو السبب الذي دفع الاستعمار الفرنسي إلى التضييق على الشيخ مما أدى به إلى مغادرة البلاد تحت وطأة الاضطهاد يتابعه حكم بالإعدام يحول بينه وبين العودة إلى وطنه تونس.[١]

ومما تجدر الإشارة إليه أن أغلب مقالات مجلة (السعادة العظمى) كانت من تحرير الشيخ الخضر؛ لذا عُدَّت تأليفاً من تآليفه، وليست مثل المجلات التي كان يُشْرف عليها ضِمْنَ هيئةِ تحريرِ منظمة كمجلتي (الهداية الإسلامية) و (نور الإسلام).[٢]

ويعود سبب تأسيس مجلة (السعادة العظمى) إلى الحاجة الملحة التي كان يشعر بها المحافظون في تونس إلى ما يعبر عن آرائهم كما كانت مجلة المنار بالنسبة إلى الحركة الإصلاحية في جميع البلدان الإسلامية.

لكن الظروف التي أحاطت بالمجلة بعد صدور عددها الأول منها أكدت أنها ـ كما يقول الأستاذ مواعده ـ لم تكن لسان المحافظين فحسب؛ وذلك أن بعضهم أنكر على صاحبها الشيخ الخضر قوله «ودعوى أن باب الاجتهاد مغلق لا تُسمع إلا بدليل ينسخ الأدلة التي انفتح بها أولاً».[٣]

وطلبوا من الوزير محمد العزيز بو عتور توقيفها عن الصدور، فرفض شكواهم قائلاً: (إن ما تنشره المجلة لا يعارض الشرع ولا القانون)».[٤]

وقد شجعه على مواصلة القيام بهذا العمل العلمي عدد كبير من العلماء الذين ينتمون في ذلك العهد إلى الحركة الإصلاحية، ومنهم شيخه الشيخ سالم بو حاجب

---

١ ـ انظر السعادة العظمى ص٥.

٢ ـ يقول الأستاذ محمد مواعده: «وقد أكدَّ لي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور أن الشيخ محمد الخضر حسين كان يقوم بجل ما تتطلبه هذه المجلة من أعمال أدبية ومادية». انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٢٦.

٣ ـ السعادة العظمى عدد ١ـ٢ ص١١.

٤ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٢٧.

الذي خاطبه بقوله: «أقول لك ما قاله ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: ما أتى أحد بمثل ما أتيت به إلا عودي».[١]

وهكذا توالى صدور المجلة إلى أن انقطعت عن الصدور.

ويعزو بعض الباحثين انقطاعها إلى مضايقة الاستعمار ـ كما مر ـ وبعضهم يعزوه إلى انتقال الشيخ إلى بنزرت حين تولى منصب القضاء.

ويرى بعضهم أن عجز الشيخ عن مواصلة هذا العمل من الناحية المادية هو السبب الأصلي لذلك.[٢]

وقد حدد الشيخ الخضر محتوى مجلة السعادة العظمى في العدد الأول الذي حرر جميع صفحاته، ويشتمل على ستة أغراض وهي:

١ـ المقالة الافتتاحية التي تتناول بعض الموضوعات المهمة التي تقضيها المحافظة على حياة المجد القديم.

٢ـ المباحث العلمية.

٣ـ الآداب: وينشر في هذا الباب ما يكون مرقاة للتقدم في صناعتي الشعر والكتابة.

٤ـ الأخلاق: ويبحث فيه كيف ينحرف مزاجها، وبماذا يستقيم اعوجاجها.

٥ ـ الأسئلة والاقتراحات.

٦ـ مسائل شتى.[٣]

وقد حرر الشيخ الخضر في الباب الأول عدة أبحاث أهمها ما يتصل بالشريعة الإسلامية، وضرورة الاعتصام بها، حتى يعود للأمة سالف مجدها.

كما كتب مقالات تهدف إلى دعوة المسلمين إلى الاتحاد والتعاون، ونبذ الكسل والجمود، والاهتمام بقضايا العصر، والسعي إلى مسايرتها في ظل تعاليم الإسلام.

---

١ ـ المصدر السابق ص١٢٧.

٢ـ المصدر السابق ص١٢٧.

٣ ـ انظر مجلة السعادة العظمى عدد ١ـ٢ ص٣، ومحمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٢٨.

ومما كتبه في هذا الشأن: الحياء، والعمل والبطالة، وحياة الأمة، والتربية، ومدنية الإسلام والعلوم العصرية، ومدنية الإسلام والخطابة، وكبر الهمة، والتعاون والتعاضد، والديانة والحرية المطلقة.

وقد كتب في هذه المجلة أكابر العلماء، وشيوخ الزيتونة كالشيخ محمد الطاهر بن عاشور، والشيخ محمد النجار المفتي المالكي، والشيخ محمد النخلي وغيرهم.

وما من ريب أن هذه المجلة العربية الأولى بتونس تمثل وثيقة مهمة من الوثائق التي يجدر الرجوع إليها عند دراسة الحركة الفكرية والاجتماعية في تونس في ذلك العهد[١].

كما أنها تدل على عبقرية فذَّة، وشجاعة نادرة، وحكمة وسياسة وبعد نظر من الشيخ الخضر؛ حيث أسس تلك المجلة، ولما يبلغ التاسعة والعشرين من عمره، وكانت الساحة آنذاك تعج بكثير من الاختلافات والتيارات العلمية والسياسية.

وكان بعض مشايخه القريبين إلى نفسه يميل إلى التيار الإصلاحي، وبعضهم يجنح إلى فريق المحافظين؛ فخرج بهذه المجلةَ بنَفَس إصلاحي محافظ؛ فلم يتوان في تقديم مشروعه الذي يرمي إليه دون إسفاف، أو مهاترة، أو مصادمة لأيٍّ من الطرفين.

ولقد كُتِبت وأُلقيت دراسات عديدة حول مجلة السعادة العظمى، وظروف نشأتها، ومنهج صاحبها، ودورها في الإصلاح[٢].

---

١ ـ انظر محمد الخضر حسين حياته وآثاره ص١٢٩ـ١٣٠.

٢ ـ ومن تلك الدراسات بحث (مجلة السعادة العظمى وقضايا الإصلاح) للأستاذة نجاة الحامي بو ملاّلة.

ومما تعرضت له في ذلك البحث: سبب اختيار هذا الاسم فتقول: «أما تسميتها (السعادة العظمى) فإن صاحب المجلة يرمز به إلى أن هذه المجلة تعين الأمة على تحقيق السعادة العظمى؛ بما تحويه من حكم، وما تتناوله من مواضيع، وما توضحه من مسائل، وما تبذله في سبيل الدين؛ لتقريبه إلى الأذهان، وشرح حقائقه، وتصفيته من الشوائب، وما تعدده من سبل الرقي والتمدن، فجاء العنوان بمثابة المبتدأ الذي يخبر عنه مضمون المجلة.

هذا الاسم له خلفية دينية؛ كما هو الشأن بالنسبة إلى مجلتي: «العروة الوثقى» و «المنار»؛ فقد أبرز الأفغاني أن أفضل رابطة للأمة الإسلامية هي القرآن، والتمسك به، ورمز إليه (بالعروة الوثقى).

أما «المنار» فهو الذي يهدي إلى السبيل القويم، وكأن محمد رشيد رضا يتمم المهمة التي بدأها الأفغاني بالمناداة إلى (العروة الوثقى)، وذلك يهدي المسلمين إلى سبيل هذه العروة، ومن يعرف سر نجاح، ويهتدي إلى سبيله، فإنه يحقق (السعادة العظمى) وعلى هذا الأساس نشعر بخيط رابط بين هذه المجلات الثلاث؛ لأن الواحدة جاءت تواصل مهمة سابقتها، أو تعاضدها، ثم إن الترتيب الزمني يوحي لنا بهذه الفكرة. =

هذا وقد خرجت تلك المجلة في كتاب خاص عني به، ونشره الأستاذ علي الرضا الحسيني، وبيَّن في مقدمته كيفية حصوله على أعداء تلك المجلة، وذكر بعض الظروف التي واكبت تأسيسها، وما آلت إليه فيما بعد.[١]

ثم ختم ذلك بقوله: « وقد حافظت ـ عند تحقيق هذه المجلة ـ على الشكل والترتيب؛ فهي صورة كالأصل، والقارئ إذا يطالع هذه الطبعة فكأن بين يديه الطبعة الأولى للمجلة ».[٢]

وقد بلغت صفحات ذلك الكتاب من غير مقدمة الأستاذ علي الرضا، ومن غير فهارسه ثلاثمائة وستاً وثلاثين صفحة.

وقد نشرته الشركة التونسية للتثقيف والترفيه عام ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

وعندما أراد الأستاذ علي الرضا إعداد موسوعة الأعمال الكاملة للشيخ الخضر جعل مقدمة العدد الأول للمجلة مقدمة لذلك الكتاب الذي له نفس اسم المجلة (السعادة العظمى).

ومِنْ ثَمَّ أورد التقاريض حسب تسلسل نشرها في مختلف الأعداد، ثم آثار الإمام التي نشرها في المجلة.

وقد رتبها على ثلاثة فصول وذلك كما يلي:

الفصل الأول: ويضم المباحث العلمية.

= كما أن هناك توافقاً في اختيار الصيغة؛ فكلمتا: (الوثقى) و (العظمى) جاءتا على وزن واحد؛ لتدل على أن ما يبغيه الرجلان للأمة، يحتل أفضل المراتب؛ فهو السر في استعمال صيغة التفضيل». الإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي ص ١١٦ـ١١٧ اعتنى به المحامي علي الرضا الحسيني.

وانظر بحث تطور الخطاب الديني عند الشيخ محمد الخضر حسين من السعادة العظمى إلى الهداية الإسلامية، وبحث تطوير الفكر الديني من خلال مجلة السعادة العظمى من كتاب الإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي ص١٢٤ـ١٤٢، وص١٤٣ـ١٥٠، وبحث السعادة العظمى ودورها الحضاري لمحمد الشعبوني ص١٣٣ـ١٣٧ من كتاب كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين اعتنى به المحامي علي الرضا الحسيني.

١ ـ انظر مقدمة كتاب (السعادة العظمى) ص٥ـ٨.

٢ ـ مقدمة السعادة العظمى ص٨.

الفصل الثاني: ويضم المباحث الأدبية، والفصل الثالث، ويضم الأسئلة والأجوبة.[١]

ويقع الكتاب في الموسوعة الكاملة في مائتين وتسع عشرة صفحة[٢].

الخامس والعشرون: تقديم وتعليق على كتاب: المغني عن الحفظ والكتاب للإمام الحافظ ضياء الدين أبي حفص عمر بن بدر بن سعيد الموصلي الحنفي:

وهذا الكتاب صنفه الحافظ الموصلي الحنفي في الأحاديث الموضوعة، وهو صغير في حجمه غزير النفع في بابه.

قال مصنفه في مقدمته: «فإني صنفت في الموضوعات مصنفات لم أسبق إليها، ولا دللت عليها، ومن أبدعها هذا الكتاب (المغني عن الحفظ والكتاب) إذ لا متن فيه ولا إسناد، ولا تكرر فيه الأحاديث ولا تعاد.

وإنما جعلت ترجمة الأبواب تدلك على الخطأ والصواب».[٣]

ثم شرح في بيان ما قصد إليه على نحو قوله:

ـ باب في زيادة الإيمان ونقصانه وأنه قول وعمل.

قال المصنف رحمه الله لا يصح في هذا الباب عن رسول الله ﷺ شيء.

ـ باب في المرجئة، والجهمية، والقدرية، والأشعرية.

قال المصنف: لا يصح في هذا الباب عن رسول الله شيء.[٤]

---

١ ـ انظر السعادة العظمى ص٥ـ٦، والإمام الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي ص ١١٢ـ١٣٣.

٢ ـ ١٢/٥٨٠٩ـ٦٠٢٧.

٣ ـ المغني عن الحفظ والكتاب للموصلي ص٢٠.

٤ ـ المصدر السابق ص٢١.

وهكذا يسير على هذا النحو إلى آخر الكتاب، حيث تناول أبواباً عديدة في العقائد، والأحكام، والآداب ونحوها.

ولما قرر مجلس إدارة جمعية (نشر الكتب العربية) في القاهرة طبع هذا الكتاب ناط بأحد أعضائه وهو الشيخ محمد الخضر حسين التعليق عليه، وكتابة مقدمة عليه، وذلك في ١٣٤٢/٥/٢٩هـ، فقام الشيخ الخضر بتلك المهمة خير قيام، وانتهى منها في ١٣٤٢/١١/١٥هـ.

حيث كتب عليه مقدمة رائعة في وضع الحديث، وخطر ذلك، وأسبابه، وشيء من جهود العلماء في التصدي لتلك الظاهرة.

وبعد هذه المقدمة تناول ذلك الكتاب بالتعليق؛ حيث كتب عليه حاشية تتضمن تعليقات نفيسة، شرح من خلالها بعض المصطلحات الواردة في المتن، وقام بتخريج أحاديث المتن، وتعقب المؤلف في بعضها؛ فكان ذلك الكتاب وتعليقات الشيخ الخضر عليه إضافةً إلى باب الموضوعات، وإبانة عن منزلة الشيخ الخضر في علم الحديث.

هذا وقد طبع الكتاب مفرداً في عام ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م؛ حيث نشره الأستاذ علي الرضا الحسيني، وجاء في ثمان وستين صفحة من القطع المتوسط، ثم أضافه إلى الموسوعة الكاملة؛ فجاء في اثنتين وخمسين صفحة[١].

السادس والعشرون: الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين: وهو كتاب جمعه الأستاذ علي الرضا الحسيني، وذلك بحسب ما توافر له خلال زيارته إلى القاهرة بين ١٤ـ٢١ من شهر ذي الحجة لعام ١٤٢٤هـ الموافق ٥ـ١٢ من شهر شباط فبراير لعام ٢٠٠٤م حيث اطلع ـ كما يقول ـ على الملفات الخاصة بالإمام محمد الخضر حسين المحفوظة في دار الوثائق القومية في القاهرة.[٢]

---

١ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ١٢/٦٠٢٩ـ٦٠٨١.

٢ ـ انظر الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين اعتنى به المحامي علي الرضا الحسيني ص٤.

يقول الأستاذ علي الرضا الحسيني عن هذه الملفات: «وهي جديدة علي لم أنظرها من قبل، ووجدت كنزاً دفيناً وقعت عليه لا يقدّر بثمن، ويحتاج إلى من ينفض عن لآلئه ومكنوناته الغبار، وإني ألفت نظر المهتمين بتراث الإمام إلى تلك الملفات التي تتضمن:

ـ مئات الأوراق من قصائد الشعر التي نظمها الإمام في شتى المواضيع، ولم تطبع في ديوانه «خواطر الحياة» وتشكل وحدها ديواناً رائعاً ثرياً.

ـ صفحات مضيئة من مذكراته وخواطره طيلة حياته الشريفة، والتي أعدَّها كمذكرات له في مجلدات أسماها: «مراحل الحياة» ولكنه صرف النظر عن نشرها، وقال: إنها حديث عن النفس، ولا يريد أن يخوض هذا المخاض، وسأذيعها ـإن شاء الله تعالىـ بعد أن انتقل الإمام إلى الرفيق الأعلى، وفيها الكثير من الذكريات النافعة، والحقائق التاريخية الهامة.

ـ مقالات في مختلف العلوم والفنون، ما زالت مخطوطة لم تطبع بعد، إضافة إلى مراسلات مع علماء وشيوخ ورجال سياسة وأدباء.

ـ الأوراق والوثائق المتعلقة بـ «جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية» التي أسسها في القاهرة، وعمل من خلالها في الدفاع عن بلدان المغرب العربي، وخاصة الوطن الأول تونس الخضراء.

تمكنت من استنساخ البعض منها لأقدمه في هذا السِّفر، وأَملي وطيد أن أستخرجها كلها ـإن شاء الله تعالىـ فيما كتب لي من الحياة».[1]

وهذه المادة التي توافرت للأستاذ علي في هذا الكتاب تضم مقالات، وبحوثاً وشعراً، ورسائل للشيخ الخضر.

---

١ ـ الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين ص٤ـ٥ .

كما أنها تتضمن تراجم له، وذكراً لتصحيح شيوخه فيما قرأه عليهم إبان دراسته في الزيتونة، وتحتوي على أخباره في الصحف، وما قيل فيه من تحقيق وكتابات، وبحوث كتبها نخبة من أهل العلم والفكر.

وهذا الكتاب استوعب المجلد الثالث عشر كله، وجاء في أربعمائة وثمان وتسعين صفحة.

السابع والعشرون: كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين: وقد جمع الأستاذ علي الرضا مادة هذا الكتاب الذي بلغت صفحاته مائتين وخمس وثمانين صفحة[١].

يقول الأستاذ علي في مقدمته: «إن هذا الكتاب ـكتابات حول الإمام محمد الخضر حسينـ تعبيرٌ عن مُطالعاتِ كَتَبَتِها، وأنظارهم وآرائهم التي ارتأوها في مسيرة الإمام عِلماً وعملاً، وجهاداً شاقاً من أجل رسالة الإسلام، وإعلاء كلمة الله في المعمورة.

ولا يعني بالضرورة قبولنا بكل ما ورد فيها من أقوال ـولنا وجهة نظر خاصةـ ولكن قدمناها على حالاتها للتاريخ، والمعرفة، والأمانة العلمية، واكتفيت بذكر بعض التعليقات الموجزة في الهامش لا بد منها.

وطريقتنا في تقديم الكتاب: إيراد البحوث والمنتخبات حسب تواريخ صدورها، وذكر أسماء الكتَّاب، وبيان المراجع التي أخذنا عنها من الصحف والمجلات والكتب، وتدوين كل ذلك في الهوامش ومطالع كل فصل».[٢]

ومما جاء في ذلك الكتاب: قصائدُ وتهانٍ للشيخ الخضر، وتعليقاتٌ على بعض كتاباته، وإشادات بشيء منها، كما تضمن بحوثاً ودراسات حول الشيخ وحياته، ومؤلفاته.

---

١ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ١٤/٦٦٠٧ـ٦٨٩١.

٢ ـ كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين ص٤.

ومن أهمها وثيقة تاريخية صادرة عن جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية وبحث: (علماء تونسيون في دمشق) للدكتور صلاح الدين المنجد، ومقال: (أعلام العلماء) للكاتب محمد عبدالله السمان، وبحث: (الأدب التونسي وصداه في الشرق قديماً وحديثاً) لأبي القاسم محمد كرو، وبحث: (السعادة العظمى ودورها الحضاري) لمحمد الشعبوني، وبحث: (بين أبي القاسم الشابي ومحمد الخضر حسين) للبشير العريبي، وبحث: (محمد الخضر حسين وخطابه الحداثي للشاذلي الساكر)، وترجمة بعنوان: (أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث محمد الخضر حسين) وقد كتبها صديقه العلامة أحمد تيمور باشا، و (ترجمة للشيخ الخضر) لخير الدين الزركلي صاحب الأعلام، وفهارس مؤلفات الإمام الخضر حسين، ورسائل بعثها أصحابها إلى الأستاذ علي الرضا الحسيني تتضمن شكره على بعث تراث عمه الإمام الخضر، وتحثه على المزيد من بذل الجهد في ذلك[1].

الثامن والعشرون: الإمام محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر: وهذا الكتاب يحتوي على تراجم للشيخ محمد الخضر حسين، وقد جمعه الأستاذ علي الرضا الحسيني، وخرج مفرداً عن الدار الحسينية للكتاب عام ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

وقد انتخب محتوى هذا الكتاب من نخبة تناولت سيرة الشيخ الخضر في مقال، أو رسالة، وروعي في انتقائها ـكما يقول جامعهاـ ما يلي:

أ. انفراد البحث المنتقى بموضوع لم يتطرق إليه الآخر.

ب. اختيار الكُتّاب من أقطار عدة، من: تونس، ودمشق، والقاهرة، والجزائر.

ج. التسلسل التاريخي في نشر البحث وصدوره.

د. الإشارة إلى المرجع والمصدر لكل بحث في الهامش من صفحته الأولى.

---

١ ـ المرجع السابق ص ٢٨٣ـ٢٨٥ .

ويلاحظ القارئ التشابه والتكرار بين كل الدراسات من جهة السيرة الذاتية للشيخ الخضر، كالولادة، وتواريخ التعلم والتعليم، والتنقل، والمهام، والأعمال التي قام بها، ونحو ذلك من مجملات سيرة المترجَم له.

ومع ذلك فإن لكل بحث من تلك الأبحاث ميزةً عن غيره، وتلك الأبحاث ـ بمجموعها ـ تعطي صورة عامة واضحة لحياة الشيخ، وشيء من إنتاجه العلمي والفكري.

وقد احتوى ذلك الكتاب على خمس عشرة رسالة ما بين بحث، أو دراسة، أو مقالة عن الشيخ الخضر، وأهم تلك الرسائل ما يلي:

أ. محمد الخضر حسين: بقلم زين العابدين السنوسي: وهي أول ترجمة عن حياة الإمام طَلَعَتْ على الناس ـ كما يقول الأستاذ علي الرضا الحسيني ـ.

ب. محمد الخضر حسين شيخ الأزهر السابق دراسة ـ مختارات: بقلم أبو القاسم محمد كرو.

وهي دراسة مستفيضة، وتعد من أهم وأقدم الدراسات التي كتبت عن الشيخ الخضر.

وقد ضمَّنه الأستاذ علي الرضا موسوعة الأعمال الكاملة؛ فجاء في مائتين وثمان وثلاثين صفحة[١].

التاسع والعشرون: ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر: وقد اعتنى بهذا الكتاب الأستاذ علي الرضا الحسيني، وقد تضمن ما أُلقي من بحوث ومحاضرات في ذلك الملتقى الذي أقيم في ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ ديسمبر كانون الأول من عام ٢٠٠٧م في مدينة بسكرة عاصمة الزيبان في الجنوب الجزائري، وتم تحت إشراف وزارة الثقافة الجزائرية.

وقد جاء ذلك الكتاب في مائتين وثلاث وعشرين صفحة[٢].

---

١ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ١٤/٦٨٩٣ـ٧١٣٠.

٢ ـ انظر المرجع السابق ١٥/٧١٤٣ـ٧٣٦٥.

ومن أهم البحوث التي ألقيت في ذلك الملتقى: ١ـ ومضات من حياة العلامة محمد الخضر حسين للأستاذ علي الرضا الحسيني ٢ـ الإمام الشيخ محمد الخضر حسين ومنهجه في التراجم للدكتور عمار الطالبي ٣ـ الإمام العلامة محمد الخضر حسين شاعراً للدكتور كمال عجالي ٤ـ جهود الأزهر في مواجهة التغريب الإمام محمد الخضر حسين الجزائري نموذجاً لنجيب بن خيرة ٥ـ الإمام محمد الخضر حسين رجل العلاقات والمؤسسات العلمية للدكتور مولود عويمر ٦ـ في الذكرى الخمسين لوفاة العلامة التونسي محمد الخضر حسين شيخ الأزهر السابق للأستاذ محمد مواعدة[1].

الثلاثون: الإمام الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي: وقد اعتنى به الأستاذ علي الرضا الحسيني.

ويتضمن هذا الكتاب ما ألقي من بحوث في (الندوة العلمية العالمية الأولى للإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي) التي أقيمت في خلال أيام ١٦ و ١٧ و ١٨ جانفي كانون الثاني من عام ٢٠٠٩م، وذلك في مدينة نفطة مسقط رأس الشيخ الخضر بإشراف (الجمعية التونسية للدراسات والبحوث حول التراث الفكري التونسي).

هذا وقد أُلقي في تلك الندوة بحوثٌ ودراسات حول الشيخ الخضر، ومن أهم تلك البحوث ما يلي: ١ـ المرحلة السورية من حياة الإمام محمد الخضر حسين للأستاذ علي الرضا الحسيني.

٢ـ المرحلة المصرية من حياة الإمام محمد الخضر حسين، للدكتور مجاهد توفيق الجندي.

٣ـ الفكر الإصلاحي ومشاريع التحديث للأستاذ الحبيب الجنحاني.

---

١ ـ انظر ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر اعتنى به المحامي علي الرضا الحسيني ص ٢٢٢ـ٢٢٣ .

٤ـ الإصلاح التربوي في فكر العلامة الإمام محمد الخضر حسين للدكتور مصدق الجليدي.

٥ ـ مجلة السعادة العظمى وقضايا الإصلاح للأستاذة نجاة الحامي بو ملاّلة.

٦ـ تطور الخطاب الديني عند الشيخ محمد الخضر حسين للأستاذ جمال الدين دراويل.

٧ـ تطوير الفكر الديني من خلال مجلتي السعادة العظمى للدكتور كمال عمران.

٨ـ الشيخ محمد الخضر حسين مفسراً للأستاذ أنور بن خليفة.

وجاء هذا الكتاب في مائتين وثمان وخمسين صفحة، وذلك من ١٥/٧٣٦٧ـ ٧٦٢٤ من موسوعة الأعمال الكاملة[١].

وبهذا ينتهي الحديث في هذا الفصل الذي عُرِض من خلاله مؤلفات الشيخ محمد الخضر حسين، وذلك على وفق ما جاء في موسوعة الأعمال الكاملة له[٢].

وبنهايته ينتهي الحديث عن سيرة الشيخ محمد الخضر حسين، ومؤلفاته، غفر الله للشيخ الخضر، ورحمه، ورفع درجاته؛ كفاء ما قدم للإسلام والمسلمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

١ ـ انظر موسوعة الأعمال الكاملة ١٥/٧٣٦٧ـ٧٦٢٤، والإمام محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي ص ٢٥٧ـ٢٥٨ .

٢ ـ وللشيخ زيادة على ذلك تعليقات على شرح القصائد العشر للتبريزي ولم تثبت ضمن موسوعة الأعمال الكاملة، وهي تعليقات نفيسة قيمة وضعها الشيخ على الكتاب المذكور عندما كان يدرسه للطلاب في جامع الزيتونة، وقد طُبع للمرة الأولى سنة ١٣٤٣هـ في المطبعة السلفية في القاهرة من قِبَل إدارة الطباعة المنيرية، ثم أعاد طباعته الأستاذ علي الرضا الحسيني في الدار الحسينية للكتاب عام ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

الفهرس

ـ المقدمة	٣
تمهيد: عصر الشيخ محمد الخضر:	٧
ـ مدخل: مراحل حياة الشيخ الخضر	٧
المطلب الأول: حال العالم الإسلامي	٩
المطلب الثاني: حال البلاد التونسية	١٦
المطلب الثالث: حال البلاد المصرية	٢٣
الفصل الأول: حياة الشيخ محمد الخضر:	٢٩
المبحث الأول: نشأته:	٢٩
المطلب الأول: اسمه، ومولده، ونسبه	٢٩
المطلب الثاني: تلقيه العلم	٣٥
المبحث الثاني: أعماله:	٤٣
المطلب الأول: أعماله في المرحلة التونسية	٤٤
المطلب الثاني: أعماله في المرحلة السورية	٤٨
المطلب الثالث: أعماله في المرحلة المصرية	٥٢
المبحث الثالث: أخلاقه وصفاته:	٦٣
ـ كلمة للأستاذ محمد مواعده	٦٣
ـ كلمة للكاتب محمد السمان	٦٤

- كلمة للدكتور أحمد الشرباصي ٦٤
- كلمة للدكتور محمد عمارة ٦٥
- كلمة للشيخ إبراهيم الأخضر حول هيبته وتواضعه ٦٥
- ثقته بالله، وتوكله عليه، وأنسه به -عز وجل- ٦٦
- ورعه وتنزهه عن المكروهات ٦٧
- كلمة للشيخ عبدالرزاق عفيفي عن الشيخ الخضر ومؤلفاته ٦٨
- كلمات للمشايخ: بكر أبو زيد، وأحمد رشيق بكيني، وعبدالمنعم خلاف ٦٩
- مشاهد خاصة من حياة الخضر ٧٠
- وضعه الأشياء مواضعها ٧١
- شجاعته النادرة المقرونة بالحكمة ٧٢
- كلمة عن شجاعته للدكتور مولود عويمر ٧٣
- صداقته لابن عاشور ٧٤
- مكاتبات بينه وبين ابن عاشور ٧٥

الفصل الثاني: مؤلفات الشيخ محمد الخضر: ٨١

الأول: أسرار التنزيل ٨٧

الثاني: بلاغة القرآن ٩١

الثالث: دراسات في الشريعة الإسلامية ١٠٣

الرابع: محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ ١٠٤

الخامس: تراجم الرجال ١١١

السادس: الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ١١٢
السابع: محاضرات إسلامية ١١٤
الثامن: رسائل الإصلاح ١٢٠
التاسع: الدعوة إلى الإصلاح ١٢٤
العاشر: دراسات في العربية وتاريخها ١٢٩
الحادي عشر: دراسات في اللغة ١٣٨
الثاني عشر: الخيال في الشعر العربي، ودراسات أدبية ١٤٠
الثالث عشر: ديوان: خواطر الحياة ١٤٥
الرابع عشر: نقض كتاب في الشعر الجاهلي ١٥٢
الخامس عشر: نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم ١٦٠
السادس عشر: جبهة الدفاع عن أفريقيا الشمالية ١٦٧
السابع عشر: القاديانية والبهائية ١٦٨
الثامن عشر: الهداية الإسلامية ١٦٩
التاسع عشر: أحاديث في رحاب الأزهر ١٧١
العشرون: تونس وجامعة الزيتونة ١٧١
الحادي والعشرون: من أوراق ومذكرات الإمام محمد الخضر حسين
-رسائل الخضر- ١٧٤
الثاني والعشرون: الرحلات ١٧٥
الثالث والعشرون: هدى ونور ١٧٦

الرابع والعشرون: السعادة العظمى ١٧٨
الخامس والعشرون: تقديم وتعليق على كتاب: المغني عن الحفظ والكتاب للإمام الحافظ ضياء الدين أبي حفص عمر بن بدر بن سعيد الموصلي الحنفي ١٨٣
السادس والعشرون: الإرث الفكري للإمام محمد الخضر حسين ١٨٤
السابع والعشرون: كتابات حول الإمام محمد الخضر حسين ١٨٦
الثامن والعشرون: الإمام محمد الخضر حسين بأقلام نخبة من أهل الفكر ١٨٧
التاسع والعشرون: ملتقى الإمام محمد الخضر حسين في الجزائر ١٨٨
الثلاثون: الإمام الخضر حسين وإصلاح المجتمع الإسلامي ١٨٩
ـ الفهرس ١٩١

صدر للمؤلف

١- رسائل في العقيدة.

٢- عقيدة أهل السنة والجماعة، قرأه وقدم له: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله.

٣- الإيمان بالقضاء والقدر، قرأه وقدم له: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله.

٤- شرح وتحقيق القصيدة التائية في القدر لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٥- الإيمان باليوم الآخر.

٦- مختصر الإيمان بالقضاء والقدر.

٧- مختصر عقيدة أهل السنة والجماعة؛ المفهوم والخصائص.

٨- لا إله إلا الله: معناها - أركانها - فضائلها - شروطها.

٩- توحيد الربوبية.

١٠- توحيد الألوهية.

١١- توحيد الأسماء والصفات.

١٢- الإيمان بالله، تُرجم إلى الإنجليزية.

١٣- الإيمان بالكتب.

١٤- كلمات في المحبة والخوف والرجاء، ترجم إلى الإنجليزية.

١٥- الطيرة.

١٦- نبذة مختصرة عن الشفاعة، والشرك، والرقية، والتمائم، والتبرك.

١٧- الإيمان: حقيقته، وما يتعلق به من مسائل.

١٨- الطريق إلى الإسلام، ترجم إلى الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والسنهالية، والهندية، والتاميلية، والصينية، والبشتو، والميلبارية.

١٩ـ الشيوعية. ٢٠ـ البابية.

٢١ـ البهائية. ٢٢ـ القاديانية. ٢٣ـ الوجودية.

٢٤ـ رسائل في الأديان والمذاهب والفرق.

٢٥ـ شرح رسالة الشيخ عبدالرحمن السعدي (الأسباب والأعمال التي يضاعف بها الثواب).

٢٦ـ مصطلحات في كتب العقائد (دراسة وتحليل).

٢٧ـ السحر بين الماضي والحاضر.

٢٨ـ التقريب لتفسير (التحرير والتنوير) لابن عاشور.

٢٩ـ أغراض السور في تفسير (التحرير والتنوير) لابن عاشور.

٣٠ـ مدخل لتفسير (التحرير والتنوير) لابن عاشور.

٣١ـ هداية آيات.

٣٢ـ الدعاء مفهومه ـ أحكامه ـ أخطاء تقع فيه، قرأه وعلق عليه: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله.

٣٣ـ أدب الموعظة

٣٤ـ التوبة وظيفة العمر.

٣٥ـ الطريق إلى التوبة.

٣٦ـ توبة الأمة.

٣٧ـ شرح وتحقيق الوصية الصغرى لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٣٨ـ من صور تكريم الإسلام للمرأة

٣٩ـ من أقوال الرافعي في المرأة.

٤٠ـ رمضان دروس وعبر تربية وأسرار.

٤١ـ الحج آداب وأسرار ومشاهد.

٤٢ـ جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله.

٤٣- من أحوال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في الحج.

٤٤- الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء.

٤٥- الهجرة دروس وفوائد.

٤٦- معالم في التعامل مع الفتن.

٤٧- رسائل في التربية والأخلاق والسلوك.

٤٨- الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة.

٤٩- أخطاء في أدب المحادثة والمجالسة.

٥٠- فقر المشاعر.

٥١- سوء الخلق.. مظاهره.. أسبابه.. العلاج، قرأه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله.

٥٢- لطائف في تفاضل الأعمال الصالحة.

٥٣- عقوق الوالدين.. أسبابه.. مظاهره.. سبل العلاج.

٥٤- قطيعة الرحم.. المظاهر.. الأسباب.. سبل العلاج.

٥٥- التقصير في تربية الأولاد.. المظاهر.. سبل الوقاية والعلاج.

٥٦- التقصير في حقوق الجار.

٥٧- الكذب.. مظاهره.. علاجه.

٥٨- العشق.. حقيقته.. خطره.. أسبابه.. علاجه.

٥٩- الجريمة الخلقية.

٦٠- الفاحشة (عمل قوم لوط) الأسباب - العلاج.

٦١- لماذا تدخن؟

٦٢- إلى بائع الدخان.

٦٣- رسائل في الزواج والحياة الزوجية.

٦٤- أخطاء في مفهوم الزواج.

٦٥ـ من أخطاء الأزواج.

٦٦ـ من أخطاء الزوجات.

٦٧ـ الهمة العالية، قرأه وقدم له: سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله.

٦٨ـ الصداقة بين العلماء (نماذج تطبيقية معاصرة).

٦٩ـ مع المعلمين.

٧٠ـ رسالة إلى طالب نجيب، ترجم إلى الأردية.

٧١ـ الإنترنت امتحان الإيمان والأخلاق والعقول.

٧٢ـ الجوال آداب وتنبيهات.

٧٣ـ رسائل في أبواب متفرقة.

٧٤ـ محمد رسول الله: خلاصة سيرته، ومقالات نادرة فيها.

٧٥ـ الرحمة والعظمة في السيرة النبوية.

٧٦ـ تراجم ـ لتسعة من الأعلام

٧٧ـ فقه اللغة مفهومه ـ موضوعاته ـ قضاياه.

٧٨ـ مقدمة في فقه اللغة.

٧٩ـ الارتقاء بالكتابة.

٨٠ـ المنتقى من بطون الكتب (المجموعة الأولى).

٨١ـ المنتقى من بطون الكتب (المجموعة الثانية).

٨٢ـ المنتقى من بطون الكتب (المجموعة الثالثة).

٨٣ـ المنتقى من بطون الكتب (المجموعة الرابعة).

٨٤ـ مقالات لكبار كتاب العربية في العصر الحديث (المجموعة الأولى).

٨٥ـ مقالات لكبار كتاب العربية في العصر الحديث (المجموعة الثانية).

٨٦ـ مقالات لكبار كتاب العربية في العصر الحديث (المجموعة الثالثة).

٨٧ـ كلمات متنوعة في أبواب متفرقة ١.

٨٨- كلمات متنوعة في أبواب متفرقة ٢.

٨٩- كلمات متنوعة في أبواب متفرقة ٣.

٩٠- كلمات متنوعة في أبواب متفرقة ٤.

٩١- خواطر.

٩٢- ارتسامات.

٩٣- مسائل في الوصية.

٩٤- لطائف في السفر.

٩٥- ومضات.

٩٦- الحوار في السيرة النبوية -البحث الفائز بالجائزة العالمية للهيئة العالمية للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته، التابعة لرابطة العالم الإسلامي-.

٩٧- معالم في الصحابة والآل.

٩٨- كتاب أبيات في الاستشهاد لابن فارس دراسة وشرح.

٩٩- التمثل بالشعر.

١٠٠- بصائر.

١٠١- الإسلام: حقيقته - شرائعه - عقائده - نُظُمه - البحث الفائز بالمركز الأول للمسابقة العالمية (هذا هو الإسلام) التي تنظمها الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام التابعة لرابطة العالم الإسلامي -